

الإمام الحداد

مجدد القرن الثاني عشر الهجري

(١٠٤٤ - ١١٣٢هـ)

سيرته - منهجه

الإمام الحداد

مجدد القرن الثاني عشر الهجري

(١٠٤٤ - ١١٣٢هـ)

سيرته - منهجه

تأليف

د. مصطفى حسن البدوي

دار الحاوي
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

بالتعاون مع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان
هاتف: ٣٤٢٨٨٦ ـ ص.ب: ٥٩٢٠ ـ ١١٣ ـ تلكس: ٤٣٢١٨ ـ فاكس ٨٦٠١٣٨ ـ ١ ـ ٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

رُوى عن الإمام عبد الله الحداد أنه قال: « إن الغرض من الوَلِىّ هو الدلالة على الله، والجمع عليه، والتزهيد فيما سواه.» . ولقد شهد له الأئمة، من العلماء والصالحين فى عصره، أنه قام بذلك خير قيام. وأُطْلِق عليه فى حياته لقب «قطب الدعوة والإرشاد» . فإن الله تعالى قد منّ عليه بعبقرية فذة فى التدريس، والتأليف، وتبسيط الأمور المعقدة، والغامضة وتوضيحها، وإيصال علوم المعاملة إلى المسلمين بكل فئاتهم وطبقاتهم.

ولقد كان بلا شك من مجددى الدين، إن لم يكن المجدد الأكبر للقرن الثانى عشر*. وامتد تأثيره شرقاً وغرباً، ولا يزال سارياً فى الأمة إلى اليوم. فإنك إن جلست فى « الحرم المكى » قد تسمع رجلاً من « كينيا » أو « تنزانيا » يقرأ راتب « الحداد » وإن جلست فى « الحرم المدنى » قد تسمع أحد العلماء الأفاضل، يتلو « الوِرْد اللطيف » للحداد. وإن سافرت إلى « أندونيسيا »، أو « ماليزيا »، أو «سنغافورة »، سمعت الدعاة والعلماء يقولون: « قال الإمام الحداد، قال الإمام الحداد ».. وإن زرت اليمن سمعت منشداً ينشد قصيدة من ديوان « الحداد »، وإن وصلت إلى « لندن »، أو حتى إلى «البرتغال» أو« الأرجنتين » لوجدت أقواماً يتدارسون مؤلفات الإمام « الحداد » مترجَمَةً إلى اللغة الإنجليزية.

---

* عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ». رواه أبو داود، والحاكم من حديث ابن وهب، وصححه.

وقد أثّر الإمام « الحداد » على الأمة هذا التأثير البالغ بكلامه، وقلمه، وقدوته، وأوراده، وتلاميذه، وذريته.

أما بكلامه، فذلك بدروسه ووعظه وإرشاده، بمقره في « تريم »، وأثناء سفرياته في أنحاء «حضرموت »، ثم «اليمن»، و« الحجاز » حين سفره إلى الحج. وقد أشرنا إلى طرف من ذلك، في الفصلين الثامن والتاسع من هذا الكتاب.

وأما بقلمه، فمن خلال مؤلفاته ومكاتباته. وقد خصصنا الفصل السادس عشر للحديث عن مؤلفاته. وذكرنا طرفاً يسيراً مما بها من علوم، فى الفصول: السابع، والعاشر، والثانى عشر. وأوردنا من مكاتباته بنصّها فى الفصول: الخامس، والعاشر، والثانى عشر، والخامس عشر.

وأما عن كونه قدوةً يقتدى به، ومثالاً للسلوك المحمدى، فقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى الفصلين: السادس والثالث عشر.

وأما تلاميذه، فقد ذكر منهم مؤلف « بهجة الزمان وسلوة الأحزان »* مايقرب من المائة والخمسين، من العلماء العاملين، الدعاة الصالحين. وهم الذين تمكن الرجل من جمع شئ من أحوالهم وأفعالهم، عند تأليفه هذا الكتاب، وذلك بعد حوالى عشرة أعوام من وفاة الإمام. وكم تُوفّى للإمام من صاحبٍ نجيبٍ أثناء حياته، فقد تتلمذ على يده من كانوا أسنّ منه، ومن كانوا من طبقته.

وأما ذريته، فقد سار الكثير منهم على نهجه، وسرى سرُّه فيهم، فكان ولايزال منهم الأئمة الأعلام، والدعاة والعلماء.. وقد ذكرنا بعضهم فى الفصل الثامن عشر.

ولو أراد أحد أن يكتب عن الإمام « الحداد » كتاباً جامعاً، لاحتاج إلى عشرات المجلدات. فمن شيوخه من قال كما قال الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس، الذى توفى والإمام الحداد فى الثامنة

---

* الإمام العلامة العارف بالله، محمد بن زين بن سميّط العلوى الحسينى. أنظر ترجمته وكذلك غيره من الأعلام المذكورين بالكتاب فى الملحق الخاص بتراجم الأعلام فى نهاية الكتاب.

والعشرين من عمره: « السيد عبد الله الحداد أمة وحده.» ومن معاصريه من قال، كما رُوِى عن مفتى الشام: « ماعلى وجه الأرض اليوم أعلم من السيد عبد الله الحداد.» ومنهم من قال كالإمام محمد بن أبى بكر الشلى فى كتابه « المشرع الروى »: « إمام أهل زمانه، الداعى إلى الله فى سره وإعلانه، المناضل عن الدين الحنيفى بقلمه ولسانه.» ومنهم من أشار مراراً– مثل السيد العلامة العارف بالله أحمد بن عمر الهندوان– إلى أن الإمام الحداد فريد عصره، لا يدانيه أحد.

أما من تلاميذه، فقد قال عنه الإمام أحمد بن زين الحبشى أنه: « بلغ رتبة الاجتهاد فى علوم الإسلام والإيمان والإحسان. وهو المجدد فى هذه العلوم لأهل هذا الزمان.» وقد وقعتُ على كلامٍ لإمام الحرمين «الجوينى» فى صفات الإمام المجتهد، فأحببت إيراده كمقياس يقاس عليه ماقيل عن الإمام الحداد.

قال الإمام الجوينى فى صفات المجتهد: « أن يكون عالماً بطرق الأدلة، ووجوهها التى منها تدل، والفرق بين عقليها وسمعيها. ويكون عالمًا بقضايا الخطاب، مايحتمل منه وما لايحتمل، ووجوه الاحتمال، والخصوص، والعموم، والمجمل، والمفسّر والصريح والفحوى... أن يكون عالماً بأصول الفقه.. أن يكون عالماً بالآيات المتعلقة بالأحكام من كتاب الله تعالى، ولايشترط حفظ ماعداها من الآيات. أن يحيط من سنن الرسول ﷺ، بما يتعلق بالأحكام، حتى لايشذّ منها إلا الأقل، ولانكلفه الإحاطة بجميعها، فإن ذلك مما لاينضبط. أن يكون ذا دراية فى اللغة العربية.. أن يكون عالماً بمطاعن الأخبار المتعلقة بالأحكام، ولايشترط أن يجمع علم الحديث، بل يجوز أن يحيط علماً بما قاله أئمة الحديث فى الأخبار المتعلقة بالأحكام. أن يحيط علماً بمعظم مذاهب السلف، فإنه لو لم يحط بها، لم يأمن من خرق الإجماع فى الفتاوى. أن يكون ورِعاً فى دينه. »*

---

* كتاب الاجتهاد (من كتاب التلخيص) لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى. دار القلم، دمشق ١٤٠٨هـ، ص (١٢٤ : ١٢٧)

فإذا نظرنا للإمام الحداد نجده كان كذلك، بل وأكثر من ذلك بلا أدنى شك. وإن كانت هذه الأوصاف قد وجدت بكثرة فى المتقدمين، فهى فى المتأخرين أعزّ من الكبريت الأحمر. ومن هنا كانت الأهمية الخاصة لهذا الإمام العظيم، ومن هنا كان بحق شيخاً للإسلام، وقطباً للدعوة والإرشاد. هذا عن علوم الإسلام. أما عن علوم الإيمان، فيدل على كونه مجتهداً فيها، ما ورد عنه من كلام عن عقيدة الأشعرى يدل على اتساع درايته بأمور العقيدة، وكونه غير مقلد فيها. وهذه أمور لاتستغرب من أهل الشهود.

وأما عن علوم الإحسان، وهى الطريق إلى الله، وتزكية القلوب حتى ترقى إلى مقامات الشهود، فيدل على علو قدره فيها لقبُ « حداد القلوب » الذى أطلق عليه، ذلك لأنه كما يُؤتَى للحداد بقطَع الحديد يعلوها الصدأ، وتشوب باطنها الشوائب، فيصهرها ويعمل فيها آلاته، فيطرد من باطنها الشوائب، ويجلو ظاهرها من الصدأ حتى تصير بين يديه نصالاً لامعة حادة. فكذلك حداد القلوب يأتيه الرجل على ظاهره المعاصى والإعراض وسوء الأدب مع الله، وفى باطنه الشهوات والغفلات والعُجْب، وسائر أمراض القلوب فيلاطفه، ويجتذبه بحلمه وحسن أخلاقه، ثم يشرع فى تعليمه وتوجيهه، ويصبر على سياسته، وترويض نفسه الأمارة بالسوء حتى ينقله من المعصية إلى الطاعة، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن الغفلة إلى الذكر، ثم لا يزال به تهذيباً وتزكية حتى يصير قلبه لامعاً مستنيراً.

ولقد اتبع الإمام الحداد فى ذلك منهجاً أسماه: **طريقة أهل اليمين**، وهى التى رآها تناسب الزمان وأهله، وهى التى لا تزال سارية فى الأمة قائمة برجالها، ولا يزال منهم من يُدْعى بحق «حداد القلوب» إلى يومنا هذا.

ولقد اتبع كل من جاء بعد الإمام الحداد هذا المنهج الذى أرساه، وأشار إلى ذلك أحد أكابر المتأخرين وهو الإمام العارف بالله الحبيب علىّ بن محمد الحبشى فى القصيدة العظيمة التى قالها حين زيارته للإمام الحداد فى ربيع الآخر ١٣٢٩ هجرية فقال رضى الله عنه:

بالفتح والإمداد والإرشاد	ثبتت قواعد شيخنا الحدادِ
مستجمع السر الذى اتصفت به	أسلافه وخليفة الأجدادِ

إلى أن قال:

فجميع من سلك الطريقة بعــده　　　مـسـتـصـبحـون بنـوره الوقــــادِ

ولذلك فإن أهمية هذا الكتاب تكمن فى أن طريقة الإمام الحداد فى الدعوة العامة والخاصة هى الطريقة التى عليها أكثر المشائخ المعتمدين اليوم، والتى اتفق القاصى والدانى على أنها الصالحة لهذا العصر، ولا تصلح له غيرُها. ومن هنا كان للتعريف بالإمام الحداد وطريقته الأهمية الكبرى. وقد توخينا الوضوح والإيجاز، ولم يكن ما أوردناه إلا قطرة من بحر محيط.

وكان جل اعتمادنا على ما جمعه الشيخ أحمد الشّجار من كلام الإمام فى مؤلفه « تثبيت الفؤاد »، وعلى مكاتبات الإمام ومؤلفاته، ثم على ترجمته الكبرى، المسماة « غاية القصد والمراد.. » من تأليف السيد الإمام محمد بن زين بن سميط. وكلام الإمام فى مؤلفاته ومكاتباته باللغة الفصحى العالية، أما مانقله عنه الشيخ الشجار فى « تثبيت الفؤاد » فبعضه باللهجة الحضرمية وقد تركناه على ماهو عليه والمعانى واضحة بإذن الله تعالى.

وقد قُرِىء كلٌّ فصْلٍ من فصول هذا الكتاب على السيد الإمام الداعية أحمد مشهور بن طه الحداد- جزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً كثيراً- وذلك حرصاً منا على أن يأتى كل ما فى الكتاب موافقاً لمراد الإمام الحداد، ولمنهجه.

ولقد تركنا ذكر الكرامات وخوارق العادات، ولو أنها بالنسبة للإمام الحداد بلغت مبلغ التواتر، ونقل منها السيد محمد بن زين مائتين وثمانى وثمانين كرامة فى « غاية القصد والمراد » وهى ماتمكّن من جمعه فى السنوات الأخيرة من حياة الإمام وبعد وفاته. وقبل ذلك جمع أحد أصحاب الإمام بعض كراماته فى كراسة وأطلعه عليها، فما كان منه إلا أن أمره بغسلها فى الماء حتى تذوب. وقد روى عن الإمام أنه قال: « طلب المناقب شأن الصغار وفراكات المغازل.» وقال: « الأمور الخوارق للعادة ما هى بعيدة فى كرم الله وقدرته لمن أكرمه، ولا هى بعيدة من أفعال الشياطين، والعمدة على الاستقامة ».

ولقد كان صاحب الفكرة الأولى لهذا المؤلَّف، السيد الفاضل « سقاف بن على الكاف »، إذ

كان صاحب الفضل الأكبر فى تشجيعنا على الإقبال على هذا العمل، الذى لم يكن ليخطر لنا على بالٍ، فجزاه الله عنا خيراً، وولده « محمد بن سقاف » الذى مد لنا يد العون فى تخريج بعض الأحاديث الواردة بالكتاب.

وقد ألحقنا بالكتاب بياناً بالآيات القرآنية الكريمة، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة بترتيب ورودها فى المتن، تليهما تراجم الأعلام مرتَّبةً أبجدياً.

نسأل المولى عز وجل أن يتقبل منا، ويغفر لنا مانعلم ومالا نعلم. إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ومنه التوفيق، وإليه المصير.

مصطفى حسن البدوى

الفصل الأول

سفينة نوح

(ألا إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.)

هكذا وصف رسول الله ﷺ، أهلَ بيتِهِ. والنبىُّ ﷺ أوتى جوامع الكلم، فحديثه قليل الكلمات كثير المعانى، لم يتحدث قط عبثاً وكل كلمة نطق بها ﷺ، إنما هى لفائدة المسلمين، السابقين منهم واللاحقين. فكيف ينبغى لنا إذن أن نفهم هذا الحديث؟ وماذا يعنى تشبيهه لأهل بيته بأنهم سفينة نوح، وما الغرض المستفاد من إخباره ﷺ، أن من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق؟

لكى نجيب على هذه الأسئلة، يجب علينا أن نبحث عن النصوص من الكتاب والسُّنة، التى منها تعرف خصائص أهل البيت، وصفاتهم التى جعلتهم سفينة نوح لهذه الأمة، ثم لابد من تحديد من هم المقصودون بلفظ أهل البيت. وأخيراً يجب تحديد ماعلى المسلم عمله لكى يدخل هذه السفينة، ولا يكون من المتخلفين عنها فيهلك.

إن النصوص من الكتاب والسُّنة تقول إن من خصائص أهل البيت أنهم مطهرون من الرجس، وأنهم ورثة النبى ﷺ حسّاً ومعنىً، أى وراثة جسمانية، ووراثة خُلقية، ووراثة علمية، وأنهم مستودع علوم النبّوة، وأسرار القرآن إلى يوم القيامة، وأنهم أمان لهذه الأمة، وقدوة حسنة، إلى غير ذلك من الخصائص التى تظهر بمطالعة النصوص المذكورة.

قال الله تعالى: **﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيرا ﴾**.

وقال الصحابى الجليل سيدنا جابر بن عبد الله رضى الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء، يخطب، فسمعته يقول: [ياأيها الناس، قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى.])

أما حديث غدير خم، فقد أخرجه « مسلم » و« الترمذى » و« أحمد » و« الحاكم » عن سيدنا «زيد بن أرقم » رضى الله عنه، وفى رواية « مسلم » : [أمّا بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتى رسولُ ربى فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله، ورغّب فيه، ثم قال ﷺ: وأهل بيتى أذكِّركم الله فى أهل بيتى، أذكِّركم الله فى أهل بيتى]. وفى رواية « الترمذى » : [إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما.] فإن ذكرنا فى هذا المقام أن النبى ﷺ « كان خُلقه القرآن » وأن السُّنة المطهرة إنما هى تبيان تفصيلى لما أُجْمِل فى القرآن، وإظهارٌ – فى عالم الظهور – لمعانيه الغيبية.

وإن ذكرنا الحديث الذى يقول: [تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ].

ثم ذكرنا قول المفسرين فى الآية: ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** ﴾. إن العروة الوثقى هى السبب الموصل إلى الله تعالى، وهو الإيمان والقرآن، فإن القرآن ـ كما فى الحديث ـ حبل ممدود من السماء إلى الأرض.

ثم قول الإمام « جعفر الصادق » ، رضى الله عنه: « إن حبل الله الذى يُعتصم به إنما هو أهل البيت »*. علمنا أن المقصود من كل هذه المعانى شىء واحد. فالقرآن بيانه فى السُّنة المطهرة، وعلمه فى أهل البيت، حتى يردا علىّ الحوض يوم القيامة، فهو حبل ممدود من السماء، وهم حبل ممدود إلى

---

* قال الإمام جعفر الصادق: (نحن حبل الله الذى قال الله عز وجل: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا**﴾) آل عمران: ١٠٣ . ذكره العلامة السيد على بن عبد الله السمهودى ، المتوفى سنة ٩١١هجرية فى كتاب « جواهر العقدين فى فضل الشرفين » القسم الثانى من الجزء الأول ص ١٢٦ .

السماء، فمن استمسك بهم فقد استمسك بالقرآن، ومن استمسك بالقرآن فقد تعلق بكلام الله القديم، ومن تعلق بالقديم فقد ركب سفينة « نوح » التى تخرجه من أمواج بحر الأوهام والضلالات والحوادث والفتن، وتدخله دار الأمان والبقاء.

ثم أخبر النبى ﷺ، تأكيداً لهذا المعنى، أن الإمام علياً، رضى الله عنه، وهو أصل أهل البيت وأفضلهم، وأعلاهم قدراً، إنما هو مدخل المؤمنين إلى علوم القرآن. فقال ﷺ: [أنا مدينة العلم وعلىٌّ بَابُهَا، فمن أراد المدينة فليأتِ البابَ]. وقالت أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضى الله عنها: (سمعت رسول الله ﷺ، يقول: [علىٌّ مع القرآن، والقرآن مع علىّ، لن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض.]).

ويتأكد هذا المعنى بصورة أكثر تفصيلاً فى حديث « ابن عباس » رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ، قال: [من سرّه أن يحيى حياتى، ويموت مماتى، ويسكن جنة عدن التى غرسها ربى، فليوالِ علياً من بعدى، وليوالِ وليَّهُ، وليَقْتَدِ بأهل بيتى من بعدى، فإنهم عترتى، خُلقوا من طينتى، ورزقوا فهمى وعلمى، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لاأنالَهم اللهُ شفاعتى.]

وفى هذا الحديث فوائد كثيرة، منها الإشارة إلى أن أهل البيت هم الذين خلقوا من طينته الشريفة ﷺ، فهذه هى الوراثة الجسمانية. وهم الذين رُزِقوا فهمه وعلمه، وهذه هى الوراثة المعنوية. وأن «علياً» رضى الله عنه أولهم، وأن من والاه داخلٌ فى زمرتهم. وأن صلتهم من صلته ﷺ. وهذا الحديث، وإن كان ضعيفاً فى روايته، فقد جمع من الخصائص والإشارات مايوجد متفرقاً فى أحاديث أخرى صحيحة كثيرة.

اختلف بعض العلماء فى آية: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس** ... ﴾ من المقصود بها؟ فقال بعضهم هن أمهات المؤمنين رضى الله عنهن، وقال آخرون: هم بنو « عبد المطلب ». إلا أن كثرة الأحاديث الدالة على أنهم أهل « **الكساء** »، لاتدع مجالاً للريب فى هذا الأمر. ومنها مارُوى عن السيدة « عائشة » الصدّيقة، رضى الله عنها، أنها قالت: (خرج النبى ﷺ، وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علىّ فأدخله، ثم قال: [إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.]).

وقالت السيدة « أم سلمة »، رضى الله عنها: (فى بيتى نزلت ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت..** ﴾ فأرسل رسول الله ﷺ إلى علىٍّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال ﷺ: [هؤلاء أهل بيتى.]) وهناك طرق أخرى كثيرة لهذا الحديث، يدعمها ما رُوى من أن النبى ﷺ، ظل ستة أشهر، بعد نزول هذه الآية الكريمة، يمر على منزل السيدة « فاطمة » رضى الله عنها، يوقظهم للصلاة تالياً هذه الآية. كما يدعمها ما رُوى من حديث « المباهلة » حين خرج ﷺ لمباهلة نصارى « نجران » فى صحبة « علىّ » و« فاطمة » و« الحسن » و« الحسين » رضى الله عنهم، فعلم أنهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿ **فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾.

فقد أخبر النبى ﷺ، مراتٍ عديدةً أن الحسن والحسين إبناه، وكذلك أخبر أن: [فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى.] فكان أولاد « الزهراء » رضى الله عنها بضعة منه، ثم بضعة من بضعة من بضعة، إلى يوم القيامة. ولفظ « أهل البيت » يحتمل معانٍ كثيرة، فإذا أُطلِق وجب تقييده.

فمما لاشك فيه أن أمهات المؤمنين رضى الله عنهن من أهل البيت. ومما لاشك فيه- أيضاً- أن من حرمت عليهم الصدقة، وهم آل « علىّ » وآل « جعفر » وآل « عباس » من أهل البيت، فلقد قال ﷺ: [إنّا آل محمد لاتحل لنا الصدقة.] ولذلك قال الإمام « السيوطى » رضى الله عنه: « إن اسم الشريف كان يُطْلَق فى الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت، سواء كان حسنياً أم حسينياً أم علويّاً من ذرية محمد بن الحنفية، وغيره من أولاد « على بن أبى طالب »، أم جعفرياً أم عقيلياً أم عباسياً. ولهذا تجد تاريخ « الحافظ الذهبى» مشحونا فى التراجم بذلك. يقول: الشريف العباسى، الشريف العقيلى، الشريف الجعفرى، الشريف الزينبى، فلما وُلىّ الخلفاء الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط، فاستمر ذلك بمصر إلى الآن »*

---

* الحاوى للفتاوى. الجزء الثانى ص ٣٢.

وأما الإمام « الحداد » فيقول فى رسالة « إتحاف السائل بجواب المسائل » : (.. وآله هم أقاربه الجامعون بين النسبة الطينية والدينية، فهم أولى الناس به، وأحب الناس إليه. وقد فرض الله على الأمة حبهم ومودتهم، وأكرمهم بالتطهير عن الرجس.) وقد أتى الإمام « الحداد » هنا بلفظ « **الآل** ». ولفظا « **الأهل** » و« **الآل** » قد يأتيان بمعنى واحد، وقد يعطِى لفظ الآل معنًى أكثر اتساعاً، فيشمل– بالإضافة إلى نسبة القرابة– نسبة الولاء والتعلق والاتّباع، كما فى قوله تعالى: ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون** ﴾.

وقال جل شأنه: ﴿ **ولقد جاء آل فرعون النذر** ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ **النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾.

فلفظ « الآل » فى هذه الآيات يطلق على كل من كان على دين فرعون، وكل من أطاعه فعاونه على معاداة سيدنا موسى عليه السلام وبنى إسرائيل.

وقد أدخل الرسول ﷺ سيدنا « سلمان الفارسى » رضى الله عنه، فى دائرة أهل البيت بقوله: [سلمان منّا أهل البيت.] ولايمكن القول بأن هذه خصوصية لاتتعدى سيدنا « سلمان » إلى غيره، لما ورد من أن الرسول ﷺ لما دعا لأهله وذكر « علياً » و« فاطمة » وغيرهما، قال له سيدنا «ثوبان» رضى الله عنه: « يارسول الله أنا من أهل البيت؟» قال: [نعم، مالم تقم على باب سدة أو تأتى أميراً تسأله.] ولما كانت هذه النسبة ليست بالأصالة كنسبة الإمام « على » والسيدة «فاطمة»، كانت تتأثر بالاعتماد على غير الله ورسوله، وسلوك غير السبيل المرضية، والوقوف على باب الأمراء أو غيرهم.

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: [أما أنت ياجعفر، فأشبه خلقك خلقى وأشبه خُلقى خُلقك وأنت منى شجرتى. وأما أنت ياعلىّ، فختنى وأبو ولدىّ، وأنا منك وأنت منى. وأما أنت يا زيد، فمولاى ومنى وإلىّ، وأحب القوم إلىّ.]

وعن أبى عامر الأشعرى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: [نعم الحىّ الأزد والأشعريون. لايفرّون فى القتال ولايغلون، هم منّى وأنا منهم.]

وعن أبى إمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [يا أبا إمامة، أنت منى وأنا منك.]، وعن

أبى رافع رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: [إن الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد. وإن مولى القوم منهم، أو من أنفسهم.]، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: [يا أبا رافع، إن الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد. وإن موالى القوم من أنفسهم.]، وعن طهمان مولى رسول الله أنه ﷺ قال: [يا طهمان، إن الصدقة لاتحل لى ولأهل بيتى، وإن مولى القوم من أنفسهم.]، وعن عليّ كرّم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: [لا تسبّوا جرير بن عبد الله. إن جريراً منّا أهل البيت.]، وعن أنس رضى الله عنه قال: (كان للنبى ﷺ موليان: حبشىّ وقبطىّ؛ فاستبّا، فقال أحدُهما: يا حبشى، والآخر: ياقبطى.. قال النبى ﷺ: [لا تقولا هكذا، إنما أنتما رجلان من آل محمد.]). وقال العلامة الألْوَسىّ رحمه الله فى تفسيره « روح المعانى » الجزء الثانى والعشرين ص١٥: (جاء فى رواية صحيحة أن واثلة قال: « وأنا من أهلك يا رسول الله؟ » فقال ﷺ: [وأنت من أهلى.] فكان واثلة يقول: « إنها لمن أرجى ما أرجو.»)

وكذلك قال الرسول ﷺ: [إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ.] فأثبت لهم وراثة العلم، وهذه لاشك نسبة لها اعتبار.

والحاصل أن لفظ « أهل البيت » لاينطبق، بالأصالة وبكامل معانيه وأبعاده، إلا على أهل الكساء، ويدل على ذلك تعدد الوقائع التى أدخلهم فيها الرسول ﷺ، تحت ردائه قائلا: إنهم هم أهل البيت، ثم ينطبق على ذريَّة الإمامين الحسن والحسين، لقوله ﷺ: [لكلِّ بَنِى أُمٍّ عُصْبَةٌ إلا ابْنَىّ فاطمة، أنا وليهما وعصبتهما.]، ولم يشمل هذا الحديث أختهما السيدة « زينب » رضى الله عنها، ولا السيدة « أمامة » حفيدته من ابنته « زينب » رضى الله عنها.

ولذلك فإن لفظ « السيد » إذا أطلق يعود على ذرية « الحسنين » رضى الله عنهما. وهذه الذرية هى المقصودة بالأحاديث المشيرة إلى بقاء علم الكتاب فى أهل البيت إلى يوم القيامة.

وللإسلام انتشار مكانى [**جغرافى**] عبر البلدان والقارات، واستمرار زمنى [**تاريخى**] عبر السنين والقرون. ولقد انتشر الإسلام الانتشار الأول على أيدى الصحابة، ومن تبعهم من القرون الثلاثة

الفُضْلَى. ثم فتح الله على الأمة بالدنيا، وبدأ الناس ينغمسون فيها وفى طلبها، وبعد أن كان الصحابة والتابعون كلهم من الدعاة بالكلمة والقدوة، أصبح لايقوم بالدعوة فى كل قرن من الأمة إلا قليلٌ.

فإذا نظرنا إلى مابعد القرون الثلاثة الأولى، وجدنا أن الله جعل فى هذه الأمة من العلماء ما لم يجعله فى أيٍّ من الأمم الأخرى. وصار كل علم من العلوم له أهل. وظهر لعلوم التفسير أئمة، ولعلوم الحديث أئمة، ولعلوم الفقه أئمة، إلى آخر العلوم المعروفة.

وكذلك دعوة الخلق إلى الحق، والسير بالناس إلى ربهم، صارت معروفة باسم « التصوف ». وكان لأهل التصوف الفضل الأكبر فى انتشار الإسلام جغرافياً، فى البلدان التى لم تُفتح عسكرياً، مثل «الهند» و« أندونيسيا » وسائر« آسيا »، و« إفريقيا »، شرقها وغربها. كما كان لأهل التصوف الفضل الأكبر فى استمرارية الدعوة عبر الأزمنة، وتجديد مايضعف أو يندرس منها.

فإذا نظرنا إلى أهل التصوف، وجدنا أنه بعد انقضاء وقت «المحاسبى» و«الجنيد» و«الشبلى»، لم يعد أكابر الدُّعاة إلا من الأشراف الحسنيين والحسينيين، حتى إذا كان عصر «الجيلانى» و«الرفاعى»، ثم «الشاذلى» و«البدوى»، أصبحت هذه حقيقة جلية، واستمر هذا النمط إلى وقتنا هذا.

ومما هو مُشَاهَد ملحوظ أن غيرهم من الأكابر- وهم بالنسبة إليهم قلة- أكثرهم من ذريَّة «الصدّيق» ثم « الأنصار»، رضى الله عنهم أجمعين.

من هذا يتضح أن ما ورثه الإمام « علىّ بن أبى طالب » من علمٍ انتقل منه إلى ولديه الإمامين «الحسن » و«الحسين»، وإلى آخرين ممن علَّمَ، وأشهرهم «الحسن البصرى». ثم ورَّثه هؤلاء إلى جيل بعد جيل، من الأكابر من أهل البيت، ومن غيرهم. حتى تناسل الأشراف وتكاثروا، فاضمحل دور غيرهم فى حفظ هذه التركة النبوية، وصارت فيهم يتوارثونها إلى حين يلقون جدهم ﷺ على الحوض.

ثم إذا نظرنا إلى « **الوراثة النبوية** »، وجدناها تنقسم إلى خِلقية، وخُلُقيّة، وعلميّة.

فأما الأولى: وهى وراثة الصفات الخِلْقية، فعن أم المؤمنين « عائشة »، رضى الله عنها، أنها قالت: « ما رأيت أحدا كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة ». وقالت: « فأقبلت فاطمة

تمشى ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ »

وعن سيدنا « أنس بن مالك » رضى الله عنه، قال: « لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على ». وعن سيدنا « على » رضى الله عنه، قال: « الحسن أشبه برسول الله ﷺ مابين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ، ماكان أسفل من ذلك ». وروى «البخارى»: أن سيدنا «أبابكر الصديق » رضى الله عنه، حمل الحسن، وهو يقول: « بأبى، شبيهٌ بالنبى ﷺ، وليس شبيها بعلىّ. وعلىّ يضحك ».

وأما عن **الثانية**، وهى وراثة الخُلُق: فقد ورد أن السيدة « فاطمة » رضى الله عنها، أتت أباها بالحسن والحسين، فى شكواه التى مات فيها، فقالت: « تورّثهما شيئاً؟ »، فماذا كانت الزهراء رضى الله عنها تعنى بسؤالها هذا؟ أكانت تريد أباها ﷺ، أن يورثهما مالاً أو مُلْكاً؟ أكانت تطمع أن يعطيهما شيئاً من الدنيا، وهى التى أخبر عنها ﷺ أنها من القليلات الكاملات من النساء، أى أنها بلغت مرتبة الصدّيقية التى ليست فوقها إلا النبوّة؟* كلا، فإن الدنيا ومافيها، فى أعين أهل الولاية الكبرى، أقل من جناح بعوضة. وحياة الزهد والتقشف التى عاشتها الزهراء، فى كنف أبيها، معروفة لاتحتاج إلى مزيد تعريف، ولذلك أجابها النبى ﷺ بما يرضيها، ويحقق رغبتها، فقال: [أمّا الحسن فله هيبتى وسؤددى، وأمّا الحسين فله جرأتى وجودى.]

ومن هذا القبيل صفة السيادة، إذ قال النبى ﷺ: [أنا سيد ولد آدم ولا فخر]، وقال سيدنا «عبد الله بن عباس» رضى الله عنهما: (نظر النبى ﷺ، فقال: [ياعلى أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة.]، وقال النبى ﷺ عن سيدنا « الحسن بن على » رضى الله عنهما: [ابنى هذا سيد، وسيُصْلِح اللهُ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.]

---

* قال ﷺ: [كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد.] رواه البخارى ومسلم.

وقال ﷺ : [الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما.] ولهذا صح قول العلماء عن ذرية الإمامين الحسن والحسين، رضى الله عنهما، أنهم سادات الناس فى الدنيا والآخرة، على تفاوتهم فى درجة السيادة. أن سيادة الرسول ﷺ، على سائر خلق الله مطلقه، وأقل منها سيادة سيدنا الإمام « على » رضى الله عنه، ثم ابنيه الحسن والحسين رضى الله عنهما، كما يُفهم من قوله ﷺ : [وأبوهما خير منهما.]، ثم ذريتهما وفيها الفاضل والأفضل.

وأما **الثالثة** وهى وراثة العلوم النبوية فقد مرت الأحاديث المشيرة إلى أنها فى أهل البيت إلى يوم القيامة. ومن خصوصيات أهل البيت، كما أخبر النبى ﷺ : [النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس].

ومن خصوصياتهم، أنّا أُمِرنا بالصلاة عليهم بعد الصلاة على النبى ﷺ، وذلك أثناء الصلاة المكتوبة وخارجها.

إذن أهل البيت النبوىّ، المُشبَّهُونَ بسفينة « نوح »، يمثلون امتداد النور المحمدى فى الأمة عبر الزمان، ولذلك نقول اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، ولذلك يقول الله تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القُرْبَى﴾** ولذلك أمرنا الرسول ﷺ بمحبتهم، وموالاتهم، وخدمتهم، والذَّبِّ عنهم. وأخبر أن المؤمن حقاً من أحبَّهُ وأحبَّهم، والمنافق حقاً من أبغضه وأبغضهم.

قال ﷺ : [أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَمٍ، وأحبونى بحب الله، وأحبوا أهل بيتى بحبى.] والنعمة العظمى هى الإيمان الذى ينجى من النيران، فالنعمة العظمى إذن هى الرحمة المهداة، النبى الذى جاء بالقرآن، ثم من بعده أهل بيته الكرام. وكون هذه المحبة تنفع صاحبها، يدل عليه قوله ﷺ : [أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتى ولأصحابى.] وقوله ﷺ : [أنا وفاطمة والحسن والحسين مجتمعون ومن أحبنا يوم القيامة، نأكل ونشرب حتى يُفرِّقَ بين العباد.]

وكما أن محبتهم سعادة، فبغضهم شقاء. فقد قال ﷺ : [يابنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدى ضالكم، وأن يعلم جاهلكم. وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء

رحماء، فلو أن رجلاً صفنَ بين الركن والمقام، فصلّى وصام، ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد، دخل النار] وقال ﷺ: [والذى نفسى بيده، لايبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار.]

والسبب فى ذلك واضح جلىّ، لاخفاء فيه، فإن من أحب الله أحب رسوله، ومن أحب رسوله أحب كل من يحبه ﷺ. ومن أحب الله أحب لقاءه، ومن أحب لقاء الله علم أنه لن يصل إليه إلا باتّباع النبى ﷺ فى كل كبيرة وصغيرة. فلا يكون حينئذ أحب إليه منه، وممن يقربه إليه ويدنيه منه، وهم الصالحون من أهل البيت والعلماء العاملين رضى الله عنهم أجمعين.

وجعل المولى عز وجل هذه المحبةَ أصلاً للإيمان، فلا يكون إيمان إلا بها. وأخبرنا بذلك النبى ﷺ، فقال: [لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده، والناس أجمعين.] وبذلك نفى ﷺ الإيمانَ عمّن لا محبة له. وعكْسُ المحبة البغض، فمن كان يبغض أهل البيت، فهو مبغض للرسول ﷺ، وبالتالى مبغض لله سبحانه وتعالى، لا يرجو لقاءه، ولا يسعى فى رضاه، فلا إيمان له، ولا عمل يُقبل منه، ومصيرُه إلى النار.

وقد علم الصحابة مقام أهل البيت، فقال الصدّيق، رضى الله عنه: « ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته » وقال رضى الله عنه: « والذى نفسى بيده لَقَرابة رسول الله ﷺ، أحب إلىّ من أن أصل قرابتى.»

ورُوِى أن سيدنا « الحسين » رضى الله عنه، ذهب إلى بيت أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه، فوجد ابنه « عبد الله » على الباب، لم يؤذن له فرجع، قال: [فلقينى بعد، فقال: يابنى لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئتك وأنت خالٍ بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجعَ، فرجعتُ. فقال: أنت أحق بالإذن من ابن عمر، إنما أنبت فى رءوسنا، ما ترى، اللهُ ثم أنتم. ووضع يده على رأسه.] وكان الفاروق، رضى الله عنه، يقدم أهل بيت النبوة دائما على سائر الناس. وفى قوله هذا إشارة إلى علمه بأن مايجىء من خير، حتى الشّعر وماينبته فوق الرءُوس، إنما هو ببركة النبى ﷺ، ثم أهل بيته الذين طُهِّروا تطهيراً، ويصلى عليهم جميعُ المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

الفصل الثانى

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

يقول المولى عز وجل: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾. وروى البخارى أنه لما سُئل النبى ﷺ: أى الناس أكرم؟ قال: [أكرمهم عند الله أتقاهم.]، ورُوِى عنه ﷺ أنه قال: [المسلمون إخوة، لافضل لأحدٍ على أحد إلا بالتقوى]. والأحاديث فى هذا الباب كثيرة.

وقد يتوهم البعض أن مثل هذه النصوص تعارض ماذكرناه فى الفصل الأول من خصوصيات أهل البيت المطهر. وهذه الشبهات سببها الجهل بالعلوم الدينية، والتأثر بالأفكار الاشتراكية وغيرها الآتية من الغرب الملحد.

وهنا يجب أن نذكر أن الخصوصية لا تقتضى الأفضلية المطلقة، وأن ماظاهره الإطلاق، من النصوص، لا يؤخذ على إطلاقه، طالما وُجِد ما يقيّده من نصوص أخرى. فعلى سبيل المثال، إذا ذُكِر حديث: [خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى.]. فلا يُتْرَك على إطلاقه، بل يقيّد. فإن الخيرية هنا لها شروط، فإن كان مسلماً لايصلى، ولايزكى، ولكنه خير الناس لأهله، فلن يكون له– بدون أدنى شك– أفضلية على من يصلى ويزكى، ولكنه أقل خيرية لأهله.

وهكذا إذا قلنا إن الإسلام دين المساواة، فيجب تقييد ذلك بأن المساواة هنا ليست مطلقة، فإن مَنْ وُلِدَ نبياً، لا يستوى مع من لم يولد نبياً، ومن ولد بصيراً لا يستوى مع من ولد أعمى، ومن ولد ذكياً لا يستوى مع من ولد سفيهاً، ومن ولد حُرّاً لا يستوى مع من ولد عبداً، ومن ولد ذكراً لا يستوى مع من وُلِدت أنثى.

فهذه كلها أمور **وَهْبِيَّة**، قَدَّرها الله فى علمه، لا تدخل بديهة فى إطار المساواة؛ وعدم المساواة فى الأمور التى ذكرناها، تقتضى عدم المساواة فى الأحكام الشرعية. فحكم النبى فى الشرع، غير حكم

سائر الأمة فى أمور عديدة. وكذلك حكم العاقل غير حكم السفيه، وحكم الحر غير حكم العبد، وحكم الذكر غير حكم الأنثى. فكل هؤلاء يستوون من نَوَاحٍ، ويتباينون من نَوَاحٍ أخرى.

أما فى الأمور **الكسبية**، فالتباين والتفاضل من كسب العبد لا من هبة الرب. يقول تعالى: ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة** ﴾. ويقول تعالى: ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً، لا يستوون** ﴾. ويقول تعالى: ﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾. ومن هنا نشأت أنواع أخرى من التباين. فحكم المحسن غير حكم المسىء، وحكم المؤمن غير حكم الكافر، وحكم العالِم غير حكم الجاهل، والتفصيل فى هذا يطول.

ولله عز وجل اصطفاءات كثيرة، فيقول تعالى: ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾ فاصطفى تعالى من البشر، مَنْ جعلهم أنبياء، فضلاً منهُ ومِنَّةً، بلا كسب منهم ولا اجتهاد.. وكذلك اصطفى، من غير الأنبياء، آل « إبراهيم » وآل « عمران » على العالمين.

فأما سيدنا « إبراهيم » الخليل عليه السلام، فقد قال عنه المولى عز وجل: ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتَمَّهُنّ قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين** ﴾ . وسأل الخليل ربه أن يجعل الأئمة من بعده من ذريته، فأجابه الله إلى ذلك، إلا أنه بيَّن أن من كانوا منهم من الظالمين، لن يكونوا أئمة يُقتدى بهم. ثم بيَّن أن هؤلاء الأئمة سوف يكون منهم الأنبياء وغير الأنبياء. فقال تعالى: ﴿ **وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب** ﴾ أى الأنبياء والعلماء من حملة علوم الكتاب.

وأما السيدة « مريم » عليها السلام، فقد قال الله تعالى عنها: ﴿ **يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين.** ﴾ فالاصطفاء الأول، هو أن جعلها الله عز وجل ممن اصطفى من آل «عمران »، وجعلها من العابدات القانتات المقربات. وأما الاصطفاء الثانى، فبأن جعلها أُمّاً لسيدنا «عيسى » عليه السلام، وهو من أُولِى العزم من الرسل، وذلك بلا أب، وجعلهما سويا آيةً للعالمين.

ثم إن الله اصطفى من الأمم، الأمة المحمدية فجعلهم أتباع سيد المرسلين ﷺ، وهذه خصوصية، ويالها من خصوصية! وقد قال ﷺ: [أنا حظُّكم من الأنبياء وأنتم حظِّى من الأمم .] ولكونها أمة سيد

الخلق ﷺ، جعل الله لها من الخصائص الشريفة ما لا يعد ولا يحصى، وذلك من قبل أن يولدوا فى الدنيا، وتكون لهم الأعمال والحسنات. فمن هذه الخصائص أن جعلهم سبحانه وتعالى أمة وسطاً، وجعلهم شهداء على الناس، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وذكرهم فى الكتب السابقة. وجعلهم لا يجتمعون على ضلالة أبداً، ووعدهم أن لا يهلكهم بجوع، ولا بغرق. وأراد بهم اليسر ولم يرد بهم العسر، فجعل الشريعة المحمدية سمحاء، أحكامها أيسر من أحكام من مضى من الأمم. وشرّع لهم الصلاة على النبى ﷺ، بما فيها من الثواب والأنوار والبركات، وإلى غير ذلك من الخصائص. وهذه كلها خصائص وهبيّة لا كَسْبيّة.

ومن الأمة المحمدية، اصطفى الله العربَ، ومن العربِ قريشاً، ومن قريش بنى « هاشم ». قال ﷺ: [إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم.] وأخرج أحمد والترمذى: [إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم.]

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس: [خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بنى عبد مناف بنو هاشم، وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب، والله ما افترق شعبتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما.]

وقال ﷺ: [قريش خاصة الله تعالى، فمن نصب لها حرباً سُلِبَ، ومن أرادها بسوء خَزِى فى الدنيا والآخرة.]

وقال ﷺ [حبُّ قريشٍ إيمانٌ وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر، ومن أحبَّ العرب فقد أحبنى، ومن أبغضهم فقد أبغضنى.]

أما اصطفاء أهل بيت النبوة، فبقوله تعالى: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ فإنه ما من شريف إلا وهو موعود بالتطهير مما قد يجرى عليه من صور الإساءة، وموعود بحسن الخاتمة.

وكذلك ما ظاهره التعارض من النصوص، يسهل فهمه إذا قيّد كل مطلق، ووضع كل شيء في موضعه.

فإن الله تعالى يقول: ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾، أي الخير والشر والحسنات والسيئات، إثبات للتوحيد التام، وإرجاع جميع الأمور إلى الله.

ثم يقول عز وجل في الآية التي تليها: ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ . فأَرْجَعَ السيئةَ إلى من فعلها، فأثبت للخلق عملاً. ويقول تعالى: ﴿ **قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل** ﴾ ويقول تعالى: ﴿ **ومن يضلل اللهُ فما له من هادٍ** ﴾

فأَرْجَع الهداية والضلالة- في الآية الأولى- إلى المخلوق، وفي الثانية إلى الخالق. ومثل هذه الآيات كثيرة جداً في القرآن.

وهذه الآيات ظاهرها التعارض، إلا أنه من المعلوم أن التحدث من منطلق التوحيد الكامل، يوجب إرجاع جميع الأمور إلى الله. أما التحدث من منطلق إثبات الأسباب، فيوجب إثبات الأعمال للخَلْق. والتحدث بالأسلوب الأول حقيقي، وبالأسلوب الثاني مجازي.

وكذلك قال النبي ﷺ: [يابني كعب بن لؤي انقذوا أنفسكم من النار، يابني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار، يابني هاشم انقذوا أنفسكم من النار، يافاطمة انقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبْلُها بِبَلاها.]

فها هو النبي ﷺ يقول لعشيرته: [لا أملك لكم من الله شيئاً]. ويريدهم أن يعملوا لآخرتهم، ويحثهم على إنقاذ أنفسهم من النار. وهو في هذا الحديث تكلم ﷺ، من منطلق العبودية التامة، والتبرّي من الحول والقوة، وإثبات القدرة لله وحده. وهذا هو واقع الأمر وحقيقته، إلا أنه ﷺ قال،

أيضاً: [ما بال أقوامٍ يزعمون أن قرابتى لاتنفع! إن كلَّ سببٍ ونَسَبٍ منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى، وإن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة.]. فأثْبَت ﷺ ماوعده الله به، من الشفاعة فى الدنيا والآخرة، وأنه سوف يرضيه، فلا يسوءُه فى أحد من أهل بيته، فقد قال ﷺ: [وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقَرّ منهم بالتوحيد، ولى بالبلاغ، أن لا يعذبهم.] فهل يقول عاقل إن النبى ﷺ لا يملك لأهل بيته شيئاً، فى الدنيا ولا فى الآخرة؟ أم يأخذ عاقل بالحديث الثانى فقط فيقول إن للنبى ﷺ القدرة على نفع من اتصل به نسباً وحسباً قدرةً ذاتية مستقلة عن قدرة الله تعالى؟

وكيف يقول ﷺ « لفاطمة »: انقذى نفسك من النار. وهو الذى أخبرها أنها من الكاملات من النساء، وأنها سيدة النساء وسيدة أهل الجنة؟

وكيف يخطب سيدنا « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ابنة الإمام « علىّ » كرم الله وجهه، قائلاً إنه سمع الرسول ﷺ يقول: [كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببى ونسبى.] وهو أحد العَشْرة المبشرين بالجنة، وهو الموعود بأن يكون عن يسار النبى ﷺ، يوم القيامة، بينما « الصدّيق » يُبْعَثُ عن يمينه؟* ما كل ذلك إلا لأنهم إذا شهدوا عظمة الله وجلاله، وطلاقة قدرته، وطلاقة إرادته، وشهدوا المخلوقات عَدَماً محْضاً؛ قالوا: ﴿ **وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم.** ﴾

وإذا شهدوا رحمة الله، وما حباهم به من النعم الكبرى، والمقامات العُلا، وما وعدهم به من إتمام نعمته، تحدّثوا بهذا وأثبتوا لأنفسهم ما أثبته الله لهم.

وقد تحدث الإمام « عبد الله الحداد » عن خصوصيات أهل البيت فى قصائده، فقال فى إحداها:

نعرَفُ البطحاءَ وتعرِفُنـا والصّـفا والبـيتُ يألـفُـنا

---

* عن ابن عمر « أن رسول الله ﷺ، خرج ذات يوم فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: [هكذا نُبْعَثُ يوم القيامة.] رواه الترمذى والحاكم، والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة. وروى الترمذى والحاكم أنه قال ﷺ: [أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر ثم عمر.]

ولنَـا المَعلى وخيـفُ منَى فـاعلمـنْ َ هـذا وكنْ وكنِ
ولنــا خـيـرُ الأنَـامِ أبُ وعليٌّ المرتـضَى حَسَـــبُ
وإلى السِّبطيْنِ ننـتَـسِبُ نسباً مافيـه من دخــــنِ

إلى أن قال:

أهل بيت المصطفى الطهر هم أمـان الأرض فادكــر
شُبّهوا بالأنجم الزهــــر مثل مــاقد جاء فى السنن
وسـفين للنجـــاة إذا خفت من طوفان كل أذى
فانجُ فيها لاتكُـن كـذا واعـتـصم بالله واستـــعنِ

فـأثبت الإمـام رضى الله عنه، كـثيـراً من خـصوصيـات أهل البيت، التى وردت فى الأحـاديث الشريفة، ثم جمع بين إثبات الأسباب والتوكل على الله وحده، فقال:

فـانج فيـهـا لاتكُن كذا واعتـصم بالـلـه واستعـن

ثم قيد ماقيل بقيده الشرعى فقال:

ثـــم لاتـغـتر بالنسـب لا ولا تـقـنـع بكـــان أبى
واتبع فى الهدى خير نبى أحمد الهـادى إلى السـنـن

وقد كتب رضى الله عنه عن هذا، فى الفصل الخامس والعشرين من « الفصول العلمية والأصول الحكمية »، فأثبت الأمر من جميع وجوهه، فقال: (لا ينبغى لأحد ممن يعول عليه أن يعظم ولا أن يثنى على الجاهل، وإن كان ممن له نسب شريف وسلف صالح. فإن تعظيمه والثناء عليه فى الظاهر، قد يفتنه فى دينه ويغره بالله، ويزهده فى العمل الصالح، ويلهيه عن التزود لآخرته. ويكون الذى يعظمه ويثنى عليه سبباً فى فتنته وغروره، وكالساعى فى هلاكه، فيستوجب بذلك السخط من الله ورسوله، ومن السلف الصالحين الذين ينسب إليهم، ويتشرف بهم ذلك الجاهل.

وكيف يغتر أحد بنسب مجرد عن التقوى؟ أو يعتمد عليه، بعد قول رسول الله ﷺ: [يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً.] الحديث الصحيح، وفيه: « يابنى عبد المطلب، يابنى

فلان..» من قرابته عليه السلام، يعم ثم يخص، فمضرّة المدح وفتنته على الجاهل عظيمة.

وقد أثنى رجل على آخر عند رسول الله ﷺ فقال: [ويلك! قطعت عنق أخيك، لو سمعها ما أفلح.]، الحديث. وقال ﷺ: [لأن يمشى أحدكم إلى إخيه بسكين مرهف خير له من أن يثنى عليه فى وجهه.] وإنما يضر المدح والثناء الجاهل المغرور، الذى لابصيرة له فى الدين، ولامعرفة ولايقين. وأما العالم البصير العارف بربه وبنفسه، فليس يضره ذلك. فقد أثنى رسول الله ﷺ على رجالٍ من أصحابه، وأثنى عليهم عنده، فلم يزدهم ذلك إلا معرفة وبصيرة بدين اللهِ، وجدّاً وتشميراً فى طاعته وعبادته.

وفى الحديث: [إذا مدح المؤمن رَبَا الإيمانُ فى قلبه.] ولكن أهل البصائر وأهل النصيحة لأنفسهم قليل. وما أكثر أهل الجهل والغرور وخصوصاً فى هذا الزمان.

فليحذر المؤمن المتقى لربه، الشفيق على دينه، من كل مايضر بنفسه، أو يضر بغيره من إخوانه المسلمين، نعم. وقد يجرى على ألسنة بعض الناس، إذا قيل له: « فعل فلان من أهل البيت النبوى كذا وكذا..» من المخالفات والتخليطات، فيقول: « هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ ورسول الله شفيع لهم. ولعل الذنوب لاتضرهم ». وهذا قول شنيع يضر بالقائل نفسِه، ويضر به غيرَه من الجاهلين. وكيف يقول أحد ذلك، وفى كتاب الله العزيز، مايدل على أن أهل البيت يتضاعف لهم الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات. وذلك قوله تعالى: ﴿ **يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً** ﴾ ونساؤه من أهل بيته ﷺ.

ومن قال أو ظن أن ترك الطاعات وفعل المعاصى، لايضر أحداً، لشرف نسبه أو صلاح آبائه! فقد افترى على الله الكذب، وخالف إجماع المسلمين. ولكن لأهل بيت رسول الله شرفاً، ولرسول الله ﷺ بهم مزيد عناية، وقد أكثر على أمته من الوصية بهم، والحث على حبهم، ومودتهم، وبذلك أمر الله تعالى فى كتابه، فى قوله: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القُرْبَى.** ﴾

فعلى كافة المسلمين أن يعتقدوا حبهم ومودتهم، وأن يوقروهم ويعظموهم من غير غلوٍّ ولا إسراف.

ثم إن من كان من السادة أهل البيت، على مثل أو قريب من سير سلفهم الصالح، وطرائقهم المرضية، فهو إمام يهتدى بأنواره، ويقتدى بآثاره كآبائه المهتدين. فإن منهم الأئمة المقدمين، مثل أمير المؤمنين الإمام « على بن أبى طالب »، و« الحسن » و« الحسين » سبطىّ رسول الله ﷺ ومثل «جعفر الطيار »، وسيد الشهداء « حمزة »، ومثل حبر الأمة « عبد الله بن عباس »، وأبيه الإمام «عباس» عم رسول الله، ومثل الإمام «زين العابدين على بن الحسين »، والإمام « الباقر » وولده الإمام « جعفر الصادق »، وأمثالهم من سلف هذا البيت المطهر وخلفهم.

وأما من كان من أهل هذا البيت، ليس على مثل طرائق أسلافهم الطاهرين، وقد دخل عليهم شىء من التخليط، لغلبة الجهل، فينبغى أيضاً أن يُعظّموا ويحترموا لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولايدع المتأهل للنصيحة نصحهم، وحثهم على الأخذ بما كان عليه سلفهم الصالح من العلم، والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، والسير المْرضِية، ويخبرهم أنهم أولى بذلك، وأحق به من سائر الناس، وأن مجرد النسب لاينفع، ولا يرفع مع إضاعة التقوى، والإقبال على الدنيا، وترك الطاعات، والتدنس بدنس المخالفات..)

إلى أن قال: « والكلام فى أولاد الصالحين، مثل الكلام فى أهل البيت النبوى، بمعنى أن من كان على مثل حال سلفه، فهو صالح مثلهم، يُعظّم ويتبرك به. ومن كان على الجهل والغفلة، فينبغى أن ينصح ويرشد إلى الصواب، ويُحْتَرم شيئاً من الاحترام، لأجل سلفه الصالحين. وكيف لا، وقد قال الله تعالى ماقال فى شأن الغلامين والجدار: ﴿ **وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً** ﴾. وقد بلغَنَا أنه الأب السابع لهما من جهة الأم، فحفظا له وحُفِظَا به فى أمر الدنيا، فضلاً عن الآخرة، فاعْلم وافهم، وضع كل شىء فى موضعه. وآتِ كل ذى حق حقه. واستعن بالله تسعد وترشد، والأمر كله لله.»

يُعْلَم إذن مما ذكر فى هذا الفصل أن قول النبى ﷺ : [الناس مستوون كأسنان المشط، ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله عز وجل.] إنما هو قول الحق الذى لامراء فيه، ولكن بتقييد ماينبغى تقييدُه مما أُطْلِقَ. وما ذلك إلا أن المساواة المقصودة إنما هى مساواة الناس أمام الله فى الالتزام بشريعته، وآداء ماعليهم من حقوقه، والتمتع بما جعل لهم من الحقوق، وليست المساواة هنا تعنى أن الله لم يختص أقواماً بما شاء من مواهبه التى لا تعد ولاتحصى. فإذا وضعت المساواة حيث أرادها الله، وشهدت الخصوصيات كما أرادها الله، كان هذا هو العدل، والإنصاف الذى لا تفريط فيه ولا إفراط.



الفصل الثالث

السادة العلويون

هاجت « العراق » وماجت بالفتن فى القرنين الثالث والرابع الهجرى، كل فتنة أعظم مما قبلها، كقطَعٍ من الليل المظلم، إلى أن كان اليوم الذى دخل فيه « القرامطة » البصرة، وذلك سنة ٣١٥ هجرية وعاثوا فيها مفسدين. حينئذٍ قرر الإمام « أحمد بن عيسى » الذى لُقِّب، فيما بعد، بالمهاجر أن يخرج بأهله من البصرة إلى الحجاز.

والإمام المهاجر هو، أحمد بن عيسى النقيب بن محمد النقيب بن على العريضى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين، رضى الله عنهم أجمعين. ومعروف عن جده الإمام الكبير « على العريضى » أنه انتقل من المدينة المنورة إلى وادى العريض، شمال شرقى المدينة، وأقام فيه إلى أن تُوفِّى، ثم خرج ولده « محمد بن على » إلى العراق، حيث صار نقيباً للأشراف، وورث عنه هذه الوظيفة ولدُه « عيسى » والد الإمام المهاجر.

وكان الإمام « أحمد بن عيسى » كأسلافه: عالماً، عاملاً، تقيّاً، ورعاً، جمع الله له علوم الظاهر، وفتوحات الباطن. وكان فى العراق ذا جاه، ومكانة، وثروة واسعة.

ولما خرج الإمام المهاجر من البصرة إلى الحجاز سنة ٣١٧ هجرية. اصطحب زوجته الشريفة زينب بنت عبد الله بن الحسن بن على العريضى، وأصغر أولاده عبد الله، وقد عرف فيما بعد بعبيد الله، وحفيده اسماعيل بن عبد الله، الملقب ببصرى. واثنين من أبناء عمومته، غير حاشيته المكونة من سبعين فرداً. كما حمل معه من ثروته ما أوقر به عدة جمال، وترك سائر أولاده للعناية ببقية ممتلكاته فى العراق.

وصل الإمام المهاجر « المدينة المنورة »، وأقام بها سنة كاملة. وكانت هذه السنة هى التى دخل فيها « القرامطة » « مكة المكرمة »، ووضعوا السيف فى الحجيج، وانتزعوا الحجر الأسود من مكانه. وفى العام التالى توجه الإمام المهاجر إلى « مكة » حاجّاً، ومنها إلى « عسير » ثم « اليمن »، حيث ترك ولد عمه السيد محمد بن سليمان جد السادة الأهادلة، ثم توجه إلى « حضرموت »، واشترى بها الأراضى والضّيع، وتنقّل فيها من قرية إلى قرية، حتى انتهى به المقام إلى « الحسيسة ».

وقد تساءل البعض عن السبب الذى جعل الإمام المهاجر يختار « حضرموت » مهْجَرَاً، فإنها بلد فقير قليل الموارد الطبيعية، وكان فى ذاك الوقت يسوده المذهب الأباضى، وهو أحد مذاهب الخوارج. وقيل إن الإمام المهاجر، إذا كان قد خرج من « البصرة » بحثاً عن الأمان، عند من يحب أهل البيت ويواليهم، لكان الأحرى به أن يتجه إلى مصر أو السِّند، وكذلك إن كان قد خرج يبحث عن رغد العيش والرخاء، لكان قد اختار « خراسان » أو « مصر ». أما اختياره لأرض قليلة الأمان فقيرة، يكثر فيها مبغضو أهل البيت، فلا بد وأن يكون له مبرراً قوياً.

ولعل الإمام المهاجر لم يختر « حضرموت » إلا بتوجيه إلهى، فإن نتيجة هجرته كانت أن انتشر فيها النور بعد الظلام، والعلم بعد الجهل. وأصبحت أرضاً يشع منها نور الإسلام شرقاً وغرباً. ولقد قارع الإمام المهاجر وذريتُه الخوارجَ بالحجج، وقارعهم بعض أتباعه ومحبيه بالسيف أحياناً، حتى ذهب نفوذهم من حضرموت. وخضعت البلاد لعقائد أهل السُّنة والجماعة، واعتنقت مذهب الإمام محمد ابن إدريس الشافعى.

وأنجب الإمام عبيد الله بن أحمد بن عيسى- من الذكور: بصرى، وجديد، وعلوى. وانقرضت ذرية الإمامين، بصرى وجديد، على رأس المائة السادسة، على ما ذكر صاحب « المشرع الروى » وبقيت ذرية الإمام علوى، وسموا باسْمِهِ، فعرفوا بالسادة العلويين. أو بلغة حضرموت « آل باعلوى ». ولقب «علوى » كان يطلق فى القرون الأولى على كل من انتسب للإمام « على بن أبى طالب » كرم الله وجهه، سواء أكانت النسبة نسبة رحم أو ولاء، ثم صار الاسم خاصاً بذرية الإمامين الحسن والحسين، ثم مع مرور القرون أصبحت هذه التسمية لا تشمل إلا ذرية الإمام علوى بن عبيد الله.

وقد جحد بعض الخوارج انتساب الإمام المهاجر للنبى ﷺ، فرحل السيد على بن محمد بن علوى إلى العراق وأثبت النسب، وأشهد عليه مائة من العدول، ممن يريد الحج. ثم أثبته مرة أخرى بمكة، وأشهد على الإثبات جمعاً من الحجاج الحضارم، وحضر الشهادة بعض الخوارج، ونقلوها إلى حضرموت. وقد أثبت نسبهم وفضلهم الجم الغفير من المؤرخين والمترجمين، واعترف بفضلهم الأشراف والعلماء والمحدثون والسلاطين، على مر الأزمنة، فى مشارق الأرض ومغاربها. فهم أثبت بيوت السادة نسباً على الإطلاق.

قال العلامة « يوسف بن اسماعيل النبهانى » رحمه الله فى كتابه « **رياض الجنة** »: إن ساداتنا آل باعلوى قد أجمعت الأمة المحمدية فى سائر الأعصار والأقطار على أنهم من أصح أهل بيت النبوة نسباً، وأثبتهم حسباً، وأكثرهم علماً وفضلاً وأدباً ...»

وخرج من ذرية الإمام « علوى بن عبيد الله » العلماءُ والأولياءُ والدعاة، واشتهروا بذلك، وجرّدوا هِمَمَهم للدعوة إلى الله تعالى. ولكل منهم سند بل أسانيد متصلة إلى النبى ﷺ.

وإنه لمن الصعوبة بمكان ذكر جميع أكابر السادة العلويين، من الإمام « علوى » إلى الإمام «الحداد» ، فقد ذكر منهم المئات السيد « أبو بكر الشلّى » المعاصر للإمام الحداد، فى كتابه « المشرع الروى » ولم يستوفهم عدداً. ولذلك فسوف نقتصر على البعض القليل منهم، الذين لهم أهمية خاصة لما نحن بصدده. والبعض الآخر مترجم له فى الملحق الخاص بتراجم الأعلام، فنذكر أولاً السيد محمد بن على بن علوى بن محمد بن علوى بن عبيد الله، المعروف بصاحب « مرباط » الواقعة فى «ظفار» فى دولة عمان. وكان السيد محمد بن على كما ذكر صاحب المشرّع الروى: « شيخ مشايخ الإسلام وعلم العلماء الأعلام...» إلى أن قال: « أحد علماء الشريعة والطريقة، وأجلّ مشايخ أرباب الحقيقة، فقيه الديار اليمانية ومفتيها، والمشار إليه بالعلوم والمعارف فيها...»

وأعقب السيد محمد بن على صاحب مرباط « إبنان » هما: على والد الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم، وعلوى المشهور بعم الفقيه المقدم، وإليهما يرجع نسب جميع السادة العلويين. والإمام «الحداد» يرجع نسبه إلى عم الفقيه.

وأما السيد محمد بن على المعروف بالفقيه المقدم، فهو شيخ السادة العلويين أجمعين. ولد رضى الله عنه سنة ٥٧٤ هجرية بتريم. وحفظ القرآن، واشتغل بتحصيل العلوم، حتى بلغ رتبة الاجتهاد المطلق. وقال عنه صاحب المشرع الروى: « جامع المنقول والمعقول، مستنبط الفروع من الأصول، فهو شيخ شيوخ الشريعة على الإطلاق، وإمام أهل الحقيقة بالاتفاق، « غزالى » عصره، و « جنيد » وقته ودهره، سيد الطائفة الصوفية، ومركز دائرة الولاية الربانية، قدوة العلماء المحققين، وتاج الأئمة العارفين، وفى جميع الكمالات أمير المؤمنين ...»

قال الإمام الحداد: « اثنان لهما أكبر المنّة على آل باعلوى، الشيخ أحمد بن عيسى؛ خرج بهم من البدع والفتن، والفقيه المقدم سلمهم من حمل السلاح والعمومية بكسر السلاح لما تفقّر ».

فالفقيه المقدم بكسره السيف، أخرج السادة بنى علوى من دائرة الفتن والحروب القبلية، التى ابتليت بها أرض «حضرموت» منذ دخلها الإسلام إلى أن احتلت بريطانيا مناطق منها فى العهد الحديث. وقول الإمام الحداد: « لما تفقّر » يشير به إلى تلقى الفقيه المقدم طريقة التصوف من الشيخ «أبى مدين »، بواسطة بعض خلفائه، ثم سرت هذه الطريقة فى ذريته، وهى كما قال الإمام الحداد:

واتبع كتاب الله، واتبع سنّةً   واقتد، هداك الله، بالأسلاف

ومهما قيل فى الفقيه المقدم، فهو على كثرته قليل. وهذا وصفه من قصيدة للإمام الحداد:

مقدم القوم قطب الأولياء ومن   سما بمجده على القاصى مع الدّانى
شريف أصل ونفس، جامع رسخت   أقدامه فى كشوفاتٍ وعرفانِ
شيخ الشيوخ وأستاذ الأكابر   أرباب البصائر من حبر وربانى
إمام شرع له الباع الطويل به   علم وحلم وتحقيق بإيقانِ
وشيخ أهل طريق الله قاطبة   بلا دفاع ولا طعن لطعّانِ
غوث العباد، وغيث للبلاد، به   تحيى الجدوب ويروى كل عطشانِ

وقد تُوفى الفقيه المقدم رضى الله عنه عام ٦٥٣ هجرية.

وكانت قاعدة بنى علوى- فى حضرموت- مدينة « تريم »، وبها مقبرة « بشار » حيث الفقيه المقدم وسائر أكابر السادة بنى علوى.

ولم يزل دأب بنى علوى طلب العلم والزهد فى الدنيا، مع بذل جهدهم ما استطاعوا فى الاستتار، واجتناب الشهرة، فيقول الإمام الحداد: « الشهرة ليست من عادة ساداتنا آل باعلوى ..» ويقول: «مقام ساداتنا آل باعلوى الضعف والمسكنة والخمول غير ماهو لغيرهم من الأولياء من ضد هذه الصفات. والصفات المذكورة أمر عظيم فى التقرب إلى الله، والسلامة فى الدين ».

ويقول: « لا يزال فى كل زمان من آل باعلوى أولياء، مابين ظاهر أو خامل، ولا يكون الظهور إلا لواحد منهم والبقية خاملين، إذ لا حاجة إلى ظهور اثنين أو ثلاثة من بيت واحد وبلد واحد. والستر على حالين: ستر الولّى عن نفسه، بحيث لا يعرف بأنه ولى، وستر الإنسان عن غيره بأن يعرف هو بأنه ولى، ويخفى ذلك عن غيره ولا يطلع منه الغير على ذلك ».

وممن يجب ذكره المقدم الثانى الشيخ عبد الرحمن السّقاف، المتوفى سنة ٨١٩ هجرية، والذى طبقت شهرته الآفاق على الرغم من سلوكه سبيل أسلافه فى طلب الخمول والاستتار، والذى أنجب من الذرية أكابر الأئمة نذكر منهم الشيخ « عمر المحضار » والشيخ « أبا بكر السكران » وولده الشيخ «عبد الله بن أبى بكر » الملقب بالعيدروس، وقد ذكرنا هؤلاء لعلاقتهم بالإمام الحداد، وإلا فجميع أولاد السقاف من الأكابر.

ومما ذكر عن الشيخ عبد الرحمن السقاف، أنه كان يتعبد فى الشِعْب الثلث الأخير من الليل، ويقرأ كل ليلة ختمتين، وكل يوم ختمتين، ثم صار يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار. وكان لا يكاد ينام، ويقول: « كيف ينام من إذا نام على شقّه الأيمن رأى الجنة أو على شِقِّه الأيسر رأى النار؟» وكان يمكث فى شعب نبى الله « هود » عليه السلام شهراً، لا يأكل فيه إلا نحو كفٍّ من دقيق.

وكان ولده الشيخ « عمر المحضار » يصبر عن الطعام الليالى والأيام.. ومكث ثلاثين سنة لا يأكل التمر، ويقول: « إنه أحب الشهوات إلىّ، فلذلك منعته نفسى ».

أما الشيخ عبد الله العيدروس حفيد الإمام « السقاف »، فقد مكث سبع سنوات يصوم ويفطر على سبع تمرات لا يأكل غيرها. وكان يقول: « كنت فى بدايتى أطالع كتب الصوفية، وأختبر نفسى بمجاهداتهم المذكورة فى مؤلفاتهم ».

وقد مدح الإمام الحداد شيخه العيدروس الأكبر، فقال:

والولى المكين استاذنا القطـــب   أبى الخير عيـدروس المـــعالى
الإمام الهمـــام غـوث الأنـــــام   الهـزبر الضيغـم أبو الأشـبـال
الشريف العفيف كهف اليتامى   والأيـــامى وحـامـل الأثقـال
محيى الدين كنز اليقين بحــــر   العلم طود العـلم والأفضــــال
بركة الوجـــود مغـنى الوفـــود   عين الشهود ومجلى الجمـال
قدوة الأوليا سلــطان الأصـفيا   من الأوتـــــاد والأبـــــــــدال

ومن أكثر بنى علوى شهرةً الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب « عينات »، الذى لمّا عاتبه شيخه على ظهوره هذا الظهور، قال له إن فلاناً وفلاناً وعدَّدَ جماعةً من السادة بنى علوى، جاءوه مع الشيخ «عبدالقادر الجيلانى » وأمروه بذلك على غير رغبة منه. وهو الذى قيل عنه، كما قيل عن الجم الغفير من السادة العلويين، أنهم كانوا يصلون صلاة الصبح بوضوء العشاء، وكان لا يجلس إلا جلسة المتشهد فى الصلاة تأدُّباً مع ربه عز وجل.

وأما المتأخرون منهم، فنذكر منهم على سبيل المثال الحبيب « عبد الله بن حسين بن طاهر » الذى كان يأتى كل يوم بخمسة وعشرين ألفاً من لا إله إلا الله، ومثلها من يا الله، ومثلها من الصلاة على النبى ﷺ، مع ماله من الأوراد والأذكار الأخرى. وقد أهدى إليه بعضهم ساعة وعرّفه كيف يديرها، فلما وقفت عن السير وسئل عن ذلك أجاب: « لم أجد وقتاً لإدارتها ».

وأما الحبيب صالح بن عبد الله العطاس فقد مكث ثلاثة أشهر بمكة، أيام بدايته لا طعم له إلا ماء زمزم.

وأما الحبيب طاهر بن عمر الحداد، فكان لا ينام من الليل إلا ثلاث ساعات، وسائر وقته كله

مستغرق بوظائف العبادات.

وكان الحبيب عبد الله بن طه الحداد يعرف بالهدَّار، من كثرة هديره غير المنقطع بذكر الله.

هكذا كانت مجاهداتهم، وكان استهلاكهم فى طريق الله تعالى. هذا فيما بينهم وبين ربهم، أما فيما بينهم وبين الناس فقد درج السادة العلويون على التضحية بالأنفس، والأموال، فى سبيل نشر الدعوة، فهجروا الأهل والأوطان، وساروا براً وبحراً، حتى أوصلوا الدعوة المحمدية شرقاً، عبر الهند، إلى « الملايو » و« بورما » و« أندونيسيا » و« الفلبين »، وغرباً إلى « كينيا » و« تنزانيا » و« أوغندا » و«جزر القمر » و« زنجبار » وغيرها.

فالهند كلها على مذهب الإمام أبى « حنيفة النعمان »، إلا مناطق كجرات وأحمد آباد وماليبار، حيث ينتشر المذهب الشافعى، بتأثير السادة بنى علوى. وكذلك جنوب شرق آسيا، وساحل شرق أفريقيا، كلها مناطق سُنِّية شافعية تبعاً للدعاة من بنى علوى، الذين أدخلوا الإسلام إليها.

والذين أدخلوا الإسلام إلى الهند الصينية وأندونيسيا، من ذرية أحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن علوى، عم الفقيه المقدم. ومنهم السيد على زين العابدين بن أحمد، الذى قدم إلى جوهور بالملايو، فى القرن التاسع الهجرى، وتزوج ابنة السلطان، التى ولدت له السيد محمد، الذى أبحر من « جوهور» على المراكب الشراعية إلى خليج « مندناو» بالفلبين، فكان أول من دعا أهلها إلى الإسلام، ولقيت دعوته منهم القبول الحسن، ودخلوا فى دين الله أفواجاً. وجعل الله من السادةِ سلاطينَ لهذه الجهات، أقامو دُولاً تحكم بالشريعة السمحاء.

وكان السادة من آل باعلوى يلقبون بالسيد والشيخ إلى حوالى القرن الحادى عشر. ثم أطلق على الأكابر والعلماء منهم، لقبُ الحبيب فيقال الحبيب عبد الله الحداد، والحبيب أحمد بن زين الحبشى، ولا يزال هذا لقبهم إلى اليوم.

وكانوا ومازالوا- قبل كل شىء- أهل علم، يشمرون فى طلبه ثم فى تعليمه، ويحثون الناس على تحصيله. قال الإمام الحداد: « ما وجدنا الخير كله إلا فى العلم، ولولا العلم ماعرف العبد ربه، ولاعرف كيف يعبده ».

وكانوا يربون طالب العلم على مكارم الأخلاق، ويهذبونه ويؤيدونه، إلى أن تصبح سيرته كلها محمدية.

قال الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي: « كان السادة بنو علوى أدناهم فى العلم من يكون عنده مايغنيه عن علم غيره من العلماء، وكان كل واحد منهم يحفظ مناقب أهله وسيرهم وكراماتهم، وكان أكثر الأخذ منهم للعلم والأدب بالتلقى، والتأدب بالحال، لا بكثرة القراءة فى الكتب والقيل والقال ..»

وقال العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس: « كان السلف الصالح من العلويين، وغيرهم يربون طالب العلم على سلامة الصدر، وحسن الظن بالله، وبخلق الله، والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة، ومراعاة الحقوق لأهلها، وتعظيم العلم والعلماء والأولياء والمؤمنين والمسلمين. ويراقبون قلوبهم وأسماعهم ويحفظونها عن كل ما يدخل التشويش مما حصل سابقاً، لأجل أن تبقى قلوبهم نقية وطاهرة وصافية ونفوسهم مطمئنة، وهممهم معلقة بالخير وأسبابه ..»

ولذلك قال الإمام الحداد: « لا ينبغى لأحد من آل أبى علوى أن يخالف المنهج الذى درج عليه أسلافه، ولا يميل عن طريقهم وسيرتهم ..» إلى أن قال: « لأن طريقتهم هى التى يشهد لصحتها الكتاب والسنة الكريمة، والآثار المُرْضِية، وسير السلف الكرام، لأنهم تلقوا ذلك خلفاً عن سلف وأبا عن جد إلى النبى ﷺ، وهم فى ذلك متفاوتون.»

ولا يزال السادة بنو علوى متصفين بصفات التواضع وكراهة الشهرة إلى يومنا هذا، كما شهدناه وشهده جميع من عرفهم فى مشارق الأرض ومغاربها ولا يزالون قائمين بالدعوة، كما كان أسلافهم ولا تزال فيهم الولاية الكبرى، وسر الوراثة المحمدية. ولقد أخبر عن ذلك الإمام « الحداد » حين قال: « لا يخلو الزمان من أفاضل آل أبى علوى حتى يخرج المهدى ». كما قال أنه يرجو أن يكون المهدى المنتظر منهم.

الفصل الرابع

مولد الإمام ونشأته

كان والد الإمام عبد الله الحداد، وهو السيد علوى بن محمد الحداد، رجلاً صالحاً تقيّاً من أهل الله، نشأ فى بيت من البيوت العلوية بتريم، وكانت والدة السيد علوى، الشريفة « سلمى »، من أهل الولاية والمعرفة، وقد روَى عنها الإمام عبد الله مناقبَ وكراماتٍ. وكذلك كان والد الشريفة « سلمى»، وهو السيد عمر بن أحمد المنفر باعلوى، من العلماء الكمل العارفين. وكان الإمام عبد الله يحفظ له نحو أربعين أو خمسين كرامة.

ويُروَى عن السيد علوى بن محمد الحداد، أنه زار فى يوم من الأيام الإمام العارف بالله السيد أحمد بن محمد الحبشى وذلك قبل أن يتزوج، وسأله الدعاء، فقال السيد: « أولادك أولادنا فيهم البركة » . ثم أن السيد علوى تزوج حفيدة السيد الحبشى، ابنة ولده، العارف بالله السيد عيدروس بن أحمد الحبشى. وكان اسمها « سلمى » كاسم والدته، وكانت كذلك من الصالحات، فولدت له البنين والبنات، ومنهم صاحب الترجمة الإمام عبد الله. وقال السيد علوى: « ماعرفت إشارته » أى إشارة السيد أحمد الحبشى، « إلا بعد وجود ولدى عبد الله لما رأيت عليه من مخايل الولاية وظهور النجابة ».

وقد وُلِد الإمام عبد الله بن علوى الحداد، فى « تريم » ليلة الإثنين لخمسٍ خَلَوْنَ من صَفَر الخير، عام ١٠٤٤ هجرية. ولما بلغ من العمر نحو الأربع سنوات، أصيب بمرض الجدرى فأدّى ذلك إلى فقدانه البصر.

فها نحن نرى غلاماً فقد بصرَه، وعمرُه أربع سنوات، فماذا كان تأثير ذلك عليه؟ أسخط واغتاظ

لما أصابه؟ أجَعَلَه ذلك عاجزاً، يعتمد على الآخرين فى كل شئونه؟ أظهَرت عليه آثار ما يسميه علماء العصر الحديث بعقدة النقص؟

كلا! بل نراه اجتهد فى حفظ القرآن الكريم، إلى أن أتمه. ونراه يخرج من درس القرآن، فيذهب مع أحد أصدقائه إلى مسجد من مساجد « تريم » فيصليان مائة أو مائتىّ ركعة. وما ذلك إلا شكراً لله، فإنه لم يُنْسِه فقدانُ بصره سائرَ النّعم التى أنعم الله بها عليه. فكان دائم الشكر والثناء على ربه، راضياً بما أقامه الله فيه، يعمل ليله ونهاره لينال رضاه.

يقول الإمام: « كنت من حين الصّغر وأنا فى الجد والعبادة وأنواع المجاهدة، وكانت جدتى الصالحة سلمى، بنت السيد الولى عمر بن أحمد المنفر باعلوى، تقول لى: ترفق بنفسك. إذا رأت ما أنا فيه من الجد، شفقة منها علىّ. » وكذا كان والداه يشفقان عليه من إتعاب نفسه بأنواع المجاهدة، ويقول الإمام: « إنى قد أترك كثيراً من المجاهدات فى أيام بدايتى رعايةً لوالدىّ، لما أرى منهما من كثرة الشفقة علىّ.» ويقول: « مكثت مدة فى ابتداء أمرى على القوت الخشن واللّباس الخشن ».

ولم يمنعه انشغاله بربه من اللعب مع الصبيان، فى بعض الأحيان، كما هى طبيعة من كان فى هذه السن، وكان إذا ذكر أحوال الصبا يُطْنِبُ فى الكلام، ويتعجب من تلك الحال. وذكر يوما كيف أنه قذف شجرة سدر بحجر، فوقع الحجر فى رأس أخيه الحامد، فأدماه، ثم أن أخاه مر عليه بعد المغرب وناداه، وهو فى درسٍ، فلما تأخر عليه قذفه بحجر فأصابه فهربَ فتبعه الصبية حتى لحقوه. وقال الإمام عبد الله بعد ذكره لتلك الواقعة: « ... فسبحان الله ما أحلى الصبا وما والاه من الشباب ...» ثم قال: « وكنت فى أيام الصبا لا أتعامل معاملة من لا يشوف، لا فى مشى ولا فى لعب ...» وقد سمع الإمام فى أحد مجالسه صوت صبى يتنحنح، سنُّه نحو اثنتى عشرة سنة، فقال: « من هذا الصغير؟»، فأُخْبِرَ به وبأبيه، وكان حاضراً، فقال له: « لِمَ تركتهُ جالساً هنا، ولم تتركْهُ يروح ويلعب مع الصبيان؟» فقال له: « نريده يستغنم الحضور فى مجلسكم.» فقال: « أنت استغنم عنه واتركه يلعب الآن، وإلا رجع يطلب اللّعب فى غير وقته، وحيث لا ينبغى له ذلك.»

وقد تأدب الإمام عبد الله على أبيه، واجتهد فى طلب العلم؛ فقرأ على العديد من العلماء، وأخذ

من كل علم كفايته. وعن بداياته فى طلب العلم، يقول الإمام الحداد: (بعد أن ختمت القرآن قال لى والدى اقرأ فى الفقه، وعندنا نسخة صحيحة مليحة من الإرشاد تحفظ فيها .. وكان معى طرف من عبادة، ولكنها على قدرها .. وكانت سِنّى إذ ذاك دون خمس عشرة سنة، وكنت أجالس السيد «سهل الكبش »، وكان كثيراً ما أسمعه يذم الفقه وأهله، وينكر على ناسٍ من الفقهاء ويذمهم، حتى الشيخ «ابن حجر »، فقلت لوالدى ما أريد القراءة فى الفقه، فإن رجلاً من السادة يذم الفقه وأهله، فقال: «الإنسان ما يستغنى عن الفقه، ولا عذر له منه » فقلت: أريد القراءة فى [البداية]* قال: «مليح، وعندنا أيضا منها نسخة مليحة ». وعزمت على حفظها فحفّظَنى الوالد حينئذٍ من أولها إلى قوله: «وها أنا مشير عليك ..» وكان الفقيه « باجبير » يُقْرِىء فى « النويدرة »، يقرأ عليه كثير من السادة وغيرهم، فرُحْتُ إلى عنده، وحضرت مجلسه، وتقدمت للإستئذان فى القراءة، ومرادى أن أستأذنه فى القراءة فى مرة أخرى، فأتيته فى اليوم الثانى، وقلت: « أريد أن أتحفّظ فى البداية، وأقرأ عليك فيها » فقال: « إن حفظ البداية عَسِرٌ، وعندنا ناس يقرءُون فيها، فاستمع عليهم حين يقرءُون، وتحفّظْ فى الإرشاد ». فوافَقَتْ إشارتهُ إشارةَ الوالد، فقلت: « الإرشاد حفظه عَسِرٌ، فكيف أتحفَّظُه؟». فقال: « تخلٍّ من يحفظك ويستمع عليك فيه » فأجبته لذلك لموافقة إشارته إشارة الوالد، لقننى تلك الساعة من أول الإرشاد قوله: « الحمد لله الذى لا تحصى مواهبه، ولا تنفذ عجائبه ولا تحصى له منن، ولاتختص بزمن دون زمن ..»، فخرجت من عنده وقد حفظت ذلك. فما زلت أستمع على الذين يقرءُون فى البداية، وأتحفظ عنده من الإرشاد إلى أن وصلت إلى محرمات الإحرام، ثم أن السيد أبا بكر بلفقيه عَزَمَ إلى الهند وزَيّنَ للفقيه « باجبير » المسير معه وأنه قائم له بكل ما يحتاج إليه، فسافر معه..).

لقد نشأ الإمام عبد الله نشأة النجباء من السادة، واجتمع له من عوامل الفلاح الوراثة السارية فى أهل البيت، والبيئة المناسبة، التى تمكن هذه الوراثة من إتيان ثمارها. وكان للإمام عبد الله أصدقاء

---

* كتاب « بداية الهداية » للإمام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه.

طفولة، كانوا على شاكلته، وماكان ليرتضيَهم لنفسه أصحاباً وأخِلاَّءً إلا إن كانوا كذلك. وفى الخبر [المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل]. فعجباً لصبية أعرضوا عن اللعب واللهو والعبث، واشتغلوا بحفظ القرآن، ومجاهدة النفس، وطلب العلم! عجباً لصبية علموا أنهم لم يخلقوا إلا لله، فطلبوه، ولم يطلبوا غيره، ولم يلتفتوا لسواه!

وكان من هؤلاء الأصدقاء الإمام عبد الله بن أحمد بلفقيه، وكان يخرج مع الإمام عبد الله إلى الأودية المحيطة بتريم، يتدارسون القرآن، فيقرأ السيد بلفقيه ربع جزء، ثم يعيده بالغيب، ثم يعيده الإمام عبد الله بعده، وكذلك كانا يقرآن فى الفقه، وكانا- كما ذكرنا- بعد خروجهما من درس القرآن، وقت الضحى، يدخلان بعض المساجد فيصليان مائة أو مائتى ركعة. ثم يطلب الإمام الحداد من ربه أن يبلغه مقام الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس، ويطلب السيد بلفقيه مقام جَدِّه العارف الكبير، السيد عبد الله بن محمد، صاحب « الشبيكة ».

ولم يزل السيد عبد الله بلفقيه، فيما بعد، يقول عن هذه الأيام: « إنا نشأنا معاً، ولكن الإمام عبد الله سبقنا ». كما كان يقول: « إنه فتح له من حين صغره. كنا نراه إذا قرأ سورة « يس » يتأثر جداً ويبكى بكاءً شديداً، ولا يكاد يحتمل قراءة هذه السورة الشريفة، فيقع لنا أن فتحه فيها ».

وكان منهم السيد الإمام أحمد بن عمر الهندوان الذى يقول عنه الإمام عبد الله الحداد: «كان بيننا وبين السيد الجليل أحمد الهندوان المذكور، الخلطة والملازمة والمجالسة والمؤانسة الدائمة، فى حال اشتغالنا على السيد الفقيه عبد الرحمن باهارون ..»

ويقول السيد الهندوان: « كنا فى ابتداء الأمر، وإقبال الشباب- كثيرى الاجتماع نحن وسيدنا الأستاذ عبد الله، رضى الله عنه. وربما اجتمعنا على حضرات الذكر الجهرى، فيحصل لسيدنا عبد الله من الوجد ما يغيبه عن إحساسه. وربما لم يفق من وجده ذلك حتى نحمله ونطرحه على قبر سيدنا الإمام القطب، الفقيه المقدم، رضى الله عنه ».

وكان منهم السيد أحمد بن هاشم بن الشيخ أحمد الحبشى، وكانا يطالعان معاً الكتب الغزالية ودواوين أهل الذوق، أمثال الشيخ السودى.

قال السيد أحمد بن هاشم مخبراً عن صحبته للإمام عبد الله الحداد: (كنا متحدين في البداية إلى الغاية، وكذلك كنا في اجتماعنا على السيد العارف عمر بن عبد الرحمن العطاس. وكان شيخنا عمر يقول: « أنت والسيد عبد الله الحداد تتفقان في البداية وتفترقان في النهاية ». وقال السيد أحمد: « إنّا حال اشتغالنا على السيد عمر العطاس- رضى الله عنه، ونفعنا به- فُتِحَ على سيدى عبد الله، فلما رأيت ذلك تقاصرت عندى نفسى، فشكوت على سيدى وشيخى عمر نفع الله به من ذلك، فقال لى: « اجتمع شمله بشملها، اتصل حبله بحبلها، انطوت الأحشاء على جنينها، سطع نور المصطفى ﷺ فى جبينها »، فعند ذلك فُتِحَ لى.)

ويقول الإمام عبد الله: « كان بيننا وبين السيد الجليل الصالح على بن عمر بن الحسين بن الشيخ على، أخوّةٌ وممازجة واختلاط كلى ومصاهرة، وكنا كثيراً ما نطالع الكتب النافعة، ونسردها ليلاً ونهاراً. وربما كان يقرأ لنا ونحن نسير فى الطريق، وربما دخل علينا الليل ونحن فى المطالعة ...»

وقال رضى الله عنه: « كان بيننا وبين السيد الجليل الصوفى المتفنن على بن عبد الله بن أحمد العيدروس إخاء وامتزاج واختلاط واتحاد، أيام إقامته بتريم، وبقى ذلك ولم يزل فى مزيد جعل الله ذلك له وفيه، ولم يزل بيننا وبينه المكاتبة والمراسلة ولطيف المواصلة. وكان عقد الأخوة بيننا وبينه، عند قبر سيدنا الفقيه المقدم لأنى كنت أزوره وإياه بعد العشاء من ليلة الجمعة، ثم نرجع إلى زاوية الهجيرة، ونطالع الكتب النافعة ليلاً طويلاً ...».

فهؤلاء الذين صحبهم الإمام عبد الله فى بداياته، مافيهم من أحد إلا وله نصيب من الولاية الكبرى. وكانت صحبتهم لله فى الله، وكانت صحبة صفاء خالية من الأكدار ودسائس النفوس. وكانوا على بصيرة من حال الإمام عبد الله، وتفوّقه عليهم، فكانوا كثيراً مايجتمعون، فيقول لهم السيد على بن عبد الله العيدروس، قبل مجيء السيد عبد الله: « يا هؤلاء إن رضيتم أو سخطتم أخذ السابقة علينا وفاز بها السيد عبد الله الحداد ».

والكتب التى ذكروا أنهم كانوا يطالعون فيها، تدل على أحوالهم مع الله. فبالإضافة إلى الفقه والكتب الغزالية، كانوا يطالعون فى لطائف المنن للشيخ ابن عطاء الله، وكان الإمام عبد الله مولعاً

بكلام الشيخ ابن الفارض، وكُتُب مناقب السادة آل أبى علوى.

وكان الإمام عبد الله كثير الخروج إلى الأودية، والشعاب، المحيطة بتريم، ويقول: « أود أن أنفرد لله لأجل لذة الأنس به ».

وكانت العناية الربانية الكاملة- التى أحاطته، وأعدته لنيل أعلى المراتب- ظاهرةً لبصائر العارفين، فكانوا دائمى التعظيم، والتقديم له، والثناء عليه. وكان أحد أشياخه من العارفين يأخذه من بين من معه من الصغار، بعد خروجهم من درس القرآن، ويجلسه عنده دونهم، ويطلعه على سريره، ويقول له: « مرحبا بشيخ الجماعة أو سيد الجماعة ». وروى مترجمُهُ السيد محمد بن زين بن سميط، أنه سمع أحد العارفين المحققين يقول: « إنه، نفع الله به، نشأ على الفطرة الأصلية، والكمال فى بشريته، وطبيعته، وخصوصيته. واستقام على ذلك، ولم يعرض له ما يناقض ذلك، بفضل الله ورحمته وجوده وعطفه، وإعانته وتوفيقه وتأييده وتسديده وهدايته وعنايته ».

يقول الإمام: « كنا فى الابتداء نسير فى البلاد للقاء الصالحين، وزيارة الأموات منهم، وكنا نزور شِعْب « ابن مُخدِم » المقبور فيه السيدان الإمامان « أحمد بن عيسى » و« أحمد بن محمد الحبشى» ، وربما كانت الزيارة على الأقدام، ونحن أيضا صيام ...» وقد روى بعض من كان يصحبه، كيف أنه إذا أحس بهم ناموا، قام إلى بئر مسجد الشيخ أحمد الحبشى، يملأ المَيَاضِى، ويقول: « أول زيارة زرناها إلى عينات، زرنا الشيخ أبا بكر بن سالم قبل زيارة النبى « هود » والشيخ « سعيد » وسِنِّى إذ ذاك نحو خمس عشرة سنة، عام ١٠٥٩ هجرية، وبعد ذلك بسنتين، أى فى سنة ١٠٦١ هجرية دخلنا « الهجيرة » فى رمضان ... ». وكان مدة إقامته بزاوية مسجد « الهجيرة » يطوف كل ليلة على مساجد « تريم » كلها، يصلى فى كل مسجد منها ماتيسر له.

ومكث الإمام عبد الله، منذ سن السابعة عشرة، فى زاوية مسجد « الهجيرة ». وكان يحب العزلة حتى أنه كان بعد صلاة الجمعة فى المسجد الجامع يهرع إلى الخروج من المسجد، ويتوجه إلى مسجد الهجيرة، ويغلق عليه باب الخلوة، وربما أتاه من يدق الباب، فلم يجبه.

وفى نفس هذه السنة تزوج أولى زوجاته، فكانت إقامته فى زاوية المسجد، وكان يزور زوجته فى

منزل أهلها. قال الإمام: « وأول ما تأهلنا على امرأة عربية عند الهجيرة خفية وما علم الوالد إلا بعد، في آخر السنة، وكان ذلك في أولها وهي سنة ١٠٦١ هجرية وكان مرادهم البركة ...».

وبعد لزومه مسجد الهجيرة بفترة يسيرة، بدأ الناس يتوافدون عليه ويطلبون القراءة عليه. يقول الإمام: (ما كان لنا رغبة في التدريس إلا أن رجلاً من آل بافضل قال: « أريد أن أتبارك عليكم ما تيسر في رياض الصالحين.» ثم جاء السيد حسن الجفرى، وقال: « أريد أن أقرأ ما تيسر في العوارف.» ... فتراسلت القراءة، فلما رأينا الناس متراسلين على القراءة رتّبْنَا أوقاتها ...)

هكذا نشأ الإمام شغوفاً بالعلم والعلماء، مولعاً بكلام أهل التحقيق، دائب المجاهدة، حتى اجتمع له من العلوم والمعارف، مالم يجتمع لغيره من أهل زمانه. ولمّا عاد الفقيه « باجبير » من « الهند » بعد عدة سنوات، وجد الإمام قد تمكن من العلوم، وصار بحراً لا ساحل له، ولمّا كان هذا الفقيه رجلاً صالحاً لم يستنكف أن يجلس من تلميذه القديم مجلسَ المتعلم، فطلب أن يقرأ عليه حزب البر، ثم صار يقرأ عليه في الإحياء. ولم يكن هذا حال الفقيه « باجبير » وحده، فللإمام عدة مشايخ صاروا من تلاميذه، وإلى هذا أشار في إحدى قصائده قائلاً:

أين أربـــاب المثـــانى ... والعـــــلوم اللَّـدُنيّـــة

أين أصحـاب المعـــانى ... والـنفـــوس العـــلوية

أنا أدعــو من دعــــانى ... هكذا حكـــم القضـية

فى خصوص لا عمــوم ... علّةَ من بعـد نَهْـــلَة

الفصل الخامس

وفاة والديه

فى عام ١٠٧٢ هجرية، وعمْرُ الإمام حينئذ الثامنة والعشرون، توفى والده السيد علوى، ثم بعده توفيت والدته، ثم أحد مشائخه وهو السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس. وأرسل الإمام إلى أخيه السيد الحامد الذى كان فى ذلك الوقت فى الهند، يخبره بهذا، ويعزيه ويصبره، وكان خطابه هذا مثالاً عجيباً لما يجب أن يكون عليه المؤمن الكامل الإيمان من الثبات والتفويض. ولهذا أحببنا إيراد الجزء الأكبر منه، فهذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

لله ما فى السموات وما فى الأرض. وإلى الله ترجع الأمور.

الحمد لله حمدَ من اكتفى بعلمه. وسلَّم لحكمه، ورضى بقضائه، وشكر لنعمائه، وصبر عند حلول بلائه.

فالصبر والوفاء شأن الرجال أُولِى الكمال، والضجر وضيق الصدر بالنوازل، شأن النساء والأطفال.

وقد خص الله الصابرين بالمعية والبشارة. وأكرمهم بالإمامة والخلافة، وأتحفهم بالصلاة والرحمة والهداية، ونزَّه أجرهم عن أن يكون له حدٌّ أو غاية. فقال تعالى فى ذلك، وهو أصدق القائلين: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة، إن الله مع الصابرين.**﴾ وقال تعالى: ﴿ **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات. وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم**

المهتدون﴾ وقال تعالى: ﴿ **وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا** ﴾، ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾.

فإذا علم العاقل أن الصبر من أعظم الفضائل، وأجل الوسائل، اعتمده واتصف به، عند نوب النوائب، ودور الدوائر، ونزول النوازل، وعدل عن الجزع والتبرم، لعلمه بأنه متعب فى نفسه. وهو مع ذلك مفوت للثواب، وموجب للمقت والعقاب، فيفوته بجزعه رضا مولاه، وكريم ثوابه وجزاه، وذكره وثناه، من غير أن يعود له ماذهب عنه، ولا يرجع إليه ماسُلِبَ منه.

ولو لم تكن فى المصائب والبلايا، إلا التعريف بشأن الدنيا الدنية، الداعى إلى الزهد فيها، وإيثار الآخرة عليها، لكان ينبغى للعاقل أن يعده من النعم العظام. كيف وفيها- أعنى المصائب- الثواب العظيم، والجزاء الكريم، فى جوار الله البر الرحيم. وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا، وما يُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم.

وصلّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد، النبى المصطفى، والرسول المجتبى، والحبيب المنتقى، والخليل المرتضى، وعلى آله وأصحابه أولى الأحلام والنهى، والصدق والوفا.

من أقل العباد: عبد الله بن علوى الحداد علوى الحسينى، إلى السيد الصابر، الذاكر الشاكر، الطيب النقى، الناسك التقى، موضع الأمانة والسر، ومحل البركة والبر، الصنو الكريم، والحبيب الفخيم، الحامد بن السيد المرحوم علوى بن محمد الحداد علوى، رفعه الله أعلى عليين، وجعل اسمه فى السابقين المقربين، واستعمله وتولاه، بما استعمل وتولى به عباده المخلصين. وجمع الشمل به، فى عافية ودعة وسلامة، فى الدنيا والدين. وكان الله على ذلك قديراً.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ سلام قولاً من رب رحيم، يصحبه لطف خفى، من إله لطيف عليم، وَجُود واسع وفضل عظيم، من ملك جواد كريم.

أما بعد، فاعلم أيها الصنو الأكرم- علَّمك الله من علمه وحكمه- أن الله تعالى هو الإله الحق، المنفرد بالخلق والتقدير والحكم والتدبير. ليس لأحد من الخلق معه- سبحانه- صغير ولا كبير، فى

العالم، قليل ولا كثير، ولا تقديم ولا تأخير. بل هم كما وصفهم في كتابه المنير بقوله تعالى: **﴿لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض، ومالهم فيهما من شرك، وماله منهم من ظهير﴾**. بل هم عبيد مسخَّرون، وأرقَّاء مقهورون، لا يستطيعون جلب مايحبون، ولا دفع ما يكرهون.

واعلم أن لله تعالى فى خلقه قَدَرَاً سابقاً، وحُكماً نافذاً، لا يستطيع أحد من الخلق له دفعاً ولا ردّاً. وللمقادير أوقات معينة، تقع فيها بقدرة الإله القدير، من غير تقديم ولا تأخير، قال الله تعالى: **﴿ قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾**. فالسعيد الميمون مَنْ رضى بِمُر القضاء، وصبَرَ عند حلول البلاء، وجانب السُّخَط والجزَع، وسلّمَ أمره إلى الله، مكتفياً بعلمه، ومسلّماً لحكْمِه.

ومن علم أن الله تعالى هو المبتلى له، والقاضى عليه بما وصل إليه، وعلم مع ذلك، أنه سبحانه رحيم به، لا يختار له إلا ماهو الأحسن والأبقى، طاب قلبه، واستراحت نفسه، عند شعورها بنوازل القضاء، كما قيل:

وخفف عنى مـا وجدت من البَلا ... بأنك أنت المبْتَلِى والمقـدّرُ
وما لامرىء عما قضى الله معدل ... وليس له مـنه الذى يتخيّرُ

إذا علمت ذلك، فاعلم أن الله تعالى، قد قضى بأمر، وفى قضائه الخير والخيرة، وفى الرضا به الثواب والمنفعة، والروح والراحة، عاجلاً وآجلاً. وذلك أنه نقل إلى رحمته، ورضاه وفسيح جنته، الوالد الكريم، السيد الشريف علوى بن محمد الحداد علوى، وذلك ليلة الإثنين، الأولى من شهر رجب الحرام سنة ١٠٧٢ هجرية. وتوفى بعد أن مرض مرضاً ليس بالشديد. ومات على حالة مُرْضِية، وطريق سديدة، بعد أن نطق بكلمة الإخلاص، التى من كانت هى آخر كلامه دخل الجنة. وهى: لا إله إلا الله.

وبعد وفاته بنحو خمسة أيام، مرضت الوالدة، ودام عليها المرض قريباً من عشرين يوماً، إلى أن توفيت. وقدمت على الدار الباقية، بعد أن تشهدت ضحى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر

المذكور. فالله تعالى يلهمك وإيانا الصبر الجميل. ويجبر كسر المصيبة بهما، بما يوليه من الثواب الجزيل، ويجعل برحمته مصيرهما إلى روح وريحان، ونعيم ورضوان، ويسكنهما فسيح الجنان، إنه كريم منان، دائم الإفضال والإحسان. فوصيتنا لك أن تصبر وأن تحتسب، فإنه لله ما أخذ، وله ما أعطى.

وإياك والجزع، واحذر من لو ولم وكيف؛ فإن الأمور كلها ما كان وما يكون، قد جرى بها القدر، وسبق بها القضاء فى العلم المكنون. وقُل مايرضى ربك: ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾؛ لتكون من الذين ﴿ **عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾.

واحْمدِ اللهَ تعالى واشكرْه، حيث أنهما توفيا على حالة مُرْضيَةٍ، فى هذا الزمان المفتون، وماتا موتة حسنةً تبشر بالنجاة، وإنهما راضيان عنك، وداعيان لك، وذاكرانك بالبر والقيام بحقهما. ونحن نعلم ذلك ونعرفه منهما. وليست الدنيا بدار بقاء، ولا خلد، ولا بد من الفناء والمصير إلى الدار الآخرة، سواء طالت الأيام وامتدت الآماد أو قصرت.

ولو لم يكن فى المصائب، بعد الرضا بقضاء الله، والفوز بثوابه، إلا التعريف بشأن الدنيا، المقتضى للزهد فيها، وإيثار الآخرة عليها، لكان ينبغى للعاقل أن يفرح بها.

وما أحسن قول القائل، فى تسلية المصائب: وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبى محمد ﷺ. وفى الحديث: [من أصابته مصيبة، فليذكر مصيبته بى، فإنها من أعظم المصائب].

وقد كتب بعض السلف إلى مصاب يعزيه. فكان مما قال: اعلم أنك إن صبرت، فقد نفذ قضاء الله، وأنت مأجور. وإن جزعت، نفذ قضاء الله، وأنت مأزور.

وقد توفى- فى هذه السنة- جماعة من الأعيان، مثل السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس، صاحب « حريضة » وهو سيد فاضل، وقد قصدناه للزيارة فى حياته، وانتفعنا به، والسيد العمدة بقية الفضلاء عبد الله بن شيخ العيدروس، فكانت وفاته ببندر « الشِحْر »، والسيد الأجلُّ بقية المحققين، أحمد القُشاشى، المقيم بالمدينة الشريفة، وكانت وفاته فى آخر سنة إحدى وسبعين (١٠٧١هـ)...».

الفصل السادس

أخلاقه وشمائله

كان الإمام الحداد رضى الله عنه طويل القامة، عريضاً مابين الكتفين، ليس به بدانة، أبيض اللون، تعلوه المهابة والوقار، ولم يكن فى وجهه شيء من أثر الجدرى، الذى ذهب ببصره فى طفولته.

كان فى أكثر أوقاته مبتسماً مستبشراً مسروراً، يسرى هذا السرور منه إلى جُلسائه. وكان إذا ضحك تبسم، وإذا سر واستبشر استنار وجهُه كقطعة بدر. وكان مجلسه وقوراً هادئاً مطمئناً، لا يكاد أحدٌ من جلسائه يتكلم أو يتحرك، حتى كأن على رءُوسهم الطير. وكان فى جلوسه ربما تربع وربما احتبى بيده أو بحبوة، وربما جلس خافضاً فخذه اليسرى، ورافعاً ركبته اليمنى، وهو الأكثر، ويضع يده اليمنى على ركبته اليمنى. وكان لا يدع أحداً من ضيوفه وزواره، إلا وآنسه، فناداه باسمه، وسأله عن أحواله وتبسّط معه.

وكان كل من حضر مجلسه ينسى الدنيا ومافيها، وربما ذهل الجائع عن جوعه والمتألم عن ألمه، والمهموم عن همه. ولا يود أحد منهم أن ينقضى المجلس أبداً. وكان يكلم الناس على قدر عقولهم، وينزل كل منهم منزلته، فكان إذا جاءه الرفيع رفعه، وإن كانت رفعته فى الدنيا، وإذا جاءه من يراه الناس وضيعا آنسه وأخذ بخاطره، وخصوصاً إن كان من الفقراء. وكان يسأل كل منهم عن حاجته ويسعى فى قضائها. وكان يقول: « لو علم الخلق ما أفاض الله على قلبى من الرحمة لهم لما تركوا [أى له] شيئاً، ولكن الله عز وجل يلبس أولياءهُ الهيبةَ، فيمتنع عنهم الخلق ».

وكان يحب، طلبة العلم، والراغبين فى الآخرة. فكان صابراً نفسه مع ﴿ **الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** ﴾، لا يمل من مجالستهم ويخصهم بزيادة الإيناس والعطف، وكان مع ذلك

لاتشغله مجالسة الخلق عن حضوره مع الحق، فكان يقول: « ماجلس عندى أحد من الخلق، فشغلنى عن ذكر الله عز وجل ».

قال السيد محمد الشلى فى « المشرّع الروى »: « يعامِلُ من جَنَى أو جفا بالصفح والوفا والمودة والصفا، وإذا أتاه من أخطأ طريق السلامة والنجاة، وخسر آخرته ودنياه، نهض له بالعناية والاجتهاد، والمساعدة على هدايته بكل حال، حتى يوصّله إلى نهاية الآمال، ويصلح ما مضى فعله بحسن الاستقبال.»

وكان يعامل الناس بلطف وسخاء، يقبل عذر من اعتذر إليه، وينظر إليهم جميعاً برِّهم وفاجرِهم، بعين الشفقة والرحمة التامة. قال عنه الحبيب أحمد بن زين الحبشى: « كان آخذاً بالعفو، آمراً بالمعروف، معرضاً عن الجاهلين » ولقد أمر الله نبيه ﷺ بذلك، فكان هذا شأنه ﷺ. ثم شأن ورثته من بعده رضى الله عنهم أجمعين. وما كان ظهور كمال الوراثة فى الإمام الحداد إلا لكمال إيمانه. فقد قال ﷺ: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ...».

وكان الإمام الحداد يحرص على شغل مجالسه بالقراءة فى الكتب النافعة، والمذاكرة فى العلوم الدينية، فإن مجالسه كانت تضم العَالِم والجاهل، وما كان كل من يحضره من طلاب الآخرة، فكان بذلك يحفظ مجلسه مما حرم من الكلام كالغيبة والنميمة، ومما هو مباح ولكنه فضول لا فائدة منه إلا إضاعة الأوقات، كالكلام فى الأمور الدنيوية، فكان فى غاية التورع عن الكلام فى الناس، وعن كل مالا يعنيه، بل عن كل ما لا فائدة له فى الدين ولا عائدة منه على المتكلم، ويمقت الغير على الكلام فى الناس أشد المقت، قد طهر الله لسانه. لا يتكلم قط إلا بذكر أو مذاكرة علمٍ، أو نصيحة مسلم، أو إيناسه، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة. وكان يقول: « طبيعتى تكره المذاكرة فى أمور الدنيا وأحوالها من قديم .. وتكره الظهور وتكلفات الناس.» ويقول: « لا أحد يستشيرنى فى أمور الدنيا، ولا يذكرها لى أبداً، فإنه لا ينبغى ذلك ولا يحسن، إنها ينبغى أن تكون للآخرة فقط، وأما الدنيا فينبغى أن يُسْتَشَار فيها غيرُنَا ..».

ومع ذلك، فقد كانوا يستشيرونه فى أمورهم الدنيوية، وكان صدره يتسع لذلك. وكان إذا شاوره

أحد فى أمر دينى أو دنيوى يتوقف حتى يظهر له الأصلح، ويتبين له الصواب، فيشير به عليهم. وكان يحترز من الفتوى فى الأمور الفقهية، ويحيل بعض الوقائع إلى غيره، وخصوصاً إذا كانت المسألة ذات وجوه، وإن أفتى بشىء أفتى بالأحوط للدين. وكان يوصى من استوصاه بتقوى الله وعلو الهمة، والمحافظة على الفرائض، ويقول: « إنما يستدل على كمال الشخص بتأديته للفرائض ..» وكان إذا استودع منه أحد لسفر يوصيه بتقوى الله والمحافظة على الفرائض فى الجماعة ورفع الصوت بالأذان ما أمكن، وبقراءة حزب الأسبوع من القرآن، وسورة يس، أو لإيلاف قريش عند الخوف. وقد يقرأ للمسافر الفاتحة، بنيِّة الحفظ والتيسير.

كان رضى الله عنه قدوة للناس فى الأقوال والأفعال، ونموذجاً للأخلاق النبوية، والسجايا المحمدية. كان قوى الهمة والعزم فى الدين، يأخذ فى جميع الأمور بمعاليها. لم يسمع بمكرمة أو فضيلة، إلا وشمَّر فى العمل بها. وكان كريماً سخياً جوّاداً. وكان كرمه يتضاعف مرات كثيرة فى رمضان، وكان الناس يتوافدون عليه فى رمضان من أقاصى البلاد، يتبرّكون بالإفطار على مائدته الممدودة. فإنه وإن كان الضيوف وأصحاب الحاجات لا ينقطعون من عنده على مدار السنة، إلا أن رمضان عند الإمام، بالحاوى، كان موسماً يحرص الناس على حضوره.

وكان الإمام يقول: « باللُّقَم تُسْتَدْفَعُ النِّقَم.» ويقول: « لو كان فى اليد والمقدرة شىءٌ لكُنّا نملأ لهم مدينتهم فقراءً ومساكين، فإن أول هذا الدين لم يقُمْ إلا بضَعَفَةِ المؤمنين.»

وكان رضى الله عنه يتفقد أقاربه، وأصحابه، وجيرانه، ويرسل إليهم من كل مايجيئه من خير. وكان على عكس مادَرَج عليه الناسُ، يظهر عليه التكدّر عند إقبال الدنيا ويبادر إلى إخراج ما يجيئه. وقد كتب إليه بعض محبيه من أهل الإحساء قائلين: « إن أردتم حاجة أو شيئاً قولوا لنا ونحن لكم فى الخدمة ..» فلم يعجبه ذلك، وقال: « أوَ نحن تجار حتى نحتاج إليهم؟ ما حاجتنا إليهم إلا أنهم يتّقون الله، ويؤدون ما عليهم من حقوق الله وحقوق عباده، فهذه حاجتنا التى نطلب منهم ...»

وكان رضى الله عنه شديد الحرص على رعاية الأرامل، واليتامى، فقد ورد فى الحديث: [الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار]. وورد: [كافل

اليتيم له أو لغيره؛ أنا وهو كهاتين فى الجنة.] . وقال الإمام الحداد يوما: « قلّ ما تخلو كفالتنا بحمد الله عن يتيم أو أرملة، لأن من عادتنا من كان من هذا القبيل محرما لنا ولا له من هو ألزم به منا فى الشرع جعلناه عندنا: معيشته وما يحتاج إليه..»

إن كثيراً من الناس إذا أصابتهم مصيبة من مرض أو نحوه، صبروا عليها، علماً منهم أنها قضاء الله وقدره. ولكنهم إذا آذاهم أحد من الناس استشاطوا غضباً، ونسوا أن أذى الناس إنما هو أيضا من القضاء والقدر، وأن الله إنما يمتحنهم، ويطهرهم بهذا. فقد قال النبى ﷺ: [إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرِّضَا ومن سخط فله السخط.] . وقال ﷺ للإمام « علىّ بن أبى طالب » رضى الله عنه: [ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة، أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وأن تعفو عمن ظلمك.] .

وكان الإمام الحداد- عند حدوث الحوادث المزعجة- كالجبل الراسى، لا يكاد يظهر عليه أثر. كما كان نقى السريرة، يحتمل أذى الخَلْق، ولا يغضب لنفسه، وإنما كان غضبه- إذا غضب- لربِّه إذا انْتُهِكَتْ محارمُه. وكان يقول: « أما الحقوق التى لنا فقد سمحنا بها، وأما الحقوق التى لله عز وجل فلا نسمح بها أبدا »، ويقول: « نحن من طبعنا: مَنْ ظَلَمَنا تركنا حقنا له، ولا نتظلم لأهل الزمان، وإن كانوا هم الظالمون ونظهر لهم أنهم مستحقون. ونحن نَقْدِرُ، مع ذلك، أن نُظْهِرَ الحق، ونأخذ حقنا منهم، بالحق لا بالباطل. وكان النبى ﷺ، قد آذته « قريش » فى عِرْضه وماله، فعفا عنهم وترك لهم ماله، ثم أظهره الله عليهم فملّكه رقابهم وأموالهم، فمنّ عليهم برقابهم وأموالهم. ونحن طريقتنا إلا مثل طريقة الشيخ عمر العطاس، من أعطانا شيئاً سكتنا عنه، ولم نسأله. وإن طالب بنوه بماله خليناه لهم، فكم ناس أوصوا وجعلوا لنا أشياء ما أخذناها، وأشياء فرقناها على ورثتهم ..» .

ويقول: « إنا نسمع أناساً يأكلون طعامنا ويسبوننا، فلا نتأثر لذلك، ولا نجدّ عليهم، بل ندعو لهم.» ولم يشمت قط فيمن آذاه إن أُصيبَ بمكروه. ولم يكن يدعو على أحد، وكان ينهى الناس أشد النهى عن الدعاء على من ظلمهم. وكان عنده خادم، فكلما فعل الخادم شيئاً يغضبه أعطاه الإمام عطية ليزيل غضبه عليه، فكان الخادم يقول: « ليته يغضب علىَّ كل حين.»

إلا أن لله تعالى غيرة على أصفيائه، فإنه عز وجل يقول فى الحديث القدسى: [من عادى لى ولياً فقد أذنته بالحرب..] . فالولى لا ينتصر لنفسه، بل يعفو. ولا يرى لنفسه على الخَلْق حقوقاً، ولكن الله تعالى ينتصر له، ويعلنها حرباً على من عاداه. وقد جرب الإمام الحداد ذلك، فرأى غير مرة من يؤذيه تُعجّل له عقوبتُه فى الدنيا. وقال: « إنا رأينا كلٌّ من تعرّضَ لنا بمكروهٍ، أو بما ينافى الأدبَ تُعجّل له العقوبةُ ولا يمهل، فربما تكلمنا فى جانبه بما يشبه العقاب، لئلا تعجل له العقوبة، رحمة به وشفقة عليه.» وقال مرة أخرى: « إنا إذا أشغلنا أحدٌ أو آذانا، لا ندعو عليه ولا نكرهه. ولكن نحب أن نتكلم عليه بكلمة حتى نتنفس بها من جهته، لئلا يبقى فى خاطرنا عليه شىء فيأخذه الله بذلك، لأنا جربنا ورأينا، من عادة الله أنه ما أذانا أحد إلا أخذه الله.»

ثم كان بعد ذلك يأخذ بخاطرهم، ويقول: « هذه عادتى إذا تكلمت لأحد بما يغضبه، إنى بعد أترضاه بما يرضيه من قول أو عطا.» ويقول: « إنى أصبح وأمسى وليس عندى، على أحدٍ من الخلق، حقد ولا حسد ». وكم أُذِى الإمام من قِبَل رجال الدولة، وآخرين من الحُسَّاد، وأُولى النفوس المريضة، فصبر. وكان كما يقول جده المصطفى ﷺ: [المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.]

وكان رضى الله عنه فى معاملاته متَّبعا للسُّنة، يأخذ بعلم ويعطى بعلم، مع الورع الكامل والتحرز من الشبهات، ولكن بدون تنطع، ولا تفتيش على الناس، ولا تتبع ولا استقصاء، يؤدى إلى الخروج عن سُنن الاتّباع، ومن غير سوء ظَنٍّ بالمسلمين. وكان إذا استأجر أجيراً ضاعف له الأُجرة، وزاده فوق أمله، وفوق مقتضى عمله. وقال: « إنما قصدنا فيما يفعله الأجير لله، وإعطاؤنا الأجر إنما هو لله، فلا نستقصى لذلك.» وقد أمر بعض من كان يقوم بخدمة مزرعته، فقال: « الحذر أن تدفعوا أحداً بالقوة، إذا جاء يأخذ منه شيئاً (أى الزرع)، واعْلِموه أنه زرعْنَا، فإن أخذه عن حاجة، فما أموالنا وجميع ما كان لنا إلا للبذل والتكرم على ذوى الحاجات، والمستحقين له. وإن كان قدومه علينا على سبيل القهر والاستهانة، ففعله يعود عليه ضررُه، إما عاجلاً وإما آجلاً.»

وكان رضى الله عنه يحب إنشاء المساجد. وقد ذكر مترجموه من عدة ما بنى- من المساجد-

مسجداً « بالنويدرة » ، سماه مسجد الأوَّابين، وأوقف له وقْفَ نخْلٍ قبل بنائه. وآخر «بالسبُير» سماه مسجد « الأبرار » ، وآخر « بالحاوى » أطلق عليه مسجد « الفتح » ، أو مسجد « التوابين » ، وكل هذه بتريم. وآخر « بسيون » أطلق عليه مسجد « باعلوى » ، وآخر « بشبام » أُطلِقَ عليه مسجد « الأبدال» . وآخر « بمدودة » أُطلِقَ عليه مسجد « الأسرار.» ومساجد أخرى بنواحٍ متفرقةٍ كثيرة.

وكان– رضى الله عنه– لا يحب المدح، ولكنه يجيزه، ويقول: « وأناس مدحونا بقصائد كثيرة وذكرونا بها، فأردنا أن ننهاهم عن ذلك، ولكن خفْنا من عدم الإخلاص فى نهيهم، فخلينا كلاً يتولى ما تولى، ويتدرك ما تدرك به. ونقتدى بالنبى ﷺ، لما قيل فيه النظم مما مُدِحَ به وأُنْشِدَ بين يده، ومدحه عمه العباس وغيره. ونحن هذه الأشياء ما تجىء على بالنا ولا نحبها لنا ولا لمن نحبه.»

ولما أُنشدَتْ بين يديه قصيدةُ مدح، قال: « نحن ما نستثقل من هذه الأشياء، لأن ما وقع لنا طرحناه فى بحر النبى ﷺ، لأن النبى ﷺ منبع الفضائل كلها، وهو الممدوح بها كلها. فكل من مُدح بعده بفضيلة فمدحُه يعود إلى النبى ﷺ لأنه السبب فى حصولها. والشيطان منبع الرذائل كلها، فكل من ذم برذيلة فذمه عائد إلى الشيطان، لأنه السبب فى حصولها.»

فقد كان الإمام جَمَّ التواضع، يظهر ذلك فى أقواله وأشعاره ومكاتباته. وقد كتب إلى الحبيب، على بن عبد الله العيدروس، ذات مرة: « أدعو لأخيكم الضعيف إلا من الأمل فى عفو الله، وقوة الطمع فى الخفيات من ألطافه، وجميل ستره على التقصير عن القيام بحقه إلى الغاية والنهاية.»

الفصل السابع

مقامات اليقين

يقول الله عز وجل: ﴿ **وما خلقت الجنَّ والإنْسَ إلا ليعبدُون** ﴾. وفسَّرَ رأسُ المفسّرين من التابعين الإمامُ «مجاهد بن جبر» رضى الله عنه، هذه الآية بكلمة واحدة، فقال: « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعرفون.» فأوضح بذلك أن المولى عز وجل، إنما ذكر العبادة لأنها السبب الموصل إلى معرفته، وهذه المعرفة إنما هى الغرض الأصلى من الثقلين.

والمعرفة من العلم، **والعلم أنواع**، فمنه **المكتسب بالحواس**، ومنه **المكتسب بالعقل**، ومنه **مايختص بالروح**. والنوعان: الأول والثانى، من العلوم الكسبية. أما الثالث، فهو وهْبِىّ، وهو ما يُطلَق عليه «العلمُ اللَّدُنِّى.» وهو المراد بلفظ المعرفة. ولاستخدام لفظ المعرفة، للتعبير عن هذا المعنى، أصل فى السُّنة المحمدية الشريفة، وهو قوله ﷺ لسيدنا « حارثة » رضى الله عنه: [عرفتَ فالزم .] وذلك بعد أن أطلعه الصحابى الكريم على أنه أصبح يرى عرش ربه بارزاً، ويرى الجنة وأهلها فيها يتنعمون، والنار وأهلها فيها يتعذبون.

والعلوم العقلية تقبل التبديل والتحويل، كلما ظهرت دلائل جديدة. وهى لذلك ظنّية. أما إذا رسخ العلم، بحيث لا يقبل التبديل، ولا التحويل، صار يقيناً. وقد عرّف الإمام الحداد– رضى الله عنه– اليقين، فقال: « **واليقين** عبارة عن تمكن الإيمان من القلب، واستيلائه عليه على وجه لا يتصور معه التزلزل والتشكاك بحالٍ. **وثمرة اليقين** هى الكشف والعيان، **فالكشف** حال الموقن، **واليقين** مقام له. وهو، أعنى اليقين، حال المؤمن والإيمان مقام له.»

وقال رضى الله عنه: (وعليك أيها الأخ الحبيب بتقوية يقينك وتحسينه، فإن اليقين إذا تمكن من القلب، واستولى عليه، صار الغيبُ كأنه شهادة. وعند ذلك يقول الموفق، كما قال « علىّ » كرم الله وجه: « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.» واليقين عبارة عن قوة الإيمان، وثباته، ورسوخه، حتى يصير

كأنه الطود الشامخ، لا تزلزله الشكوك، ولا تزعزعه الأوهام، بل لا يبقى للشكوك والأوهام وجوداً البتة. فإن جاءت من خارج لا تصغى إليها الأُذن، ولا يلتفت إليها القلبُ. والشيطان لا يستطيع الدّنو من صاحب هذا اليقين، بل يفر منه، ويفرق من ظله، ويقنع بالسلامة. كما قال رسول الله ﷺ: [إن الشيطان ليفرق من ظل عمر.]، و[ما سلك عمر فجّاً إلا سلك الشيطان فجّاً آخر.]) إلى أن قال الإمام الحداد: (وعلى الجملة، فاليقين أصل، وسائر المقامات الشريفة، والأخلاق المحمودة، والأعمال الصالحة، من فروعه وثمراته. والأخلاق والأعمال تابعة لليقين قوّةً وضعفاً، وصحة وسُقماً.)

واليقين عند أهل الله **ثلاث درجات**: فالدرجة الدنيا هى **علم اليقين**، والوسطى **عين اليقين**، والعليا **حق اليقين**.

يقول الإمام الحداد: « واعلم أن علم اليقين يُعبَّر به عن الإيمان الصادق، المؤيَّد بالبراهين الصحيحة، والأدلة الصريحة. وعين اليقين مرتبة فوقه، وهى أن يستغنى الإنسان عن الاستدلال لظهور الحق له، من طريق العيان، أو قريباً منه. وأما حق اليقين فهو المرتبة العالية، المشار إليها بالكشف المطلق الأَسْنَى المخصوص به أكابر الأولياء وخواص العارفين الأصفياء، وفيها رسخت أقدام الأنبياء، وكمل ورثتهم من الصدّيقين.»

وقد شبهوا درجات اليقين بما قاله سيدنا « موسى »، عليه السلام، لقومه وهو بجانب الطور: ﴿ **إذ قال موسى لأهله إنى آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون**.﴾ فإن الخبر الذى سيأتى به نبى الله عليه السلام مصدّق عندهم، ولكنه تصديق بالغيب، لأنهم لم يروا ما رأى، فيكون هذا عندهم علم يقين. فإذا أتاهم بشهاب قبس فرأوه فى يده؛ صار اليقين عيناً. فإذا اقترب منهم، فوضعه بينهم، فمدوا أيديهم ليصطلوا به، وسرت حرارته فى أجسادهم، أصبح مالديهم من يقين حقاً، وهذه هى المرتبة العليا.

والدرجة الأولى من اليقين علم، أما الثانية والثالثة فمعرفة.

واليقين بدرجاته إنما هو ثمرة المجاهدات وتطهير القلب من كل شائبة تحول بينه وبين الأنوار. فالقلب الذى يعلوه الصدأ لا يتمكن منه الإيمان، وتعصف به الأهواء وتزعزعه الهواجس، والوساوس.

وأما القلب الذى تخلّى عن الصفات الذميمة، وتحلّى بالصفات الحميدة، فقد برَأ من الظلمات وتأهل للأنوار.

يقول الإمام الحداد:

إن ســـــــــرَّ اللّه مســـتَـتِرٌ	فى جـمـيعِ الكـونِ والبَشرِ
فاقْطَعِ الحُجْبَ الكـثيفةَ بالـ	سّيرِ عنـها غـير مُقتصِـــرِ
واقــطعِ الحُجْب اللطيفةَ بالـ	سّيرِ فـيها غـير مـغـتـــرر
فـإذا جـــاوزتَ مـــرتقيـــاً	سِـدْرَةَ الأسـرارِ والـقَـــدَرِ
فتــوقــفْ وانتظـــرْ عِلْمـــاً	من علـوم الأمْـرِ وادّكـــرِ

والحجب الكثيفة، المذكورة فى هذه الأبيات، هى التى بيّنها الإمام « الغزالى » باستفاضة، فى ربع المهلكات من «الإحياء». وبيّنها الإمام « الحداد » فى الفصول الأخيرة، من كتاب « النصائح الدينية » ثم بمزيد اختصار فى « رسالة المعاونة ». ومنها حب الدنيا، والكذب، والغيبة، والنميمة، والعُجْبُ، والرّياء، والكِبْرُ، والخُيَلاء، والحسد، والحقد، والغش، وسوء الظن بالله وبالمسلمين، والشّح والبُخل.

وهذه كلها من أمراض القلب، التى تحول بين المرء وربه، وتوقعه فى المهالك. ومن أخطرها على السالك لطريق الله، الرياءُ، فإنه مرض خبيث يدِقُّ أحياناً حتى لا يكاد المرء يستبينه من نفسه، ويقلِب الحسناتِ سيئات، ويضيّع على العابد عبادته، وعلى المتصدق صدقته، وعلى العالم تعليمه. ولذلك فإن من أكثر ما يهتم به المشائخ، وعلى رأسهم الإمام عبد الله الحداد، حماية أصحابهم منه، وتحذيرهم من الوقوع فيه.

يقـول الإمـام الحـداد: « الرِّيَاءُ عـبـارة عن طلب المنزلة عند الناس بعـملٍ يُتَقَرَّبُ بمثلهِ إلى الله كـالصـلاة والصيـام .. » ويقـول: « إياك والرياء، فإنه يحبط العـمل، ويبطل الثـواب، ويوجب المقت، والعقاب، وقد سماه رسول الله ﷺ الشِّرك الأصغر .. »

وقد رُوِىَ أن رجلاً جاء إلى الإمام « الحداد »، يستأذنه فى بناء مسجد، فسأله الإمام إن كان يقبل

أن يُكْتَبَ اسمُ غيرِهِ على المسجد، بعد أن يبذلَ فيه المال والجهد، حتى يكمله، فأجاب الرجل إن ذلك شيء لا يقدر عليه، فأمره الإمام بعدم بناء المسجد. إذ أنه إن فعل، كان ذلك ضرباً من الرِّياء.

أما العُجْبُ، فيقول الإمام: « إنه عبارة عن نظر الإنسان إلى نفسه بعين التعظيم، وإلى مايصدر منها بعين الاستحسان..» . وفى الخبر أن العُجْبَ يأكل الحسنات، كما تأكل النارُ الحطبَ.

والتخلى عن الصفات المهلكة، يصحبه، ويتلوه، التحلى بالصفات المُرْضِية. التى عبَّر عنها الإمام بالحُجْبِ اللطيفة. ويؤدى ذلك إلى التحقق بمقامات اليقين التسع، التى ذكرها الإمام فى ديوانه:

مـقـامـاته تسْعٌ، عليـكَ بحـفظها	وإحـكامها، وابـْدأ بتصحـيحِ **توبةِ**
وخـوفٍ، ونعْمَ الخوفَ للعبد سـايقٌ	ونعـــم **الرجاء** من قايدٍ للسعادة
وصـــبرٍ جـمـيلٍ عـند كـلِّ بليّةٍ	وأمـــرٍ ونهْى أو ركـون لشـهوة
وشــكر على النّعْمـا برؤية مـنعمٍ	وصرف الذى أسداه فى سبل طاعة
وصحح مقام **الزهد** فهو العماد **والتـ**	**وَكـــُّل** وهو الزاد فى كل رحلة
وحـب إلـه العـالمين مع **الرِّضـا**	بكل الـذى يقضيه فى كل حـالة

وهذه المقامات بيَّنها الإمام « الحداد » بكلامه، وأعماله، وأخلاقه، وأحواله، ثم شرحها شرحاً وافياً، فى الفصول السِّتة الأخيرة من « رسالة المعاونة ».

وأول مقام ذكره الإمام، فى أبياته، مقام التوبة. وفى شرح التوبة يقول: «التوبة أول قدم يضعها العبدُ فى طريق السلوك، وهى أساس جميع المقامات. والله يحب التوابين.» ويقول: «واعلم أن التوبة لا تصح بدون ترك الذنب، والندم على فعله، والعزم على أن لا تعود إليه ماعشت.» وللتوبة درجات، يقول فيها «ذو النون المصرى»: (توبة العوام من الذنوب، أما توبة الخواص فمن الغفلة.) وقد ورد فى الخبر أن أهل الجنة لايندمون على شىء، إلا على كل لحظة مرت عليهم فى الدنيا لم يذكروا الله فيها.

ثم ذكَرَ الإمامُ الخوفَ، فقال: « وأما الخوف، فأصله معرفة القلب بجلال الله، وقهره، وغناه عن جميع خلقه، وشديد عقابه وأليم عذابه، اللذين توعد بهما من عصاه، وخالف أمره. وتتولد من هذه

المعرفة حالةُ وَجَلٍ تسمى الخوف.» وقال فى الرجاء: « وأصل الرجاء معرفة القلب بسعة رحمة الله، وجُودِه، وعظيم فضله، وإحسانه، وجميل وعده، لمن عمل بطاعته. فيتولد من هذه المعرفة حالة فرح تسمى الرجاء.»

وقال: « الرجاء أوسع من الخوف، لأن النفس مغرورة. ومن ليس معه معرفة بقدر خوفه يُخشى عليه الانقطاع.» ثم قال: « والخوف أهم من الرجاء، لأن فقده مضر ويسوق إلى المعاصى، والنفس كالمرأة السوء.» ثم إن العبد إذا ترقى وتطهر، يصبح رجاؤه أُنساً، وخوفه هيبة، وهؤلاء يقول عنهم الإمام: «عبد قد أناب إلى ربه واطمأنت به نفسه وانقشعت ظلمات شهواته بإشراق أنوار قربه، فلم تبقَ له لذة إلا فى مناجاته ولا راحة إلا فى معاملته، فصار رجاه شوقاً ومحبة، وخوفه تعظيماً وهيبة.»

وقد وُصِفَ الإمام « الحداد » بأنه كان « شديد الخوف من الله سبحانه، دائم الخشية والهيبة له عز وجل، غزير الدمعة، لا يكاد يسمع المخاوف إلا وجادت عيناه بالدمع.. » . ورُوِى أن بعض الناس قال له: « خاطرك ياسيدى عبد الله إن الله يجمعنا معكم فى الفردوس الأعلى.» فتغير وجهه وقال: «أهكذا تقول، ونحن لا نطلب من الله إلا النجاة من النار، ولو إلى الأعراف.» فقال له الرجل: « ألم يقل جدك المصطفى ﷺ: إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى؟» فعند ذلك انشرح ودعا بذلك.

وكان يظهر عليه الحزن والخشوع عند سماع شيء من سير أرباب العزم، والجد، والاجتهاد، والتبتل من العباد، والزهاد، والعلماء، والأوتاد « كأويس القَرَنى » و « أحمد بن حنبل »، وغيرهما.. وكان يكثر خوفه وانزعاجه عند أصوات الرعد، والريح. وكان ربما قام وقعد من شدة الوجل.

ولكنه كان-- رضى الله عنه- يغلب رجاؤه خوفَه، وكان يقول: « إن أغلب أحوالنا صدق الرجاء فى الله، وحسن الظن به تعالى، بالنسبة إلينا وإلى جميع المسلمين. ولكن الله أعطانا لسان الخوف رحمة للعامة، إذ هم عظيمو الاغترار بالمَلِكِ الجبار. ويغلب علينا الرجاء؛ حتى للمخالفين من أرباب الفرق. » وقوله: « أعطانا الله لسان الخوف »، ظاهر فى أقواله وفى كثير من نَظْمِه. أما شمول رجائه لجميع المخالفين من الفرق، أى من أهل البدع، فإن شيمة الأكابر اتساع صدورهم للكل، ودعاؤهم للكل، مع إحقاق الحق وإبطال الباطل. ومن كلامه: « إن عندنا من الرجاء وحسن الظن بالله تعالى

ما لو ظهر للناس منه سَمُّ إبرة لتركوا العمل اتكالاً.» وحسن الظن بالله- أيضاً- مما يظهر فى ثنائه واعتماده عليه، وفى دعواته، وفى كلامه المنظوم وغيره.

ثم ذكر الإمام فى أبياته الصبر والشكر، وهما مما لاغنى للمؤمن عنه. وقد قسّم الصبر فى « رسالة المعاونة » إلى أربعة أنواع:

أولها، الصبر على الطاعات.

وثانيها، الصبر عن المعاصى.

وثالثها، الصبر على المكاره.

ورابعها، الصبر عن الشهوات.

وقال فى أحد المجالس: « إن أهل البلاء فى هذا الزمان ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: أهل الرضا والسكون، لهم رفع درجات. وأهل الجزع من غير اعتراض، لهم تكفير سيئات. وأهل الجزع والاعتراض، لهم مقت وعقاب ».

فأما صبره على الطاعات، فقد ذكرنا شيئاً منه فى مجاهداته، أيام بداياته. أما بعد هذه المرحلة، فإن الطاعة تكون للعارف محض لذة وأُنس. وقد قال رضى الله عنه: « إن من لزم الصبر وصل إلى مقام القرب، وهناك يجد فى الطاعات من الحلاوة واللذة والأنس مالا يوصف.»

وأما الصبر عن المعاصى، فإنه كان فى صباه وشبابه، ليس فيه دافع لمعصية أصلاً، وذلك بالنسبة للمعاصى الحسّية. أما بالنسبة للغيبة، والنميمة، وفضول الكلام، فقد حفظه الله منهم، فإنه كان بالفطرة بعيداً عنهم كل البُعد. وكذلك الشهوات المحللة، لم يكن صبره عليها بالمجاهدة، والمعاناة وإنما كانت لا تكاد تخطر له على بالٍ، وذلك بفضل فطرته السليمة.

وأما الصبر على المكاره، فإنه كان حريصاً على كتمان البلايا، والمصائب، لا تكاد تظهر عليه منها شكوى. وربما قاسى الشدائد ممن حوله، ولم يطّلع أحد على ذلك، وقد قال لتلميذه المقرب السيد «أحمد بن زين الحبشى » قرب نهاية عمره: « إن الحمّى فى جسدى منذ خمس عشرة سنة، لم تزايلنى أبدا، ولم يعلم بذلك حتى أهل بيتى ». ولم يذكر له ذلك من باب الشكوى، ولكن من باب

التعليم. وكان إذا حصلت له مشقة من كثرة من يتوافدون عليه من الناس، وكلٌ يريد محادثته بصفة خاصة، وكلٌ يريد مصافحته، سيما لمّا ثَقُلَ سمعُه آخر وقتِه، يقول: « تريدون منا أن نشكو مولانا جلّت قدرته. ». وكان يقول: « إنا لنريد ومولانا يريد، وما يكون إلا مايريد، وقد سلمنا له مايريد، عسى أن يكفينا شر مانريد، إنه حميد مجيد..»

ورُوِى أنه استطال رجل على بعض أصحابه، فشكا إليه منه، فقال له: « أَمَا تتحمل له فى كلام يسير، ونحن نسمع الكلام فينا، فنصبِر، ونعفُ، ونحسن إلى من أساء إلينا؟! »

ولقد أوردنا هذه الأشياء فى مقام الكلام عن الصبر، إلا أن الصبر– عند الإمام– ارتقى، منذ سن مبكرة، إلى الرضا. وهو الأكمل من حيث التسليم، والتفويض، والسكون، وهذا من حيث نفسه. وأما بالنسبة للناس، فكان يقول: « إذا ابتُليتَ بما يمكنك الصبر عليه، فلا تخرج من الصبر، أى الذى هو مقام أصحاب اليمين، إلى الجزع الذى هو مقام عصاة المؤمنين ونحوه. بل إن خرجت منه فاخرج إلى الشكر، وهو أرفع منه لكونه مقام المقربين. وإذا دامت الشدائد ألفت، وكانوا أى الأولون لما ابتلاهم الله اتسعت قلوبهم بأن أنزل الله فى قلوبهم السكينة، فصبروا ولم يتزحزحوا.» ويقول: « لايحمل أحداً ولايستره فى هذا الزمان إلا الصّبْر، وفى الصبر على ماتكره خير كثير، وكم من الضرر فى فلتات اللسان، والرجل العاقل هو الذى يصبر، وأما النساء فلا يحتملن ذلك، وبين عقولهن وألسنتهن برزخ».

وكان يصبِّر أصحابَه على البلاء، بأن يذكرهم أن اختيار الله لهم خير من اختيارهم لأنفسهم، وأن فيه تكفير للذنوب ورفع للدرجات، وأن الله مع الصابرين. ومما قاله: « إن الله لا يخرج عبده المؤمن من الدنيا حتى يضجره بمرض ونحوه، ليخرج منها زاهداً فيها.» وقال نظْماً:

وكمْ محْنةٍ كـابدتُـها وبَليَّـةٍ	إلى أن أتانا اللهُ بالفتح والنصْـر
صبرتُ لها حتى انقضَى وقتُهَا الذى	به وقّتتْ فى سَابقِ الـعِلـمْ والذِّكْـرِ

إلى أن قال:

إذا مَـا ابْتَـلاكَ اللهُ فـاصبرْ حـقَّـه	عليكَ، وإنْ أولاكَ فالحقُّ فى الشُّكْـرِ
ومـن عَرَفَ الدُّنـيـا تحقَّـقَ أنـهـا	بـلا مريةٍ مستوطنُ البُؤسِ والضّـر

وأما الشكر، فلما ذكره الإمام قال: « وأصل الشكر معرفة القلب بالنِّعَم، وأنها من الله وحده، لم يصل إليه شيء منها بحوله وقوته، بل بفضل الله ورحمته. وغاية الشكر أن تطيع الله بكل نعمة أنعم بها عليك.» ثم ذكر أن من الشكر كثرة الثناء على الله، وتعظيم النعمة وإن كانت صغيرة، والتحدث بالنعم بدون تزكية للنفس أو تبجح. وما أكثر ما أثنى الإمام على ربه شعراً ونثراً، وما أكبر تعظيمه للنعم، وما أكثر تحدثه بها، إلا ما كان منها متصل بولايته، والأسرار التى بينه وبين ربه، فإن تحدث عن شيء منها فبالإشارة اللطيفة وبالتلويح.

وإذا نظرت إلى أعماله عرفت أنه كان على قدم جده ﷺ، الذى قام الليل حتى تورمت قدماه الشريفتان، فلما سألته السيدة « عائشة »، رضى الله عنها، عن ذلك، قال ﷺ: [أفلا أكون عبداً شكورا؟]

ثم ذكر الإمام، فى أبياته، مقامَىّ الزهد والتوكل، فقال:

وصحح مقام **الزهد** فهو العماد **والتـّـوَكـُّـــل** وهو الزاد فى كل رحلة

أما الزهد، فيقول فيه: « وأصل الزهد معرفة القلب بحقارة الدنيا وخِسَّتها، وأنها لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء، وأنها ملعونة ملعون مافيها إلا ماكان لله فيها. وأن من أخذ منها فوق مايكفيه، أخذ حتفه وهو لا يشعر. وثمرة هذه المعرفة والمقصود منها: ترك الميل إلى الدنيا باطناً، وترك التنعم بشهواتها ظاهراً. وأدنى درجات الزهد أن لا تقع بسبب الدنيا فى ركوب معصية، أو فى ترك طاعة. وأعلى درجاته أن لا تأخذ منها [أى الدنيا] شيئاً، حتى تعلم أن أخذه أحب إلى الله من تركه، وبين هاتين الدرجتين درجات كثيرة.»

وكان الإمام يقول: (نحن الآن إنما نعد من جملة الأموات، لأنها قد ماتت منا جميع الشهوات الدنيوية. لا أجد ميلاً ولا رغبة إلى شيء من الدنيا أصلاً، من مأكول وملبوس، وغير ذلك. ولا أجد لذلك لذة، ولكنا إذا قرب إلينا المأكول أكلنا منه ماتيسر بحكم الموافقة، ولنا بهذا الحال مدة ... وقد كان لى إلى مثل هذه الأمور ميل ضعيف جداً قبل هذه المدة، والآن عدم ذلك الميل، وإن رأيتم منى خلاف ذلك من حيث الحركات والمخاطبات من الناس، وقد قال ﷺ: [موتوا قبل أن تموتوا].)

ويصف مترجم الإمام « الحداد » حالَه، فيقول: « فأقبلت عليه الخلائقُ بالأموال والهدايا، يبتغون الفضل من ربهم والرضوان، فيقبل منهم نظراً إلى الله، وإعانةً لهم على حسن نياتهم، يصرف جميع ذلك فى وجوه الخير ضيافةً وصدقةً وإهداءً وغير ذلك، لا يدخر لنفسه شيئاً، بل يخرج ماجاءه على حسب مانواه. وكانت تأتيه الأكسية الفاخرة من الأماكن البعيدة، فيلبسها مدة، ثم يهديها أو يكسيها لمن نواها، من غير نظر والتفاتٍ إليها. وقد أهدى إليه ملكُ الهند دراهم كثيرة فى بعض السنين، ولم يكتب للإمام كتاباً، فلما استلم الإمام الدراهم، طلب منه الرسول كتاباً إلى الملك بوصول الرسالة، فرفض الإمام قائلاً: « من عاداتنا أن لا نبتدىء أحداً بالمكاتبة، سيما أبناء الدنيا وملوكها..»

وكان يقول: « أكلم الناس لقصد الإيناس، وإلا فلا شهوة لى فى ذلك طبعاً.» وكان يقول: « ليس لنا لذة فى مخاطبات الناس وكلامهم ولا نبالى بأحد منهم.» وكان يقول: « أبغض الجاه والصيت طبعاً وجِبْلَةً، ومن أشهى الأحوال عندى السياحة فى البرارى والقفار، وذلك مُنائى ومطلوبى، ولكنى منعت ذلك لينتفع الناس بى، وبختهم بى خير من بختى بهم.»

ولما سئل الإمام عن قول الإمام الغزالى: « العلم يثمر الحال والحال يثمر المقام » أجاب بضرب مثل بمقام الزهد، فقال: « فاعلم أن الزهد من المقامات الشريفة، وأصله أن يعلم الإنسان بما ورد فى الكتاب والسُّنة، وكلام صالحى الأمة فى ذم الدنيا، وتقبيح حال الراغبين فيها، وذكر فضيلة الراغبين عنها، المقبلين على الآخرة. فيقع فى قلبه- إن أدركه التوفيق- أثرٌ يقتضى الزهد فى الدنيا والرغبة فى العقبى.»

ثم أضاف: « فالأول العلم، وهذا الأثر هو الحال. وتظهر على الجوارح، بواسطة هذا الأثر، أعمال تدل عليه، من الإعراض عن عمارة الدنيا، وجمع حطامها، وملازمة ماينفع فى الآخرة من الأعمال الصالحة، إلى غير ذلك. ثم إن هذا الأثر تعرض له عوارض من وساوس الشيطان والنفس، فيما يدعو إلى الرغبة فى الدنيا، فيحول ويتزلزل، ويطرأ عليه ضعف وربما ينمحى فى بعض الأحيان، ولذلك يسمى حالاً. فإذا رسخ وتأكد ورست قواعده فى القلب، فلم تؤثر فيه خواطر الرغبة، ولم تزلزله البتة، فعند ذلك يسمى مقاماً. فقد عرفت بهذا أن العلم يثمر الحال، والحال يثمر المقام.»

وقال: « للحال والمقام أمارات وعلامات تدل على صحتها وسعتها، تجرى على الظاهر، وتسمى العمل. وهو ينشأ أيضاً عن العلم، غير أنه يتعلق بالظاهر، فيفرق بينه وبين الحال بذلك. وقد ذكر صاحب العوارف أن الأحوال بدايات المقامات، وأن من رسخت قدمه فى شىء من مقامات اليقين، تكون له حالة المقام الذى هو أعلى منه، فاعلم ذلك. ثم إن الأحوال قسمان: أحدهما ما تقدم ذكره، والآخر مايرد على القلب المشرق بأنوار الرياضة والمجاهدة من الواردات الشريفة، كالأنس والغيبة والسكر والجمع. وهذا القسم من الأحوال لا تثمره العلوم، ولكن تثمره التوجهات الخارقة فى قوالب المعاملات الخالصة، والنيات الصادقة، ولم يُرِدْهُ الإمام (أى الغزالى) بقوله ذلك. والأحوال التى يجرى ذكرها كثيراً على لسان القوم المراد بها القسم الثانى منها. والله أعلم ».

أما التوكل فيقول فيه الإمام: « اعلم أن أصل التوكل على الله معرفة القلب أن الأمور كلها بيد الله، ماينفع منها، ومايضر، وما يسوء منها، وما يسر ..» ويقول: « وللمتوكل الصادق ثلاث علامات:

الأولى: أن لا يرجو ولا يخاف إلا الله، وعلامة ذلك أن يصدع بالحق عند من يرجى ويخشى عادة من المخلوقين، كالأمراء والسلاطين.

والثانية: أن لا يدخل قلبه هم الرزق ثقة بضمان الله، بحيث يكون سكون قلبه عند فقد ما يحتاج إليه، كسكونه فى حال وجوده وأشد.

والثالثة: أن لا يضطرب قلبه فى مظانّ الخوف، علماً منه أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.»

وقد أخبر الإمام عن حاله قائلا: (أنا بحمد الله لا أجد همّ الدنيا، إنما أصدّق بوجوده لغيرى، وعندى من الشجون القلبية مالو وُزّع على أهل « تريم » لهربوا). والشجون هذه نتيجة الشوق العظيم إلى الله سبحانه الذى يعترى المحبين. ويقول الإمام: « نحن فى جميع أمورنا معولون على الله وعلى كرمه وفضله، ومنفقون من خزائن جوده ...»، ويقول: « أنا لا أشهد المعطى إلا الله حقيقة ولو أعطانى رجل من المال ما أعطى لم يزده عندى قدراً، لأنى أراه من جملة الأسباب والوسائط ».

قال بعض أصحابه: « اتفق فى بعض السنين غلاء وقحط، فكان ربما جاء سيدى الضيفُ فيصنع

له الطعام الكثير بحيث يكفى جماعة كثيرين، فكنت أعجب منه، حيث يصنع مثل هذا فى مثل هذا الوقت، فقال نفع الله به: « لا تعجب، أنا من أمورى أعجب، ليس لى من هذا الأمر شيء، وإنما أنا مأمور به، ولا يجوز الاقتداء بى فى ذلك لأحد، إلا أن يكون ذلك الأحد قد أعطى ما أعطيته » . أى من التوكل على الله، والاعتماد عليه، والسكون إلى تدبيره وحكمته.

والتوكل من المقامات العزيزة، وأمره عجيب، ولا يفهمه عامة الناس، ويخلطون بينه وبين التواكل. أما التواكل فمعروف، وهو التكاسل والتقاعس مع ادعاء الاعتماد على الله والثقة به. وأما التوكل فهو الأخذ فى الأسباب بجد وحزم، مع سكون القلب إلى تدبير الرب، والعلم أن العطاء والمنع ليسا إلا منه.

وكثير من الناس يسيئون الظن بأهل الله، ويتهمونهم بالتواكل، بينما هم المتواكلون. وقد ذكر الإمام الحداد أمثال هؤلاء، فقال: « وكثيراً ما تسمع من سفلة الزمان عندما يقال لهم: مابالكم تتركون الطاعات، وتفعلون المحرمات؟ فيقولون: هذا شيء قد قضاه الله علينا وقدَّره، ولا محيص لنا عنه، وإنما نحن عبيد مقهورون...» وبيّن الإمام أن هؤلاء غرهم الشيطان، وأن ما هم فيه من ترك الطاعات والاجتهاد فى جمع الدنيا والاستمتاع بها، إنما هو تناقض ونفاق، فقال: (وإياك وأمانى المغفرة القاطعة عنها، وهى ما تسمعه على لسان طائفة من المغترين من قولهم: « إن الله يغفر الذنوب جميعاً، وهو غنى عنا وعن أعمالنا، وخزائنه مملوءة بالخير» مع إصرارهم على فعل المعاصى، وترك الأعمال الصالحة.) إلى أن قال: (ولو أنك قلت لواحد من هؤلاء المغرورين: « اقعد عن الكسب والتجارة والله تعالى يأتيك برزقك! » سخر منك وقال: « ما رأينا شيئاً يجيء إلا بالسَّعْى والطلب، بل بالكد والنَّصَب » .)

والتوكل من ثمرات التوحيد الخالص، الذى لا يشهد أهله فاعلاً فى الكون إلا الله عز وجل، كما يقول الإمام:

مافى الوجود ولا فى الكون من أحد — إلا فقير لفَضْلِ الواحد الأحد

معوّلون على إحسانه فقراً — لفيض أفضاله يانعم من صمد

وأهل الدنيا يتشبثون بالأسباب المادية، ويرونها مؤثرة. أما أهل الله فيثبتون الأسباب المادية، ولايعتمدون عليها، ويثبتون الأسباب العلوية، مع يقينهم أن الأسباب- وإن علَت- لا تخرج عن كونها أسباباً. فنرى الإمام الحداد إذا أهم القوم أمرٌ، رتّب قراءة سورة يَس يومياً لمدة أربعين يوماً، حتى يأتى الله بالفرج، ونراه أخرج إلى الناس راتبه الشهير عند دخول الزيدية حضرموت، فصار الناس ببركة قراءته محفوظين. ونراه خصص دعاءً لكل غرض، ونراه توسّل بالنبى ﷺ، فقال:

يارسول الله يا أهل الوفا　　　ياعظيم الخلق يا بحر الصَّفَا

أنت بعد الله نعم المرتجى　　　واللجا يا مُجْتَبَى يا مصطفى

ونراه فى كثير من أشعاره توسّل بمشائخه، وأسلافه، من الأولياء والصالحين.

وهكذا أهل اليقين يأخذون فى الأسباب الظاهرية بهمم عالية، ويأخذون بالأسباب الغيبية، فيكثرون من تلاوة القرآن والأذكار، ومن الدعاء والتضرع والتذلل، والتوسل بكل ماهو وسيلة إلى الله. ولكن قلوبهم تبقى مذعنة لبارئها لا يشوبها ضجر، ولا سخط، ولا اعتراض. فظاهرهم العمل والدعاء والابتهال، وباطنهم السكون والتسليم. وما كمال ذلك إلا حال الرضا، الذى ذكره الإمام فى أبياته مع مقام الحب، إذ هما أعلى مقامين، فقال:

وحب إله العالمين مع الرضا　　　بكل الذى يقضيه فى كل حالة

وقال عن حب الله عز وجل: « واعلم أن أصل المحبة المعرفة، وثمرتها المشاهدة، وأدنى درجاتها أن يكون حب الله هو الغالب على قلبك، وأعلى درجاتها أن لا يصير فى قلبك حب لغير الله البتة...» ثم قال: « واعلم أن محبة رسول الله، وسائر أنبياء الله، وملائكته، وعباده الصالحين، ومن يعين على طاعته، كل ذلك من محبته...» .

وقد قال الإمام مخبراً عن نفسه: « دَكَّتْنِى المحبةُ وأخذت كلِّيتى، وأذابنى الحبُّ حتى خامر جميع أصولى. فأنا ذاهب القلب، وإن رأيتنى بين هذا الخلق » . وقال: « أجد فى قلبى محبة ومودة لكل مؤمن أمراً عظيماً، ولكن محبة الله سبحانه سترت ذلك » .

وقال نظماً:　ولله روح خالطَ الحُبُّ كلَّها　　　ومازَجَها حتى صَبَتْ للصَّبابةِ

وقال: يامَنْ هواهُم فى فؤادى مقيمُ — وحسنهم فى مشْهَدِى مستقيمْ
هل من سبيلٍ لى إلى وصْلِكُم — من قبل أن تُمْسِى العظامُ رميمْ
إلى أن قال: عطفاً على من صار فى قلبه — من حبكم والشّوقُ أمرٌ عظيمْ
لو كان يدريه العذول له — فى حسنكم عاد الشفيق الرحيمْ

وقال يوماً: « أفاض الله على قلبى من محبته، فامتلأ قلبى حزناً فصار دار الأحزان ». والحزن المقصود هنا ليس هو المرادف للكآبة، ولكنها الشجون المذكورة آنفاً، والشوق الكبير الذى يقول فيه الإمام:

سقياً لأيامنا اللاتى — مرت لنا بالحمى المأنوس
كانت بها كل لذاتى — فى عالم الروح والمحسوس
لولا الترجى لما يأتى — من نفحة الملك القدوس
لمزقت قلبى الأحزان — وذُبْتُ من شدة الكرب

وكتب رضى الله عنه: « وللمحبة الصادقة علامات، أَجلُّها وأعلاها كمال المتابعة للرسول فى أقواله وأفعاله وأخلاقه. قال الله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ وبحسب المحبة لله تكون المتابعة لحبيب الله، إن كثيراً فكثير، وإن قليلاً فقليل ».

ثم انتقلَ من المحبة إلى **الرضا**، فقال: « فإن الرضا بالقضاء من أشرف ثمرات المحبة والمعرفة، ومن شأن المحب أن يرضى بفعل محبوبه، حلواً كان أو مُرّاً ». إلى أن ذكر ماقاله الغزالى: « الرضا هو أن ترضى بما يفعل الله باطناً، وتفعل مايرضاه ظاهراً ». إلى أن قال: « واعلم أن الدعاء والإلحاح فيه لا يقدح فى الرضا، بل هو من الرضا، كيف والدعاء معرب عن التحقق بالتوحيد. وهو لسان العبودية، وعنوان التحقق بالعجز والاضطرار والذلة والافتقار ».

وكان- رضى الله عنه- كثير الدعاء والابتهال، مُلحّاً فيه. وأكثر ما روى عنه من أوراد وأحزاب، إنما هى دعوات نبوية، وكذلك ديوانه تكثر فيه الدعوات والاستغاثات بالله والابتهالات.

ولنرجع الآن إلى الأبيات التى ذكرناها فى بداية الفصل، فإنها تشير إلى أنه بعد قطع الحجب الكثيفة، ثم اللطيفة يتأهل القلبُ لهبوب نسيمات الوصال، وتنزُّل المنح الإلهية:

فإذا جاوزت مرتقياً سدْرَةَ الأسرارِ والقدرِ

فتوقف وانتظرْ عِلماً من علومِ الأمرِ وادّكرِ

وهذا العِلم المنتظَر إنما هو المعرفة بالله.

الفصل الثامن

رحـــلة الحــــج

قال الإمام عبد الله الحداد، رضى الله عنه: « كان لى خال من السادة من آل الغصن، وكان يقول لى وأنا صغير السن: ياعبد الله سوف يحصل لك كذا وكذا .. وسوف تحج سنة كذا وكذا .. وإذا بلغت مكان كذا، أتيت ببغل، وتدخل مكة وأنت عليه راكب. ويخرج أناس من مكة فى عراضك، ثم تسير إلى المدينة الشريفة، فإذا كنت فى مكان كذا، صب الله عليك نوراً من غير واسطة. قال: فما عرفت كشف هذا السيد إلا لما حصل لى ماذكره لى. »

كان الإمام كثير الحثّ للناس على الخروج للحج، وذلك من جملة ماكان يدعوهم إليه من الأعمال الصالحة والفضائل. وكان يرغّبهم فيه، ويحسّنه لهم، ويذكر لهم فوائده، ويدعو لهم، ويرتب لهم الفواتح، بنيّة السلامة فى السفر والتوفيق والقبول. ومن ذلك أن رجلاً جاءه يستأذنه فى الخروج إلى الحج، فقال: « مليح، حجوا هذا العام، ففى الخبر مَنْ حجّ حجةً أدّى فرضَه، ومَنْ حج الثانية داين ربه، ومن حج الثالثة حرّمه الله على النار ». وقال لرجل آخر جاء من الحج: « كم حججت؟ » قال: « كذا وكذا »، فقال: « المتردد إلى البيت، كالمتردد على الباب يطلب، إذا لم يعطَ فى المرة الأولى، أُعطى فى الثانية.»

فلما كان عام ١٠٧٩ من الهجرة، عزم الإمام على الحج، وخرج من « تريم » فى يوم مطير، متجهاً إلى ميناء الشحر. ويروى بعض من صحبه أنهم لما وصلوا إلى أحد الوديان، وحطت القافلة للعشاء، قال لهم الإمام: « حمّلوا »، فأجابوه إلى ذلك، ولم يكن للمطر حينئذٍ أى أثر، وبينما هم لايزالون فى الوادى، إذا السماء تبرق وترعد، ثم أمطرت، فقال لهم الإمام: « إنى أرى مكاناً هناك وأشار إليه، ثم قال: « إرتفعوا »، ولم يره من كان معه لشدة الظلمة، فانحازوا إليه، وأوقدوا النيران، فإذا

بهم يرون فى الوادى سيلاً عظيماً، فحمدوا الله على النجاة وواصلوا السير، فلما جاء وقت الظهر– وقد بلغ منهم التعب مبلغاً– أرادوا أن يتوقفوا للراحة، فأبى عليهم الإمام، وقال: « امشوا » فمشوا فى الوادى الذى كانوا يريدون التوقف فيه، حتى إذا قطعوا بعضه أمرهم الإمام بالارتفاع عنه، فارتفعوا ثم حطّوا فى وادٍ آخر، فما جلسوا إلا وقد أقبل السيل فى الوادى الأول بقوة إقتلعت الأشجار.

واقتربت القافلة من بلدة « الشِحْر » وقت العشاء، وأراد بعض من معهم أن يتقدمهم ليهيّء لهم بيتاً يقصدونه، وغير ذلك مما يحتاجونه. فقال له الإمام: « يا هذا تأدب فإنما نحن أضياف الله، ننزل حيث أنزلنا، ولا نختار لأنفسنا » فما إن دخل المدينة، حتى تلقاه أحد السادة من بيت السقّاف، وقصد به بيته، فإذا هو قد أعد فيه كل شىء.

وزار الإمام أولياء « الشِحْر »، الأحياء منهم والمنتقلين. ومن الأحياء السيد العارف بالله أحمد بن ناصر بن الشيخ أبى بكر بن سالم، الذى قال فيه الإمام: « وجدناه لما زرناه فوق ماتوهمناه »، وقال السيد أحمد فى الإمام: « ماجاءنا السيد عبد الله الحداد إلى « الشحر » إلا هدية، ووددت أن أرسل إلى أهل الجبال التى حول « الشِحْر » يأتون ينظرون إليه، فإن النظر إليه مغنم.»

ثم ركب الإمام ومن معه البحر إلى « عدن » ثم « الحديدة »، فلما وصل « عدن » زار ضريح الإمام أبى بكر العيدروس المشهور بالعدنى. وللإمام « الحداد » شرح عظيم أورده فى خاتمة رسالة «إتحاف السائل » لقصيدة العيدروس العدنى، التى مطلعها:

هبّتْ نسيمُ المواصلةِ بلا اتصالٍ ولا انفصالِ

وقبل أن يخرج الإمام من « تريم » للحج، شكا إليه أهل « حضرموت » من واليهم وجوره عليهم، فقال: « لا نرجع من الحج إلا وقد مات ذلك الوالى.» وكان هذا الرجل يتردد على الإمام، فيعظه وينصحه بالشفقة بالرعية، لكنه كان ممن لا يعمل فيهم النصح. وقال فى يوم من الأيام: « إن سيدى عبد الله يريد أن أكون مثل عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل.» فلما بلغ الإمام هذا الكلام غضب، وقال: « لو أراد الكامل فى هذا الزمان أن يعدل فى بيته، فضلاً عن غيره، يوماً واحداً مثل عمر بن عبد العزيز، لعاداه كل شىء حتى ثيابه.» أى أن الإمام كان يرى أن الولى الكامل إن أراد أن يعدل،

كعدل عمر بن عبد العزيز، لعارضه كلٌّ شيء. إذ أن الزمان لا يحتمل هذا، فكيف إن لم يكن وليّاً ولا كاملاً، بل مجرَّد والٍ من الولاة، بل عليه أن يبذل وسعه مع الرحمة والشفقة بعباد الله. فلما كان بالبحر، نادى بالصلاة على هذا الوالى، فصلوا عليه صلاة الغائب، وحضره جماعة ممن حج معه. ولكن لم يتجاسر أحد منهم أن يسأله عن حقيقة الحال، فأَرَّخُوا ذلك اليوم، فلما رجعوا إلى «حضرموت»، وجدوه يوم وفاة هذا الوالى.

وقد رُوِى عن الإمام الحداد أنه قال، فيما بعد: «إن أهل البرازخ، لما كنا ببندر عدن، شكوا إلىّ من السلطان فلان بحضرموت وإن الله رماه بسهمين فمات.» ولما قيل له: إنكم دعوتم على هذا السلطان. أنكر ذلك وقال: «نحن لا ندعو على أحد بعينه أبداً»، إلى أن قال: «ولكن الحق سبحانه يغار علينا وينتقم لأجلنا.»

ولما وصلوا إلى «جدة» جاءتهم الرسائل من أهل «مكة»، كلٌّ يتمنى أن يستضيف الإمام ومن معه بمنزله، ويحظى بشرف وبركة وجوده عنده. وكانت أول رسالة وصلت رسالة الشيخ «الحسين بافضل»، فقبل الإمام منه الدعوة. ولما حان وقت الرحيل إلى «مكة»، تقدم «عبد الرحمن شراحيل» إلى مقهًى على طريق مكة، يسمى «أم قرين»، وكان جائعاً وليس معه من النقود شيء، فجلس بعيداً عن المقهى بحيث لا يراه أحد، ورواد المقهى يأكلون الخبز، ويشربون القهوة. يقول عبد الرحمن شراحيل: «فإذا بسيدى الشيخ عبد الله، رضى الله عنه، قد أقبل راكباً على جمل، وهو يذكر الله، فلم أتكلم، فنادانى مكاشفاً لى. فأتيته، فناولنى رغيفين، وقال لى: «هذا لك، حيث قنعت وتميزت عن الناس ولم تتشوف لما عندهم.»

ولما اقترب من «مكة» بآخر الليل، قال له بعض أصحابه: «ائذنوا لى أن أتقدم وأهيىء لكم منزلاً تنزلون به، فإن الناس يكثرون بمكة» فقال الإمام: «يا هذا تأدب مع أهل الله، فوالذى نفسى بيده ما أود إلا أن أمشى تحت الأرض التى تمشون عليها، غير أنى أسمع منادياً ينادى علىّ بالظهور.»

وخرج الناس للقاء الإمام وجاءوه ببغلة يركبها. وكان أول من سبق إليه مندوب الشيخ «حسين بافضل»، فسار معه فدلّه على المنزل المعدّ له.

وقد قال الإمام « الحداد » عن هذه الأحوال، فيما بعد: (ولما دخلنا « مكة » كان من قصدنا النزول فى رباط ربيع المعروف مدة الإقامة، فعرض علينا الشيخ الصوفى الحسين بن محمد بافضل النزول فى بيته، وفرغ لنا فيه مكانا واسعا، وهيأ فيه جميع الآلات المحتاج إليها؛ من الفرش الحسنة وغيرها، وقبلنا ذلك، حيث وقع ابتداءً من الله عز وجل، من غير تسبب منا فى ذلك، وهذه طريقتنا وهى إنزال الحوائج والأمور بالله تعالى، وما ساقه منها على يد من شاء من عباده سبحانه قبلناه. وسبب فعل الشيخ هذا أنه سمع قصيدتنا: قد كفانى علم ربى من سؤالى واختيارى.)

وقال الإمام الحداد، فى مناسبة أخرى، أنه نزل مع من معه، وهم حوالى العشرة فى دار « الحسين بافضل »، فقال لهم الشيخ حسين: « الحذر إذا بدت لكم حاجة ما تقولون لنا بها.» فأجابه الإمام: «إن بدت حاجة تُطْلَبُ إلى المخلوقين، فما أحد أولى بها منك وقدنا عندك، وإن قضى الله سبحانه الحوائج كلها، فما بقى كلام.» وأضاف الإمام ذاكراً هذه الأيام: (لما كنا بجدّة قادمين للحج، جائتنا كتب كثيرة من عند محبين، يطلبون أن نقصدهم. وأول ماسبق منها، ووصلنا، كتاب حسين بافضل، وقال: « إن عندى داراً بنيتها، وما تركت أحداً ينزلها قبلكم. ومرادى أن أول من ينزلها أنتم.» فأجبناه إلى ذلك ونزلناه، وقلنا له لا تتكلف لنا بشىء ومعنا حوائجنا كلها، فقال: « أنتم فى بيتى، ولابد من ضيافتكم الليلة » فأضافنا فلما كان غدوة أرسل لنا بعشرة حمران، فلمناه على ذلك، فقال: « إنما هذا حق الحطب » فلما كانت الليلة الأخرى فعل عشاءً. آخر الأمر أنه قام بالمؤنة كلها، ولا ترك لنا عذراً، حتى أنه اكترى لنا، إلى المدينة، كراءً مرجعاً..)

أى أن الشيخ « بافضل » قام بضيافة الإمام قياماً كاملاً، من مأكل ومشرب وركائب، وقوافل، تحملهم إلى المدينة المنورة، وتعود بهم إلى مكة، وخلاف ذلك من كل ما يحتاجه وفد الإمام وضيوفه. وليس هذا مستغرب من الشيخ « بافضل »، الذى وصفه الإمام بأنه من الصوفية العارفين بالله. وكتب إليه من الخطابات مالا يكتبه إلا عارف لعارف. فإن الشيخ بافضل علم- لما سمع قصيدة « قد كفانى علم ربى »- أن مقام من يتكلم هكذا لاشك عالٍ، ثم لابد وأنه سمع عن الإمام الحداد وصفاته ومناقبه، فصار فى قلبه له حب وشوق عظيم، ورغبة فى رؤيته، والتبرك به، والاستمداد منه، والاستفادة

من ولايته. ولاجرم إن كان هذا حال « الحسين بافضل »، إذا أن شيخه بمكة لم يكن إلا السيد محمد بن علوى السقاف، فهو إذن تربى على يد أحد الأكابر من أئمة أهل البيت. قال الإمام: « إن الشيخ الحسين بافضل المكى لما اجتمع بنا، وصحبنا، كان يقول لنا: إنه كان لى بحران أغترف منهما: بحر فى الظاهر، وهو الشيخ أحمد القشاشى المدنى، وبحر فى الباطن، وهو السيد محمد بن علوى السقاف المكى، فجمع الله لى البحرين فيكم.»

وكان الشيخ « بافضل » يقول: « أدركت ثلاثة من الرجال: مَنْ حاله يغلب مقاله، وهو السيد محمد بن علوى، ومن مقاله يغلب حاله، وهو الشيخ أحمد القشاشى، ومن هو كامل الحال والمقال، وهو سيدى الإمام عبد الله بن علوى الحداد.»

ودخل الإمام الحداد « مكة » صباح غرة ذى الحجة، وأرسل إليه أحد السادة من أهل مكة بعض الطيب، فظهر عندئذ قوة استقامته على الشرع، وعدم تساهله فى مثل هذه الأمور. قال الإمام عبد الله: « لما حججنا كان من قصدنا الاجتماع بالسيد الولى عبد الرحمن المغربى، فلما وصلنا إلى مكة أرسل إلينا السيد المذكور- قبل أن نجتمع به- شيئا من الطّيب، ونحن مُحرِمُون، فامتنعنا عن الاجتماع به لعدم احتفاظه بظاهر الشريعة، حيث أرسل إلينا الطّيب ونحن مُحرِمُون، غيرةً على الدين، وشفقة على المسلمين أن يقتدوا به.»

وخرج الإمام الحداد ومن معه إلى « منى » يوم التروية، وكان ذلك يوم الخميس وكان يوم عرفة ذلك العام يوم جمعة.

ووصل أحد مريدى الإمام وهو «عمر با سالم » إلى «عرفات » قبله، فبسط سجادة الإمام بمسجد « نمرة »، وما إن فعل ذلك حتى جاء رجل تركىّ عليه هيبة، فجلس على السجادة. وازدحم المسجد بالناس وبقى « با سالم » متحيراً من أمر هذا الرجل، ولكنه لم يجرؤ على مخاطبته، حتى رأى الإمام مقبلاً فالتفتَ إلى الرجل فإذا هو قد انصرف. ثم خرج الإمام من مسجد « نمرة » ودخل خيمته، فدخل عليه درويشٌ من أهل السياحة اسمه «عبد الخالق المغربى» فسلّم على الإمام وجلس متأدباً، فأقبل عليه الإمام، وقال له: « أنت من رجال السّر الذى سألتُ الله أن يرينَهم فأرانى ثلاثةً أنت

منهم.» قال: «أجل» . وكان هذا الرجل من أهل الخطوة ومن أهل المدينة المنورة. وتواعدا على اللقاء بمكة فإن لم يتيسر فبالمدينة.

ووقفوا على الجبل يدعون ويبتهلون حتى دخل وقت المغرب، فقام رجل على رأس الإمام لا يعرفه أصحابه فأذّن المغرب وأقام الصلاة وقدم الإمام يصلى، فلما انقضت الصلاة قام رجل آخر ونادى بأعلى صوته: « يا أهل الموقف هذا القطب قد حج فيكم فاشكروا الله تعالى! » والإمام يبتسم.

وعاد الإمام إلى مكة. واستؤنفت المجالس، وتوالى دخول الزائرين على الإمام، حتى لم يبقَ فى مكة أحد، ممن يؤبه له، إلا وقدم عليه. فمنهم من جاء طالباً للعلوم الظاهرية، ومنهم من جاء طالباً للأسرار الباطنية، ومنهم من جاء متبركاً. وقد قال السيد « محمد بن أبى بكر الشلى » فى المشرع الروى فى ذلك: « وما دخل بلداً إلا انتفع أهله بمقاله، واقتدوا بأفعاله وأحواله، وهبت على قلوبهم رياح العناية، وسقت رياض أحوالهم سماءُ الرعاية. ولما وصل إلى بيت الله حصل مناه، ومن دعاه ربه إلى داره فاز بقربه وجواره، وشرح صدره بأنواره. وأقبل من بمكة المشرفة عليه، وتمثلوا بين يديه. وفاز من أراد الله وصوله على يديه بعزّ الدارين، ونال شرف المنزلتين ». والسيد محمد بن أبى بكر، من معاصرى الإمام الحداد، والتقى به فى مكة، وكتب ماكتب عن رؤية عيان.

وكان الإمام إذا جاءه أحد سأله عن اسمه ونسبه بقصد الإيناس، وقال له كلاماً ليّناً، فلم يخرج من عنده أحدٌ إلا مجبور الخاطر قرير العين. إلا أن أحدهم (والظاهر أنه أحد الشيوخ) لما صافحه لم يسأله عن شيء فتعب من ذلك، وخطر له فى نفسه: « أما يأمن هذا السيد أن يسلب؟» فردَّ عليه الإمام حال حدوث الخاطر: « السلب حق، ولكن الله قد أمننا منه.»

وفى أحد هذه الاجتماعات سأل رجلٌ الإمامَ عن مذهبه، فأراد الإمام أن يقول أن مذهبه الكتاب والسُّنة، ولكنه خشى من الإنكار، أى خشى على من أنكر من عقوبة الله لإنكارهم على أحد أكابر أوليائه فقال: « مذهبى مذهب محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله.» فقال رجل من الحاضرين: «لم لا تقول مافى نفسك؟ قل: مذهبى الكتاب والسُّنة. » قال عبد الرحمن شراحيل: (ومن كراماته أنه خطر لى بعد صلاة العشاء ذات ليلة ونحن بمكة شهوة التّمر وأنا عند سيدى، ولم أتكلم فالتفتَ إلىَّ،

وقال: « ما أضعف همتك! كنت اشتهيت شيئاً أحسن من هذا، والآن يأتينا التمر!» فما استتم كلامه إلا والشيخ« الحسين بن محمد بافضل المكى » يطرق الباب، ولم يكن ذلك من عادته، أعنى المجىء ليلاً، ففتحنا له فإذا بعبده حاملاً وعاءً من التمر الفرض. وقال الشيخ «حسين» لسيدى: « إنى أردت أن أرقد فإذا بخاطرى يزعجنى فى شأن هذا التمر فتفضلوا بقبوله.» فقال لى سيدى: «اقضِ شهوتك وإياك وهذا الخاطر. إنّا ما دخلنا مكة وقصدنا شيئاً من مثل هذا، ارفع همتك إلى مولاك وأكثر من الذكر لله تعالى!») .

وقال شراحيل: (كنت مع سيدى عبد الله بمكة وقت الهاجرة، فأمرنى أن أجلس على الباب وأن لا أمكّن أحداً من الدخول عليه وأراد نوم القيلولة، فإذا برجل عارفٍ مستترٍ فى هيئة تاجر يسأل عن رجل كان هناك، ثم تنفّس الصعداء واشْتَمّ وقال: «إنى أجد نفْسَ عارفٍ من هاهنا.» فأخبرته بسيدى عبد الله فطلب منى أن استأذن له، فامتنعت من ذلك فشعر به سيدى فأذن له بالدخول، فدخل وأنا معه، فرأيت منه عجباً من أدبه وتواضعه واحترامه، وأخبر سيدى أنه من بغداد، وأفشى عليه سره وطلب الإجازة واللباس فأجازه سيدى وألبسه، فرأيت الرجل قد امتلأ نوراً لأنه ظفر حين سبقتْ له من الله الموهبة، فلما خرج طرقنى حزنٌ حين رأيت الرجل وما أُعطِيَه فى أسرع وقت، فالتفَتَ إلىَّ سيدى رضى الله عنه، وقال لى: «ياعبد الرحمن، أمور أهل الله ومواهبهم لا ينالها أحد إلا بالتوفيق والإخلاص والجد. وإن شئت أن تظفر وتنال مأمولَك، فاعْبُدْه فى السر والعلانية. وأما كثرة المجالسة والمخامرة مع قلة العمل فلا تفيد، وإن كان صاحبها لا يخيب إن صدق.») .

وأتاه الشريف، «بركات بن محمد» وهو جالس فى الحجر عند الكعبة وسأله الدعاء بتيسير المطلوب، فدعا له الإمام بذلك فلما ذهب سأل عنه من معه، فقيل له أنه رجل من أشراف مكة، فقال الإمام: «إنه طلب أن يكون مَلِكَ مكة وقد استجاب الله الدعاء فى ذلك.» وقد تولى الشريف «بركات» إمارة الحجاز فى ذى الحجة ١٠٨٢ هجرية.

وزار الإمام جدته أم المؤمنين السيدة خديجة ومن حولها بالمعلاة، ثم زار العارف الكبير السيد عبد الله بن محمد فى مقبرة « الشبيكة ». ولكنه فى أول زيارة انصرف سريعاً، قائلاً: «إن السيد عبد الله

ليس الآن هو فى قبره فما بقى لوقوفنا عند قبره فائدة.» ثم زاره ثانية فاطمأن وأطال الدعاء والجلوس عنده وأخبر من معه أن السيد موجود فى قبره. وصلى الإمام بالناس فى الحرم المكى الشريف صبح يوم الجمعة الأول من المحرم وقرأ بسورتَىّ السجدة والإنسان.

ثم نوى الإمام الخروج لزيارة « المدينة »، ولكنه، قبل ذلك، نهى عبد الرحمن شراحيل عن مصاحبته، وأمره بالعودة إلى « حضرموت »، فامتثل الأمر، وترك نيته أن يزور مع الإمام وحزن على مفارقته. فلما وصل إلى « حضرموت » وجد والده قد توفى منذ ثمانية أيام، ووالدته وجميع إخوته مرضى، ولا أحد يتعهدهم ولا أحد منهم يقدر أن يخدم الآخر فى شىء.

ولما اقتربت القافلة من المدينة، هبت عليهم نسيمات القرب، وفاح شذاها، وأشرقت أنوارها. وفى ذلك قال الحبيب:

فلما بلغنا طيبة وربوعها ... شممنا شذًى يزرى بعرف العنابر

وأشرقت الأنوار من كل جانب ... ولاح السّنا من خير كل المقابر

مع الفجر وافينا المدينة طاب من ... صباح علينا بالسعادة سافر

وقابلهم السيد الفاضل « عمر أمين المهدلى »، وكان من المدرّسين بالحرم النبوى الشريف، وكان من أصحاب الشيخ « حسين بافضل »، فاستضافهم فى بيته مدة إقامتهم بالمدينة المنورة.

ودخلوا المسجد النبوى الشريف، فصلّوا فى الروضة المطهرة. ثم وقفوا أمام المواجهة الشريفة، قال الإمام فى رائيّته:

إلى مسجد المختارِ ثم لروضة ... بها من جنَانِ الخُلْدِ خيرُ المصائرِ

إلى حجرة الهادى البشير وقبره ... وثم تقر العينُ من كل زائرِ

وقفنا وسلَّمنا على خير مُرْسَلِ ... وخير نبىٍّ ماله من مناظرِ

فردّ علينا وهو حىٌّ وحاضر ... فشرفُ من حىٍّ كريمٍ وحاضرِ

وكانت كرامة من أعظم كرامات الإمام الحداد أنه حينما سلّم على جده ﷺ، سمع كلٌّ من معه ردَّ المصطفى ﷺ السلامَ. وليس الشأن أن يسمع العارفون جواب النبى ﷺ، فإن ذلك لهم ولو عن

بعدٍ، كما عرف عن كثير منهم، ولكن الشأن أن يرفع الحجاب عن سائر الحاضرين فيسمعوا ما سمع العارف! وفى تراجم الأكابر الكثير من مثل هذه الوقائع، وفى هذا لهم من التكريم مالا يخفى.

يقول الإمام عبد الله:

ودنونا من حُجْرةٍ وضريحِ   لنبيِّ الهُدى ومِسْكِ الخِتَامِ
ووَقَفْنَا تجاهَهُ بخشوعٍ   وخضوعٍ وهيبةٍ واحترامِ
وقلوبٍ طوافحٍ بسرورٍ   وابتهاجٍ ولوعةٍ وغرامِ
ووجوهٍ مبتلَّة بدموعٍ   من جفونٍ تفيض فيضَ الغَمَامِ
وقرانا السلام أكرم خلق الله   عليه بعد الصلاة أزكى السّلامِ
وحظينا بالرّد منه ونلْنَا   كلَّ خيرٍ ورغبةٍ ومرامِ

وفى إحدى زياراته، جاء رجل ووضع على كتفيه شاية وهى رداء مطرز، يقول الإمام: « كنت عزمت على أن لا ألبس الشاية، الكساء المعروف، لكونه عادة أهل الترفه، فلما كنت فى المواجهة إذ ألبسنى– عند النبى ﷺ، يوماً– الشايةَ رجلٌ من غير اختيار منا، فقبلناها وعرفنا الإشارة، فلبسناها واستمررنا عليها من حينئذ. وكان هذا الرجل من بيت العمودى، وكان ملازما للسيد محمد بن علوى السقاف بمكة. حتى أنه جلس عنده وقت احتضاره، إلى أن سمعه يقول: حبيبى يا رسول الله. ثم لفظ أنفاسه الأخيرة.»

وكان حبٌّ هذا الرجل للسيد محمد بن علوى السقاف عظيماً، حتى أنه جلس عند قبره سنةً كاملة معتكفاً لا يفارق القبرَ إلا لحضور الصلاة فى الجماعة. يقول الإمام الحداد: « ثم وقعت له رؤيا عند قبره، فسافر إلى المدينة واجتمعنا به، وطلب منّا أن يقرأ علينا فى حكم أبى مدين، فلما ابتدأ حصل فى حلْقِهِ شحام أى بَحّة، فقال: أخاف أن السيد محمد أُثقِل عليه أن أقرأ عليكم، فقلنا: لا، إنما نحن والسيد محمد وأماثل السادة شىء واحد.»

وعرف أهل المدينة للإمام مقامه، وأقبلوا عليه، وعقد مجلس علم فى الحرم النبوى، عند المواجهة الشريفة، حضره العلماء والأفاضل. ومما قُرىء فيه عليه، بعضٌ من مؤلفه « النصائح الدينية ».

قال الإمام: كنا قد ألّفنا صدراً من « النصائح الدينية » أحسبه إلى « باب الحج »، واستصحبناه معنا ونيتّنا إكمالها فى السفر، فما تفرغنا لذلك لكثرة ازدحام الناس علينا، وترددهم إلينا، من أهل الحرمين وغيرهم من أهل البلدان التى مررنا بها فى سفرنا. حتى أنه لم يكن يتخلف عنا– إذا وصلنا إلى بلدٍ– إلا من لا يُذْكر ولا يؤبه له. وكان قصدنا قراءة ما حصل من تصنيف هذا الكتاب فى المواجهة، فعقدنا لذلك مجلساً كل يوم ».

وكان بعض الموسرين من أهل مكة، قد أهدى الحبيب قطعة عنبر كبيرة، فأخذ يبخر بها عند «المواجهة » حين القراءة، مع شىء من العود كان معه. وما تبقى من العنبر أهداه لأحد المدرّسين بالحرم النبوى، كان يقرأ عليه فى « رياض الصالحين » مدة إقامته بالمدينة. وقُرِىء على الإمام– أيضاً– فى «الإحياء » وغيره من الكتب: قال الإمام: « قرأ علينا فى مكة والمدينة خلق فى « الإحياء » وفى غيره. ولم يتم من قراءة كتب « الإحياء » إلا كتاب «رياضة النفس» ».

ولما هَمَّ الإمام بمغادرة المدينة المنورة، رأى رؤيا منامية منعته من ذلك. يقول الإمام: « لما أردت الخروج من المدينة المنورة، رأيت فى المنام امرأة فى طريق السوق، فأرادت أن تصافحنى فضممت يدى إلى كمّى وقلت لها: ما اسمك؟ قالت: اسمى رحمة. والمدينة اسمها رحمة، فقالت لى: إن جدك، عليه السلام، يقرئك السلام، ويقول لك لا تخرج من المدينة الآن. فأصبح صاحبنا الشيخ حسين مريضاً ».

ثم رأى فى رؤيا أخرى باباً مفتوحاً للشيخ « حسين بافضل » من المدينة إلى مكة، فأوّلَ ذلك له قائلاً: « إنك لا تموت إن شاء الله إلا فى مكة، لأنّا رأيناك كذا وكذا ».

وقد ذكر صاحب « المشرع الروى » أن الشيخ «حسين» أشرفَ على الهلاك، وأنه كشف للإمام عبد الله أن حياته قد انقضت، فجمع الإمام من كان معه وقال لهم: نريد من كل منكم شيئاً من عمره، وبدأ بنفسه وتلاه الآخرون، ثم أثبتوا ما قالوه فى ورقة فأخذها وتوجه إلى القبر الشريف ووقف أمام « المواجهة » ونزل عليه حال عظيم، حتى أنه تصبب عرقاً وتوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلّم، ثم خرج مستبشراً، قائلاً: « قد قضى الله الحاجة وقبل شفاعة النبى ﷺ.» فقام الشيخ

«حسين» من مرضه معافى كأن لم يشْكُ ألماً. فلما انقضت المدةُ التى وهبوها له، وكان الإمامُ حينئذ بتريم، قال لهم: « انظروا، الشيخ حسين يموت فى هذه المدة! » . فجاء خبر موته كما أشار. وكان الإمام الحداد لا يحب ذكر هذه الكرامة، وقد قال فى ذلك لما سُئل عنها: « ..ونقَلَ شليه عنا هذه الرؤيا، ونقَلَ أيضاً معها كلاماً ليس على بالنا، ولا نعلم بوقوعه منّا إلا إن كنَّا قد نسيناه فيمكن، والسيد ثقة، وهذه الأشياء لانريد أحداً ينقلها عنا ولا نمكّنه من نقلها..» .

وسأل الحساوى عن هذه القصة ثلاث مرات، فسكتَ فى الأولى، وقال فى الثانية: « ذَكَر هذه شليه وهو ثقة » ، وقال فى الثالثة: « ذلك من بركة المتابعة » . وقد كان يقول فى مثل هذه الأشياء أنها من بركة الاتّباعِ ونور النبوة، ومن معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما أتم الإمام أربعين يوماً بالمدينة، أقفل عائداً إلى مكة. وقال فيما بعد، عما اعتمل فى صدره حينئذ:

فإذا ما دنا الرحيل أتينـا لوداع الحبيب والدمع هامر
وودنا طول الإقامة فيها بين تلك الربـوع والآطـام

ولما رجع إلى مكة أقام بها إلى شهر ربيع الأول، ثم خرج منها أثناءه.

قال: « لما رجعنا من المدينة إلى مكة، وجدناها أصفى. حيث قد تفرق الناس منها إلى أوطانهم، ورجعوا إلى بلدانهم. وكان لنا المدد فيها أزهر وأنور، وإن كان فى أيام الحج واجتماع الناس أوْفَى وأكثر » .

واستمر إقبال الناس على مجالس الإمام، فكل من أراد الله به خيراً ساقه إليه. وقد أقبل الناس عليه، مع شدة كراهته للشهرة والظهور، فقال: « وأقبل علينا الناس كثيراً، ومرادنا السلامة منهم على طريقة سلفنا، لأن الظهور فتنة ..» .

وأرسل إليه السيد « محمد الشلى » رجلاً يقول: « يُقرئك السلام، ويشير عليك بعدم المجاورة » . وما كانت نية الإمام المجاورة أصلاً. وقد أجاب أهل الحجاز، لمّا طلبوا منه ذلك، قائلاً: « لو مكثنا معكم اشتكينا معكم إلى السلطان لما نرى من أحوالكم.»

وبعد عودته إلى « تريم » كتب الإمام إلى الشيخ « الحسين بافضل» هذا الكتاب العجيب: « من عبد الله بن علوى الحداد باعلوى، إلى الشيخ الصوفى العارف اللطيف الولى الحبيب فى الله، النقيب النجيب، الحسين بن محمد فضل، جعله الله تعالى من الناظرين إلى الفضل المنظورين بعين الفضل المعاملين بالفضل ربوبية، العاملين بالفضل عبودية فى الحضرات الحقية والخلقية والمظاهر الدنيوية والأخروية.. آمين، خالص المصافاة فى الله تعالى. والذى نشرح لكم، شرح الله منا ومنكم الصدور والقلوب بمعرفته وحبه وأنسه وقربه، بأنا والحمد لله فى خير وعلى خير إن شاء الله تعالى، داعون لكم وطالبون منكم صالح الدعاء فى الأماكن الشريفة والمواقف المنيفة. الله الله فى ذلك! واكثروا وألِحُّوا فإن الله يحب المُلِّحين فى الدعاء كما ورد.

وادعوا لنا بالمعاودة إلى تلك الأماكن المشرقة عليها أنوار التجلى الخاص، فإنا لذلك مشتاقون ومتعطشون، لم يزدنا ذلك الورود إلا تعطشاً ونزوعاً.

وقد أظهرت المشاهدة من القلب أمراً كان مستكناً فيه ثم لم يزل ظاهراً لم يعد إلى ما كان عليه من قبل. والروح والراحة الكائنان حال اللقاء عادا بنفسيهما شوقاً وتوقاً يحركان القلب ويزعجانه. وتحت هذه الكلمات سر معنى ظهور الحق فى الشجرة وإشراق النور على طور النداء، وأنت تفهم الإشارة إلى ما تقصر عنه العبارةُ. والسّلام.»

وظل الشوق إلى الحرمين الشريفين، ملازمه إلى نهاية عمره المبارك. يشهد لذلك ما كتبَ فيهما من الأبيات، وما رُوِى عنه من أقوال.

قال بعضهم: أُنشدتُ عنده قصيدته الرائيّة الكبرى، فلما بلغت منها قوله رضى الله عنه:

لمغنى قباها والكثيب ورامة   وأُحُد وسلع والنقا والمآثر

بكى بكاءً شديداً، وتأثّر تأثراً كثيراً، وقال لى: « أتريد أن تطرح المِلْحَ على الجرح؟ أتريد أن تذكرنا تلك الربوعَ؟ أتظن أنّا نسيناها، وإنما نتناساها ».

وكان الإمام يقول: « لم يبقَ لنا نزوع إلى شىء إلا الحرمين الشريفين، والاجتماع بأهل الذوق ».

الفصل التاسع

الدّعوة إلى الله

قال الله تعالى: ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** ﴾.

فالدعوة إلى الله شأن الأنبياء والرسل، ومن تبعهم من العلماء ولذلك قال النبى ﷺ: [العلماء ورثة الأنبياء.]، قال الإمام « الغزالى »، رضى الله عنه، فى الإحياء: « ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق الوراثة لتلك المرتبة.»

وكان الإمام عبد الله الحداد من خير من آلت إليهم تلك الوراثة. وقد قال عنه السيد أحمد بن زين الحبشى: « برز شيخنا عبد الله- نفع الله به- لنفع الخاص والعام، ولم يتصدَّ للدعوة إلى الله تعالى لأحد من طوائف الناس دون أحد، بل دعا جميع الناس إلى الله عز وجل، خاصهم وعامهم من الأولياء والعلماء، وسائر المؤمنين والمسلمين، من الملوك والأمراء وأتباعهم وأعوانهم، باطنا وظاهراً، بحاله ومقاله، وما ذاك إلا لما وهبه الله من كمال الوسع، وأيده به من رسوخ القدم فى الشريعة، والطريقة، والحقيقة »

وكان كل شىء فى حياة الإمام الحداد دعوة إلى الله. فكان، كما ذكرنا، يدعو بكلامه، ودروسه، وكتبه، وأخلاقه، وأفعاله، ومجاهداته، وعباداته، وماكان ذلك إلا لاتساع علمه، وتمكنه ورسوخه، وعمله بما يعلم، وتحققه به، وكونه لم يهمّ بقول أو فعل إلا كان خالصا لوجه الله تعالى، لا تشوبه شائبة من أغراض ولا أهواء.

وقد قال الإمام يوماً تحدُّثاً بالنعمة: « لله تعالى علينا منّتَان لا يمكننا أن نقوم بشكرهما: إحداهما، منحنا الله سبحنه علماً واسعاً، لا نحتاج معه إلى علم كل من على وجه الأرض، والثانية، أعطانا الله

عقلا كاملاً، لانحتاج معه إلى عقل أحد. » ولم يكن الإمام ليصدر عنه مثل هذا الكلام، مع شدة تواضعه، إلا لأنه لم يكن يرى فى أىٍّ من ذلك فضلاً لنفسه، ولكنه يرى مشيئة الله وفعله. فالله هو المعطى الوهاب، ولا معطىَ غيرُه، وفضله واسع ومواهبه ليس لها حد.

أما عن علمه، فقد قال عنه العلامة السيد « أحمد الهندوان » : إنه كان مجتهداً غير مقلد. وقال الإمام: (إنه لم يبق فى « حضر موت » كتاب إلا واطلع عليه، أو سمع بما فيه.)

وكان الكتاب الواحد ربما يُقْرَأ فى مجلسه عدة مرات، فلا يمل منه. وكانت له أسانيد، وإجازات كثيرة، وكان يذكر سنده فى الفقه إلى الشيخ « ابن حجر الهيثمى » أحد أئمة الشافعية المتأخرين، فيقول: « حصل لنا من الفقيه باجبير الإسناد فى الفقه إلى ابن حجر على اثنين: أبيه وأبى بكر بافقيه، فأخذ عن أبيه عن بافقيه، وهو أخذ الفقه عن ابن حجر.»

وكان الإمام كثيراً ماتُعرَض عليه مسائل، فيقول فيها بقول الشافعية، ويشير إلى أن له فيها قولاً آخر اجتهاداً، ولكنه لا يظهره. وقد أشار فى بعض أقواله إلى أنه يميل إلى آراء الإمام « مالك » فى بعض المسائل، ذلك أن الإمام لم يترك علماً إلا أخذ منه بالنصيب الوافى، حتى علم الطب له به دراية، وتروى عنه وصايا ومعالجات. وقد قال، مخبراً عن نفسه: « نحن تطرفنا فى كل علم، حتى إذا وقعت المذاكرة لا يبقى الإنسان جاهلاً بشىء منها. وما العلم الصحيح بعد معرفة كلام الله ورسوله، إلا علم التصوف. وأخذنا كثيراً من علم الأدب، وأكثر الناس من تصانيف الفقه والحديث أحسن.»

وبين الإمام بذلك أن أول ضرورة دراسة كتاب الله عز وجل، ثم السُّنة الشريفة، ثم بعدها علم التصوف، والمقصود به هنا مابينه الإمام « الغزالى » فى الإحياء، والإمام الحداد فى مؤلفاته، وهو الإخلاص فى العبادات، والمعاملات، ومعالجة أمراض القلوب. وقد قال السيد الإمام عبد الله العيدروس: « الإحياء مغناطيس القلوب يجذبها إلى حضرة علاّم الغيوب. »

وقال الإمام الحداد: « سبحان الله، كلام الإمام « الغزالى » يكفى من غيره، وغيره لا يكفى منه » وقال: « فى كتب الإمام الغزالى خاصيّة، وهى أنها تجلب القلوب إلى الحضور مع الله بالخاصية لا بمجرد العلم. »

وقال الإمام: « ينبغى أن يطّلع [أى طالب علم] على أوائل العلوم، ليحصّل من كل علم حظاً. وأما التبحر فلا ينبغى إلا فى العلم بالله، وصفاته، وملائكته، واليوم الآخر.» وكان يحث أهل العلم من السادة على المطالعة فى الكتب النافعة، وعلى تخصيص الأوقات لذلك، وترتيب المجالس لنفع الناس.

وقال الإمام: « أركان الدين عندنا وقواعده أربعة: البخارى فى الحديث والبغوى فى التفسير وفى الفقه المنهاج. ومن الكتب الجامعة « إحياء علوم الدين » . هذه القواعد التى عليها البناء، وطالعنا كتباً كثيرة ولم نَرَ أجمع منها والوقت قصير، والقواعد هى التى عليها البناء، وهى العمد. وما مذهبنا إلا الكتاب والسُّنة ..»

وكان، رضى الله عنه يحث طالب العلم على التفكر والتأمل فى معانى مايقرأ من كتب. ثم بعدم التسويف فى العمل بما يظهر له من معنًى، فإن المعانى تزداد وضوحاً مع العمل. وقد قال لمن يقرأ عليه: « ليعرف أحدكم اللّفظ أولا، ثم المعنى، ثم يعمل ..» وقال لبعض من كان يقرأ فى « منهاج العابدين » : (إن هذه الأشياء لا تظهر إلا بالتكرار والتأمل، ثم الاستعمال. فطالِعْهُ مرةً أو مرتين أو أكثر، وتأمل ثم اعمل. وإلا كنت كالذى يعرف الدواء وهو مريض، فلا يستعمله.)

وكان قد أمر السيد « زين العابدين العيدروس » أن يجعل فى منزله مجلساً، يقرأ فيه فى «البخارى» و«الإحياء» ضحى يومى السبت والأربعاء، فلما مرض الإمام، انشغل السادة بمرضه، وتوقفت المجالس، فلما بدا عليه شىء من التحسن استأذنوه فى استئناف المجالس، فقال: « إن شاء الله، لأن مرادنا أن تكونوا على عادة سلفكم، وأجدادكم، من اعتياد القراءة والتصدى لها، ولا تنقطع من بيتكم هذه العادة بالكلية..»

ولم يكن يسع الإمام الحداد– مع ما أُعطِيَهُ من علم– أن يتأخر عن الدعوة إلى الله، كيف وهو القائل فى كتاب « الدعوة التامة والتذكرة العامة» : « ومن قصّر عن الدعاء إلى الله، وإلى دينه من المتأهلين له، مع التمكن، فإنه داخل تحت عموم الوعيد الوارد فى حق من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى. وفى ذلك وعيد شديد، وعذاب وبيل، وذم من الله بليغ.»

وكان، رضى الله عنه، يكلم الناس على قدرعقولهم ويدعو كلاً منهم إلى الله، بما يناسب حاله

وعلمه، ولا يكلف أحدا مالا يطيق. وقد قال عن درجات الدعوة إلى الله: أن للدعوة أَلْسنةً خمسةً:

« أن تدعو العامة بلسان الشريعة إلى الشريعة، وأن تدعو أهل الشريعة بلسان الطريقة إلى الطريقة، وأن تدعو أهل الطريقة بلسان الحقيقة إلى الحقيقة، وأن تدعو أهل الحقيقة بلسان الحق إلى الحق، وأن تدعو أهل الحق بلسان الحق إلى الحق.»

ومعنى ذلك أن يدعو العوام، من العصاة والمخلطين والمقصرين، إلى الالتزام بأوامر ونواهى الشرع، وبإقامة الفروض والمحافظة عليها. فإذا فعلوا ذلك، وثبتوا فيه، صاروا من أهل الشريعة، فيدعوهم حينئذٍ إلى الطريقة، أى إلى الإخلاص والإحسان فى العمل بالشريعة.

و« **الطريقة** » عند الإمام الحداد، **هى مخالفة النفس بالرياضة**، والرياضة عنده صنفان: **رياضة الشهوات، ورياضة الأخلاق**.

فالأولى: تكون بالصيام، وقيام الليل، والزهد. والثانية: وهى الأصعب، تكون بأن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ولا تغضب لنفسك أبدا. وسائر ماجاءت به الأخبار عن النبى ﷺ. وسوف نذكر طرفاً من لسان « الطريقة » المذكور فى الفصل الحادى عشر، المسمى « طريقة أهل اليمين.»

وأما الدرجتان الأخيرتان فهما لأهل الله خاصة.

وقد ذكرنا- فى الفصل الرابع- كيف بدأ الإمام التدريس، فى مسجد « الهجيرة »، حين جاءه من يريد القراءة عليه، والانتفاع بعلمه. وقد نفع الله به الناس فى رحلاته. فقد ذكر عنه أنه قام برحلات إلى « شبام » و« سيون » و حريضه » و « الهجرين » و « قيدون »، وتكررت زياراته «لدوعن» ثلاث مرات، على ما ذكره تلميذه الشيخ محمد بن يس باقيس الدوعنى. وفى كل مرة أخذ عنه خلقٌ كثيرون. وكان لكلٌ من زياراته أثر بالغٌ فى هذه الجهات. وقد عدّدَ الشيخ « باقيس » الكثيرَ من علماء « دوعن »، الذين أخذوا عن الإمام أخذاً تاماً. ثم قال أنه اختصر فى ذلك، وإلا لاحْتَاج إلى مجلدات.

كذلك، لمّا خرج إلى الحج، انتفع به أهل « الحجاز » وأهل « اليمن»، واعترف العلماء

والصالحون بفضله، وجلسوا منه مجلس المتعلم، والْتَمَس الكثيرُ منهم القراءة عليه. يقول صاحب «المشرع الروى »: « ورحل إلى الحرمين الشريفين سنة ألف وثمانى، وأدى النُّسكيْن، وما دخل بلداً إلا انتفع أهلُه بمقاله، واقتدوا بأفعاله وأحواله، وهبَّت على قلوبهم رياحُ العناية ..»

ولما رجع الإمام من الحج، استأنف مجالسَه ودروسَه بمسجد « الهجيرة »، إلى أن ابتنى منزله «بالحاوى »، من ضواحى « تريم ». وابتنى بجانبه مسجده، فلما تَمّا انتقل إليهما سنة ١٠٩٩ هجرية. وكان درسه فى هذا المسجد بعد صلاةِ عصرِ كلِّ يوم، وفى دهليز بيته بكرة يومىّ الخميس والإثنين.

يقول صاحب « غاية القصد والمراد »: « وكان مدة سكناه « الحاوى » من حين ابتناه إلى أن توفى نحو ثمانٍ وأربعين سنة، وكان فى هذه المدة مأوى الصالحين، ومستغاث الخائفين، وملجأ الفقراء والمساكين، ومقصد الغرباء، وملجأ الطالبين والمريدين ..»

وكان مجلسه لا يخلو ممن يقرأ فى « إحياء علوم الدين »، ومما كان يُقرأ عليه « منهاج العابدين »، و« الأربعين الأصل » للإمام « الغزالى »- أيضاً- وتفسير القرآن للإمام « البغوى »، وصحيح «البخارى »، والرسالة « القشيرية »، وشرح « الحكم » لابن عباد الروندى، وهذه أمثلة مما ورد ذكره. وإلا فلم يخلُ مجلسُه من أىٍّ من أصناف العلوم، وأدواتها. واستمر مابين « الهجيرة » و« الحاوى » ما يقرب من الستين سنة، بلا انقطاع. وتخرج عليه عدد لا يحصى من العلماء والأئمة والأكابر.

وقد ترك الإمام للناس- بعد وفاته- كتبه لِيُنْتَفَعَ بها، وسيرته لِيُقْتَدَى بها، وخلَّف ذريّة وتلاميذاً قائمين بالدعوة بعده. وقد سرى علمُه، وسرُّ أسلوبِه فى الدعوة فى ذريته، وفى تلاميذه وفى ذريتهم. وعلى رأس السدة الأئمة الأعلام من تلامذته السيد « أحمد بن زين الحبشى »، والسيد « عمر بن عبد الرحمن البار »، والسيد « عبد الرحمن بلفقيه » الذى أطلق عليه الإمام لقب «علامة الدنيا ». أما من قام بعده، من ذريته، فسوف نتحدث عنهم فى الفصل الأخير من هذا الكتاب.

الفصل العاشر

الدّين والمجتمع

نبـأنا رسـول الله ﷺ، أن كل قـرن من القـرون يمر على الأمـة، يأتى بزيادة ضَعْفٍ فى الدين، ونقصـانٍ فى التـقـوى، وزيادةِ حبٍ للدنيـا، وكـراهةٍ للمـوت. ولذلك نرى كل طبـقـة من العلمـاء والصالحين، يصفون زمانهم بأنه أفسد الأزمنة. وهو فى واقع الأمر كذلك بالنسبة إلى ماسبقه من الأزمنة، ولكنه بالنسبة لما هو آتٍ أصلح. فكل زمان أسوأ مما قبله، وخير مما بعده.

وزمان الإمام الحداد، وخصوصاً فى « حضرموت »، كان زمان خير وصلاح، وفيه من المتقين والصالحين العدد الكبير، وفيه من مقومات الحياة الروحية الشيء الكثير، خصوصاً وإن قارناه بزماننا هذا، وسيطرة المديات عليه، وانتشار البدع والآراء الإلحادية فيه.

يقول الإمام الحداد عن زمانه: « إن أهل الزمان نسوا الله بترك حقوقه، فسلط عليهم مايشغلهم، حتى لو دعوا لم يستجب لهم. وتنكر أصواتهم الملائكة، لأنهم لم يألفوها بسماع ذِكْر أو غيره من أمور الطاعة كما ورد فى حديث: فأنّى يُستجاب لذلك.»

ويقول عن تدهور الزمان، وزيادة الفتن: « إن النور لم يزل يختفى شيئاً فشيئاً، والظلمة لم تزل تظهر شيئاً فشيئاً، حتى تقوم الساعة ...» .

ويقـول: « لا تظن أن الفتن فى هذا الزمـان تسكن، لا بل كلمـا رأيت فتنةً سكنتْ فـهى كـالنار تحت الرماد، غير ساكنة، بل استترت لأن الناس غلبت عليهم محبة الدنيا، والمال، والجاه. ومن كان محباً للمال، والجاه لا يعد نفسه إلا فى الفتنة، حتى يبرىء نفسه منها. ومن قال لا يخاف من النار، ولا من العار، فلا تعده إنساناً.»

ويقول: « ليس مع الإنسان فى هذا الزمان عن المعاصى مانع من الحق من نحو خوف، ولا من الخلق من سلطان عادل آمر بالمعروف ناه عن المنكر وإلا لُملئتْ منهم المساجد (أى إن أطاعوا) أو السجون (أى إن عصوا) ..»

وقد بين الإمام الحداد، غير مرة، أن العلماء ثم الأمراء، هم رءُوس المجتمع، وبهم يصلح أو يفسد، فقال: « ما أفسد على الناس دينَهم إلا العلماءُ، ولكن بعد فساد دينهم [أى العلماء]. وما أفسد على الناس دنياهم إلا الأمراء، ولكن بعد فساد دنياهم، فبفساد العلماء يفسد الدين، وبفساد الأمراء تفسد الدنيا »، ثم وجه الاتهام لعلماء السوء، فقال: « هذا زمان، العالِم فيه أبكم عن الحق، والجاهل فيه أصم عنه. فلا العالِم يتكلم به لمداهنة غيره، ولا الجاهل يسمعه لاستغراق الكل فى طلب الدنيا، وعدم المبالاة بالدين. فمن أين يحصل الأمر بالمعروف، وامتثاله؟ ومن أين يحصل النهى عن المنكر، واجتنابه؟»

ثم تعرض للأمراء فقال: « فإذا كان الولاة بأنفسهم يتعاطون الرّبا، ويفتيهم فى ذلك علماء السوء، فكيف الحال؟ وهؤلاء إنما هم أعداء الدين لا ممن ينصر الدين. فالولاة طلبوا الولاية ليظلموا، والعلماء تعلموا العلم ليتولوا على الأوقاف، وأموال اليتامى وغيرها، فيأكلونها، ويفتونهم بحيل يستحلون بها الربا ونحوه، مما حرم الله عليهم.»

ثم بيَّن الإمام أن الله لا يسلط مثل هؤلاء على الناس، إلا لذنوبهم وعدم مبالاتهم بالدين، فقال: «إذا جاءهم الفقير يطلب الزكاة، دفعوه ومنعوه. فلما لم يعطوا حقهم من حق الله، سلط الله عليهم من يقلعها من مناخرهم قهراً. فما أصابهم هذا ونحوه، إلا بمنعهم من الحق ولو لم يمنع منهم إلا واحداً، فإنما كان عاقر الناقة واحداً ..»، ويقول: « ومن تأمل أحوالهم، عَرَفَ أن مافيهم رحمة، لا الدول على الرعية، ولا الرعية بعضهم على بعض. فإذا لم يتراحموا مارُحموا ..»

ويقول: (من علامة فساد الزمان، أن الرجل فيه إذا ظُلم صاح واستغاث وتنصَّف، وقال: «ما أظلم الناس، ما يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، وأبطلوا الحقوق، وتركوا الدين، ونحو ذلك » .. وإذا وقع الظلم على غيره، تراه بارد الخاطر، ولا يقول كقوله إذا ظُلِم هو نفسُه.)

ويرى الإمام أن من أكثر الأشياء ضرراً بالأمة، جهل الناس بأمور دينهم وإعراضهم عمن يُعلمهم. قال: « وقد انقلب الناس اليوم إلى حال آخر. فلو ألقيت إلى أحدهم كلمة أو كلمتين من العلم، لم يفرح بهما، ولم يتأسف على مامضى من عمره قبل أن يعرفهما. ولو سألته عنهما بعد يوم أو يومين، رأيته قد نسيهما، ولا يهمه ذلك.»

ولذلك أشار الإمام إلى أن الصالحين يزدادون استتاراً، كلما تقدم الزمان، غيرةً من الله على أوليائه. فذكر الصالحين يوماً بعد زيارته لمقبرة بشّار بتريم، وذكر ظهورهم فى الأزمنة المتقدمة، واختفاءهم فى زمانه، فقال: « كان الزمان صالحاً، وبضاعتهم مطلوبة، فظهروا لذلك. وأما اليوم، فالزمان فاسد، وبضاعتهم مرغوب عنها، فلذلك لم يظهروا. ألا ترى، لو أن رجلاً معه بضاعة لا يطلبها منه أحد، فإنه لا يظهرها، ولا يذكرها لأحد..»

وقارن، رضى الله عنه، بين الأولين وحبهم للأمور العلوية، والآخرين وحبهم للأمور السفلية، فقال: « الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم، وما عاد إلا التغافل، ما أمكن التغافل، من غير مداهنة. والخير فى هذا الزمان وأهله قليل. ولكن إذ وجد يرجى أن يدفع الله به عن الناس البلاء، لأن السراج الواحد يضىء فى أماكن متعددة. وقد كان الرجل أى فى الزمان الأول يقرأ الآية من القرآن، فيمرض حتى يُعَاد، لِعظَم ما يظهر له من معانيها، كعمر بن الخطاب، رضى الله عنه. وآخر سمع النبى ﷺ يقرأ الطور، فكاد قلبه أن ينخلع، لأن قلوبهم، وأبدانهم، متعلقة بالآخرة (أى الأولون). وهؤلاء على العكس (أى الآخرون)، قلوبهم وأبدانهم متعلقة بالدنيا. تركوا قلوبهم مفتوحة للدنيا، فدخلت فيها وقلَّدَتها (أى أغلقتها) وبقيت من داخلها..»

فإذا كان ذلك حال المسلمين، وحال مجتمعاتهم، فكيف الخلاص، وأين الحل؟ إن الحل لايكون إلا فى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ. وذلك لا يتأتى إلا بالعلم بما فيهما، ثم العمل به. والحل يجب أن يبدأ من أعلى المجتمع، أى من العلماء والحكام. ولذلك، يرى الإمام « الحداد » أن أهم صنفين من الناس: العلماء والأمراء، ثم بعد التأكيد على ذلك توسّع قليلاً فى تصنيف الناس فى مجتمع المسلمين، فقال فى « الفصول العلمية والأصول الحكمية »: « رجال العالم أربعة، وعلى صلاحهم،

واستقامتهم، يدور صلاحه واستقامته:

الأول: عابد مستقيم، زاهد، متجرد، ذو معرفة بالله تعالى، كاملة، وبصيرة فى الدين نافذة.

الثانى: عالم بالشرع، راسخ القدم فى العلم بالكتاب والسُّنة. يعمل بعلمه، ويعلم الناس، وينصحهم، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ولا يداهن فى الدين، ولا يخشى فى الله لومة لائم.

الثالث: سلطان عادل، منصف، حسن السيرة، صالح السريرة، مستقيم السياسة.

الرابع: غَنِىٌّ صالح، له مال طيب واسع، ينفقه فى وجوه الخيرات، ويواسى منه الضعفاء، والمساكين، ويسد منه حاجات المحتاجين. لم يملك المال، ولم يجمعه إلا لذلك، ولما فى معناه من الخيرات والكرامات.

وبإزاء كل واحد، من هؤلاء الأربعة، رجل يشبهه فى ظاهر الحال، دون معناه، وحقيقته:

فبإزاء العارف المستقيم، الصوفى المخلّط الملبس.

وبإزاء العالم العامل، العالمُ الفاجر المداهن.

وبإزاء السلطانِ العادل، السلطانُ الجائر الذى لا يسير بالحق، ولا يحسن الرعاية والسياسة.

وبإزاء الغنىِّ الصالح، الغنىُّ الظالم الذى يجمع المال من غير حله، ويمسكه عن حقه، وينفقه فى غير وجهه.

وهؤلاء الأربعة الأخيرون هم السبب فى فساد العالم، واضطرابه، وتشويش أحوال الناس، وخروجهم عن شاكلة الصواب. والأمر كله لله، وبيده ملكوت كل شىء...»

ثم توسَّع وأسهب فى كتابه العجيب، الذى لا مثيل له من الكتب « الدعوة التامة والتذكرة العامة» ، فقسَّم الناس إلى ثمانية أقسام. وبيّن مايصلح، وما يفسد كل قسم، وما لكلٍّ من حقوق وما عليه من واجبات. وبدأ كدأبه بالعلماء والصالحين، الذين هم مستودع الدين فى الأمة، وبالتالى محور وجودها، ومركز دوران أفلاكها. وقد قيل أنه ليس شىء أعز من العلم، فالملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

والأصناف الثمانية كما ذكرها الإمام هم:

١ العلماء.

٢ أهل الزهد والعبادة.

٣ الملوك والسلاطين.

٤ التجار والصناع.

٥ الفقراء والمساكين.

٦ الأتباع من نساء وأولاد وعبيد.

٧ أهل الطاعة وأهل المعصية من العامة.

٨ غير المسلمين.

أما عن **العلماء**، فقد ذكر الإمامُ شرفَ العلم، وأنه دأْب الأنبياء والرسل، ثم ذكر إثم المقصرين فى الدعوة، من العلماء، وأنه لا عذر للجاهل فى ترك التعلم، ولا للعالم فى ترك التعليم، ثم الفرق بين العلماء العاملين وغير العاملين، واشتغال علماء السوء بالعلوم التى لا تنفع، وبطلب الدنيا بالدين، وكيف أن من العلم، مالا ينفع، ومن العلماء من لا ينتفع بعلمه، وأن علم علماء السوء صورة لا حقيقة، وأنهم بلاء وفتنة على الأمة.

ثم ذكر **الصوفية قائلاً**: (اعلم أن هذا الصنف من الناس هم صفوة الله من عباده، وموضع نظره من خلقه.. وقد قال فيهم سيدنا الإمام « علىّ » رضى الله عنه: « **أولئك هم الأقلُّون عدداً**، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عن حججه، حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعره المترفون، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون. صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى. أولئك خلفاء الله تعالى فى بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه! هاه! شوقاً إلى رؤيتهم.»)

وإذا تأملنا حديث سيدنا « علىّ »، كرم الله وجهه، وجدنا فيه المعانى التى ذكرها فيما بعد السادة الصوفية. فقوله الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدراً » مرادف لقوله تعالى: ﴿ **السابقون السابقون**

أولئك المقربون. ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.﴾، ثم قوله: « حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم » إشارة إلى توريث العلم، فى الظاهر وفى الباطن، بالسند المتصل من النبى ﷺ إلى الأولياء من أمته، إلى يوم القيامة. وأن هذا مختص بهم لا بغيرهم، إذ أن كلاً منهم يُورث ما عنده إلى من شابهه، أى تأهّل مثله لتلقى هذه العلوم. ثم قوله: « هجم بهم العلم على حقيقة الأمر. » أى أنهم لم يقفوا مع الظواهر، ولكنهم اقتحموا لجة بحار المعانى. وقوله: « أبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى » إشارة إلى ما يفتح الله به عليهم من مشاهدات، يرونها بعين القلب، أى بالروح، ويقول فيها الإمام الحداد:

مناظر للنواظر من قلوب   مطهرة زكيات نقية

ويقول: مشاهد بالفؤاد أشهدها   من باطن العلم دونها النظر

وهذه الفتوح، هى التى تجعل هؤلاء الصالحين يستلينوا ما استوعره المترفون، ويستأنسوا بما يستوحش منه الجاهلون، مثل: قيام الليل، وصيام النهار، واعتزال الناس، والصمت إلا لضرورة، ولزوم ذكر الله، وعدم الالتفات للدنيا. فالمجاهدات تليها الفتوح، فإذا بلغوا أعلى الدرجات، صاروا خلفاء الله فى الأرض، ودعاته إلى دينه بالقول، والفعل، والحال، أى بالتعليم والوعظ، وبالقدوة، وبقوة الروح.

ثم ذكر الإمام الحداد **السلطة الدنيوية**، فقال: « اعلم أن الولاة لا بد منهم، ولا غنى للناس عنهم، والولاية أمر خطير، والولاة فى غاية الخطر. فإنهم إن قاموا بما يلزمهم من حق عباده تعبوا، ونصبوا، وإن ضيعوا ذلك هلكوا وعطبوا.» ثم ذكر واجبات الولاة، ومنها:

١ التأسّى بأئمة الهُدى.

٢ تعلم ما لا بد منه من علوم الإيمان والإسلام.

٣ تعظيم شعائر الدين.

٤ إزالة المنكرات.

٥ إقامة الحدود.

٦ الالتزام بالآداب، التى هى الشفقة والرحمة مع الضعفاء، والمساكين والمظلومين، وذوى

الحاجات. وشيء من الشدة والغلظة على الظالمين والمتجبرين، وأهل البغي والتعدى. وعلى الوالى أن يفتح الباب، ويسهل الحجاب، ولا يوسط ولا يولى إلا أهل الخير والدين والأمانة والصيانة.

٧ علمه بحرمة أموال الرعية، وتورعه عن المساس بها.

ثم ذكر أن ظلم الولاة أساس الخراب، وحذرهم من التبذير والإسراف. ثم ألحق بالأمراء القضاةَ، وما عليهم من الواجبات، وماهم فيه من خطر.

ولقد كان الإمام الحداد يرسل الخطابات الشديدة اللهجة إلى السلاطين والأمراء، يأمرهم بعدم الخروج عن حدود الشريعة، وبالرحمة بالرعية. وكان لا يخشى فى ذلك لومة لائم، وكان كثيراً ما يرفض مقابلتهم إذا طلبوا ذلك. وها نحن نورد- كمثال لذلك- هذا الخطاب الذى كتبه للسلطان بدر بن عبد الله الكثيرى، يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾، ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.﴾**

الحمد لله رب العالمين، نعم المولى، ونعم النصير. مالك الملك، تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير. جعل بعض عباده ملوكا على بعض، وولى بعضهم أمور بعض، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وهو العزيز الغفور.

فأما من أخذ منهم بالعدل والإنصاف، وتحلى بمحاسن الأوصاف، وسار بالسيرة الحميدة، وسلك الطريقة السديدة، فسيقيه الرّدى، ويحشره مع أئمة الهدى، وذلك هو الفضل الكبير.

وأما من ضلّ وغوى، واتبع الهوى، وأغفل أمر ربه، فيما استخلفه واسترعاه، فسيذيقه عذاب الخِزى فى الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى. جهنم يصلونها وبئس المصير. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، وعلى أهل بيته القائمين من بعده بهداية أمته

ودعائهم إلى الخير.

من عبد الله بن علوى الحداد علوى الحسينى، إلى حضرة الملك المشهور، والسلطان المنصور، القائم بأمر الله، على القطر المُشرق بالنور: أبى عبد الله السلطان بدر بن السلطان عبد الله، أيّده الله وأعانه، وأصلح شانه، ومكّن على العدل سلطانه، وجمع على طاعته فى طاعة ربه أنصارَه وأعوانَه، آمين اللهمّ آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أما بعد، فقد قال الله تعالى وقوله الحق: ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ وقال ﷺ: [الدين النصيحة. قيل: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم] وقد كتبت إليك، بعون الله، هذا الكتاب، قياما بحق النصيحة لك، حملنى عليه الشفقة عليك وعلى المسلمين.

فأول ما أدعوك إليه، وأولى ما أنبهك عليه، أنه يجب عليك أن تبالغ فى شكر الله الذى خوّلك مُلْكاً وأعطاك سلطاناً، فإن الشكر قيد النعمة، وسبب المزيد، قال الله تعالى: ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾.

ومن لم يحسن مجاورة نعم الله، بالشكر عليها، سلَبَهُ إياها. قال رسول الله ﷺ: [يا عائشة أحسنى مجاورة نعم الله، فإنها إذا خرجت عن أهل بيتٍ قل ما تعود إليهم]. قال بعض الحكماء: «من شكر النعم قيدها بعقالها، ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها.»

واعلم- أصلحك الله- أن الله إنما ولاَّكَ أمر عباده، ومكَّنَك فى بلاده، ليختبرك، فإنْ وجدك شاكراً له على ما أولاك، وعاملاً بطاعته فيما ولَّاك، متَّعك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى، وجمع لك بين مُلْكَىّ الآخرة والدنيا. وإن وجدك غافلاً عن شكره، وذاهلاً عن إقامة أمره، سلبك المُلك العاجل، وحال بينك وبين المُلك الآجل. ثم إن الشكر الواجب لله عليك: باطن وظاهر.

فالباطن: أن تعلم أن كل مابك من نعمة فهى من الله، لم تحصلها بحيلة، ولم تنلها بوسيلة.

والشكر **الظاهر**: هو أن تكثر من الثناء على الله، وتعمل بكتابه وسُنة رسوله، فيمن ولاك من عباده، فتحوط رعيَّتك بالنصيحة، وتعاملهم بالشفقة والرحمة، وتهتم بما يصلحهم، كاهتمامك

بمصالح نفسك، ومصالح أهل بيتك، وتبالغ فى تفقدهم، والتفتيش على مافيه المصلحة لهم، فتنصر مظلومهم، وتغيث ملهوفهم، وتفك عانيهم، وتصفح عن جانيهم؛ فإن الله تعالى سائلك عنهم. قال رسول الله ﷺ: [كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته..]

وقال ﷺ: [من ولى من أمر أمتى شيئاً فلم يحطهم بالنصيحة حرم الله عليه الجنة.]، وقال ﷺ: [ما من والٍ يلى من أمر المسلمين شيئاً، إلا جىء به يوم القيامة، ويداه مغلولتان إلى عنقه، لا يفكها إلا عدلُه، ثم يوقف على جسر جهنم؛ فينتفض ذلك الجسر انتفاضة يزول بها كل عضو من موضعه، ثم يوقف للحساب، فإن وجد عادلاً نجا، وإلا انخرق ذلك الجسر، فيهوى فى جهنم سبعين خريفاً..]

وكأنّى بك وقد أوقفت بين يدى الله وحيداً، ترتعد فرائصك فَرَقاً، وكأنّى به يقول لك: ياعبدى ولّيتك أمر عبادى؛ فكيف عملت لى فيما استعملتك؟

فأعد- رحمك الله- للمسألة جواباً عتيداً، وذلك **﴿ يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملتْ من خير محضراً، وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾**.

وبعد، فقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه. وفى المأثور: « كم من ملك سيئاته فى صحائف العلماء من أهل زمانه، بتركهم النصح له، وعدم إرشادهم له إلى الحق ». وخير الملوك ملك يصدر عن رأى العلماء، وشر العلماء من يجعل علمه تابعاً لرأى الملوك.

ولا يخفاكم أن الزكاة أحد مبانى الإسلام الخمس، وقد قرنها الله بالصلاة فى غير موضع من كتابه، وقد صدر منكم الأمر بجمعها، ووقع الغلط فى جمعها وتفريقها. فمن الغلط فى جمعها طلبها ممن لا يملك نِصاباً، وقد قال رسول الله ﷺ: [لا زكاة فيما دون خمسة أوسُق].

ولا ينبغى أن تعملوا على قول من يقول بوجوبها فيما دون النصاب، كأبى حنيفة، رحمه الله ونفع به؛ فإن تتبع رُخَصِ المذاهب مذموم جداً، بل قال بعض العلماء: « إنه مروق من الدين ». وأيضاً إذا أخذتم بهذه الرخصة، من مذهب أبى حنيفة رحمه الله، لزمكم أن لا تنكروا شيئاً من رخصِه؛ فإن له رخَصاً معدودة عند الشافعية من المنكرات. وفى المذاهب رخص وعزائم، ولا يستقيم لأحد الخروج عن مذهبه إلا بشرائط ومقدمات، لا يعرفها إلا العلماء المجتهدون. ومن الغلط فى جمعها خرص

الزروع. والخرص إنما يكون فى النخيل والأعشاب، لظهورهما. وأما الزروع فلا تخرص، لأنها لا تنضبط إلا بالكيل بعد الجفاف والتصفية. وقد بلغنا أن الذين خرصوا لكم، أتوا أكثر من العُشْرِ فيما يسقى بالمؤنة.

وأما الغلط فى تفريقها فغير خافٍ، وبيانه أن الزكاة لمن سماهم الله فى كتابه، وليس لغيرهم منها ولا وزن خردلة؛ قال الله تعالى: ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾. وقد صدّرها الله بإنما «المقتضية للحصر »، وقال رسول الله ﷺ، لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: [**فإن هم أطاعوك لذلك، فاعلِمْهُم** أن الله فرض عليهم زكاة، تؤخذ من أغنيائهم فتُرد على فقرائهم..] الحديث.

فإن يكن الحامل لك على جمعها، ما يطرق سمعك من جمع الخلفاء لها، فاعلم أنه قد جمعها رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدون بعده، فأخذوها من حيث أمر الله، وفرقوها كما أمر الله على من سمّى اللهُ فى كتابه. وجمعها أيضاً رجال من الأئمة المضلين، ففرطوا فى جمعها وتفريقها. وقد استأصلهم الله، وقطع دابرهم، حتى لقد حكى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، ونفع به، أنه أخذ رجلين منهم، فصُرِفت وجوههم عن القبلة وهو ينظر.

والسعادة فى الاقتداء بأئمة الهدى، وفى الاجتناب والاتقاء لسير أهل الشقاء. ولعلك تقول: إن الذى يحصل للمستحقين من الزكاة، لا يسد من حاجتهم مسدّاً، ومهما صرف فى مصالح السلطنة، قام بكفاية بعض ماينوب. وهيهات لا يكون الشرع تابعا للعقل، وإنما العقل هو الذى ينقاد للشرع. وقد قسّمها الله تعالى للمستحقين، وهو عليم حكيم، يضع الأشياء مواضعها، ولا يجعل الزكاة للفقراء، ويكون صرفها إلى غيرهم مصلحة لأحد أبداً. فإن قلت: إنما حملنى على جمعها على هذا الوجه، وصرفها على هذا الوجه، أمر من جهة « الزيدية »، وقد خشيتهم على الرعية، فرأيتُ أن مسالمتهم أسلم. فاعلم- أيدك الله- أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الله الخالق. ومن أطاع مخلوقاً فى معصية الله سلطه الله عليه. ومن أصلح أمر دنياه بخراب دينه، ذهبت دنياه وآخرته. ولا خير للمسلمين فى مسالمة يعود منها ضرر على الدين.

واعلم أنه لا يسعك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه؛ لأن بيننا وبينهم تبايناً فى الأصول والفروع.

وكلما ندبوك لأمر فانتدبت له، ندبوك إلى ماهو أعظم منه، ولا يرضون منك بدون أن تصير أنت ورعيتك زيوداً. نعم، ولا بأس بمداراتهم- عند خوف الشر- بما لا يضر الدين. كذكر إمامهم فى الخطبة، وحمل شيء من المال إليهم.

وأما اتقاؤهم بما يعود منه ضرر على الدين، كجمع الزكاة على هذا الوجه، فلا معنًى له، ولا رخصة فيه. فمهما كتبوا إليك بأمر يكون فى إنفاذه نقص فى الدين، أو تغيّر لقلوب الرعية بغير حق، فعليك أن تدفعهم بالتى هى أحسن، ما استطعت. واستعن بالله، وشمر فى نصرة الحق ﴿ **ولينصرن الله من ينصُره إن الله لقوىٌّ عزيز.** ﴾

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا.** ﴾، ﴿ **إن تنصُروا اللهَ ينصركم ويثبت أقدامَكم** ﴾. ﴿ **فلا تهِنُوا وتدعوا إلى السَّلم وأنتم الأعلونَ والله معكُم.** ﴾

فإن رأيت أيها السلطان قلبك مائلاً إلى العمل بمقتضى هذه النصيحة، راغباً فى الأخذ بها، فأبشر؛ فإن الله قد نور قلبك بالإيمان، وشرح صدرك للإسلام.

وطريق خلاصك من تبعة الزكاة: أن تفرق ما اجتمع منها على المستحقين؛ وتُمسك عن طلبها من الناس. واتق التسويف والتأخير، فإن العمر قصير، والناقد بصير، سبحانه وإليه المصير. ولعلك تقول: من رأيى أن أجمع الزكاة كما جمعها بعض الخلفاء. فاعلم أنه لا يستقيم لك أن تجمعها إلا بحفظ أمور، لعلك لا تطيق العمل بها:

منها أن تعمل فى جمعها وتفريقها على مقتضى مذهب الإمام الشافعى، رحمه الله ونفع به؛ فإنه إمامك ومتبوعك، وفى خروج الإنسان عن مذهبه- لأجل الترخص- خطر عظيم.

ومنها أن تولِّى جمعها وتفريقها عدولاً يرضى بهم المسلمون، ممن لا يقبل الرشا، ولا يُؤْثِر الحياة الدنيا على العُقبى، فأنَّى لك بهؤلاء!

ومنها أن تأخذها من كل من تجب عليه، سواء كان شريفاً أو وضيعاً، بدوياً كان أو حضرياً. ومنها أن تحمل الناس على فعل الصلاة، فإن أكثرهم، أو كثيراً لا يصلون. وعليك- أيضاً- أن تشدد فى إزالة المنكرات الظاهرة، كالزنا والربا، وغير ذلك؛ فإن إظهار بعض الدين ليس أولى بالإظهار من بعض.

والصلاة أهم من الزكاة لأنها عماد الدين، والشرع لم يضيّق عليك فى طلب الزكاة، وقد يضيّق فى غيرها، كالصلاة وإزالة المنكرات. ولك فى ترك الأمر بطلب الزكاة سعة واسعة.

ويكفيك- إن اتهمت بعض الناس بعدم الإخراج- أن تأمر عند الحصاد والجذاذ كل من عنده شيء من الزكاة، أن يفرقه على المستحقين ظاهراً، وتتوعده- إن لم يفعل ذلك- بمكروه..» ا. هـ.

نرى فى هذا الخطاب مادَرَجَ عليه الإمام عند مخاطبته للسلاطين والأمراء. فإنه لم يبتدىء كلامه بعبارات التبجيل، والمدح، والإطراء، ولكن بالتذكير بأن زلزلة الساعة شيء عظيم، وأن الله هو المعز، وهو المذل، وهو الذى يقيم الملوك فى ملكهم، وهو الذى يسلبه منهم. ثم ذكره بالحساب ومايتلوه من عقاب. فلما وضع الإمام كل شيء فى محله، وعرّف السلطان حقارة مقامه عند الله، خاطبه على مقتضى ما أقامه الله فيه من ملك، ودعا له بالتأييد فيه، والصلاح، ثم أمره بشكر الله على ما أولاه، مذكراً إياه أن المُلْكَ إنما هو امتحان، شارحاً له كيفية الشكر، مخوّفاً له من يوم العرض. ثم انتقل الإمام من العام إلى الخاص، فبيّن له أوجه الخطأ الواقع فى جمع وتفريق الزكاة، وحكم الشرع فى ذلك. ثم عاد وأمره بإقامة شرع الله فى الرعية، وإزالة المنكرات، وهى واجبات يغفل عنها غالبية الحكام. فياليت علماء اليوم ينظرون إلى الإمام الحداد وأمثاله، ويحذون حذوهم فى نصح الحكام بلا خوف ولا وجل.

أما **الصنف الرابع** من الناس وهم التجار والزراع والصناع المحترفون وأشباههم، فقد أكد عليهم الإمام وجوب معرفتهم لأحكام المعاملات. وأمرهم بإصلاح النية، وأداء الصلاة فى وقتها، وإتمام أركانها، وعدم الانشغال بالدنيا أثنائها. وإخراج الزكاة، وتصحيح أحكامها. وحذّرهم من الأشياء التى تمحق البركة، وتأتى بالوبال على المجتمع كله، وهى الكذب والغش، وكثرة الحلف فى التجارة، والصناعة وتطفيف الكيل، وبخس الوزن، والاحتكار، والترويج الزائف، والمعاملات الباطلة؛ وأقبحها الرِّبا.

أما **الصنف الخامس** وهم الفقراء والمساكين وأهل الأمراض والبلاء، فذكر لهم الإمام الحداد حقارة الدنيا، وزهد الصالحين فيها. ثم ذكر لهم أن من الفقر ماهو محمود، وهو المصحوب بالصبر

والرضا، وماهو مذموم، وهو المصحوب بالسخط والجزع. وأن امتحان المؤمن فى الدنيا يكون بأنواع المصائب. وأنه لا ينبغى للإنسان أن يتمنى الموت لضر نزل به، أو أن يدعو على من ظلمه، بل يعفو ويصفح طلباً لرضا الله.

وأما **الصنف السادس** الذين هم فى تبعية غيرهم، فلله عليهم حقوق، ولمن هم تابعين له حقوق، وهم بدورهم لهم حقوق. فمنها حقوق الوالدين على الأولاد، وهى معروفة ومندرجة فى شرع الله، تحت عنوان « بِرّ الوالدين »، وضدها العقوق، أعاذنا الله من كل سوء! وكذلك حقوق الأولاد على الوالدين، من حسن رعاية، وتربية على النهج القويم.

ثم ذكر الإمام سائر مقومات المجتمع الإسلامى الصالح، من صلة الرحم، وحقوق كلٍّ من الزوجين على الآخر، والحقوق التى للمماليك وأمثالهم. وختم ذلك ببيان حقوق المعلمين، والمرشدين من الأمة.

وأما **الصنف السابع** وهم العوام، ومنهم من هم ملازمون للطاعة. وهؤلاء واجبهم- كما ذكر الإمام الحداد- تحصيل العلوم الشرعية اللازمة، وتحرى الحلال، وإصلاح السريرة. ثم حذرهم من الرِّياء، والكبر، والعُجْب. وأمرهم بالخشوع، والتأنّى فى العبادة؛ أى بعدم السماح للأمور الدنيوية- التى هم منشغلون بها- أن تخل بآدائهم للعبادات. ثم أمرهم بتوظيف الأوقات فى العبادة، بدلاً من إضاعتها فيما لا فائدة منه.

وأما **الملابسون للمعاصى** منهم، فذكَّرهم بشؤمها، وحذرهم من الاحتجاج بالقَدَر، ومن أمانى المغفرة، وأن رجاء المغفرة- بدون عمل- باطل. ثم حثَّهم على التوبة، وذكر لهم علامات صدقها وشروطها.

أما **الصنف الثامن** وهم: المشركون، والمعطِّلون، والجاحدون، وأمثالهم، فحقهم علينا دعوتهم إلى التوحيد، وبيان دلائله لهم، ومعاملتهم على مقتضى الشرع.

هكذا نرى الإمام الحداد قد بيَّن مقومات المجتمع الإسلامى بالتفصيل، الذى لا يدع- لأىٍّ من فئات هذا المجتمع- شكاً فيما عليهم، وما لهم، وفى كيفية آداء دورهم فى البناء المتكامل؛ حيث

توضع كل لبنة فى محلها الصحيح. وعدم الالتزام بهذه التوجيهات يؤدى- كما نرى اليوم- إلى فوضى شاملة، يختلط فيها العالِم بالجاهل، والصالح بالطالح، لا يعرف أحد للآخر حقوقه، ولا يلتزم أحد حدوده؛ فجزاه الله خيراً. قام بما عليه من الإيضاح والتبيين، خير قيام. أما التطبيق العملى فذلك يرجع إلى الرؤساء والحكام.

الفصل الحادى عشر

طريقة أهل اليمين

يقول الإمام « علىّ بن أبى طالب » كرّم الله وجهه: « قد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فلم أر اليوم شيئاً يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم كأمثال رُكَبِ المَعْزى، قد باتوا لله سُجّداً وقياماً، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله، فمادوا كما يميد الشّجر فى يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبلّ ثيابهم، والله فكأن القوم باتوا غافلين.»

فالصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، كانوا يبيتون لربهم سُجداً وقياماً، يصومون النهار، ويقومون الليل على الأقدام والجباه، حتى تصير جباههم من سجودهم- على الأرض الصلبة والحصى- كمثل ركبة الماعز. فإذا طلع عليهم الفجر، ذكروا جلال الله، فتمايلوا من الخوف والهيبة، كما تتمايل الأشجار فى مهب الريح، وبكوا من إحساسهم بالتقصير تجاه مولاهم، حتى يظن الناظر إليهم أنهم باتوا نياماً غافلين عن ربهم.

هكذا وصفهم سيدنا « علىّ » رضى الله عنه، هذا مع انشغالهم بالغزوات، والدعوة إلى الله، والتعليم، ومواجهة المحن والفتن؛ الواحدة تلو الاخرى، وتأسيسِ دولة الإسلام. وقد قيل أن التابعين زادوا على الصحابة فى المجاهدات والرياضات؛ إذ كانت الدولة فى وقتهم قد استقر أمرها، وصار فيها قرّاؤها وفقهاؤها وقضاتها، فتجرد الكثيرون للعبادة فى هذا العهد، وما بعده. حتى أن الأئمة- ممن اشتغل بالعلم- كان لهم من المجاهدات ما نعجز فى هذا الزمان عن تعقله. وقد ذُكر عن الإمام « أبى حنيفة النعمان » رضى الله عنه، أنه ظل أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء، هذا مع اشتغاله بالعلم والتعليم. وكذلك، « الإمام الشافعى » رضى الله عنه، كان يخصص ثلث الليل لمسائل العلم،

وثلثه للعبادة، وثلثه للراحة. ورُوِى عنه أنه قال: « ما شبعت منذ عشرين سنة.»

ثم أنه لما انشغل الناس بالدنيا، وانصرفوا عما كان عليه الصحابةُ ومن يليهم، أصبح المتمسك بهذا الأسلوب متميزاً عن الناس، متبايناً عنهم. فسموهم الزُّهاد، ثم سموهم الصوفية.

فالصوفية هم أولئك الذين تمسكوا بالهدى النبوى، وأخلصوا فى ذلك، ولم تلههم تجارة، ولا بيع عن ذكر الله. وكان للأجيال الأولى من الصوفية– من أمثال، إبراهيم بن أدهم، والخوّاص والطّائى، وسائر رجال الرسالة القشيرية*– من الرياضات والمجاهدات والسياحات ما لا يزال يُذكر إلى اليوم. وقد أُلِّفَتْ فيها المؤلفات الكبيرة، ثم تدهور الزمان، وصار عدد الذين ينهجون هذا النهج يتضاءل، ثم يتضاءل. حتى إذا كان زمان الإمام الحداد، كان الحال على ما وصفه الإمام، وأوردناه فى الفصول السابقة، من الضعف فى الدين والإعراض عن الحق.

وأما السادة العلويون، فلهم من المجاهدات– على مر الأزمنة– ما ملأ المجلدات والمؤلفات. فمنهم من كان، إذا فرغ من صلاة التراويح، يُحرِم بركعتين يقرأ فيهما القرآن كله. وكثير منهم من هجر النوم بالليل، أكثر من عشرين سنة. ومنهم من كان يخرج إلى الأودية والشعاب للتهجد فيقرأ عشرة أجزاء من القرآن من منتصف الليل إلى الفجر. ومنهم من جلس سنوات طويلة جلسة التشهد فى الصلاة، لفرط أدبه فى الحضرة الإلهية. وكانوا يقللون الأكل، حتى تصير معدتهم لا تحتمل إلا ثلاث أو أربع لقم. إلى غير ذلك مما ذكر عنهم.

وهذه الطريقة، التى كان عليها الأولون، إنما هى « الطريقة الخاصة »؛ وفيها تكون المشيخة مشيخة تحكيم، أى أن المريد يسلم أمره إلى شيخه بالكلية، حتى قالوا أنه لابد وأن يصبح بين يديه كالميت بين يدى الغاسل. وفى هذه الطريقة، كما يقول الإمام: « تهذيب أخلاق النفس، وتلطيف كثافتها

---

* « الرسالة القُشيرية فى علم التّصوف » ألّفَها الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى، وذكر فيها أحوال الأجيال الأولى من مشائخ التصوف واصطلاحاتهم وأحوالهم. توفى بنيسابور عام ٤٦٥ هجرية.

بالرياضة البالغة، الماحقة للرعونات النفسية، القاهرة للحظوظ الشهوانية، المزينة بالحضور الدائم مع الله عز وجل، ووصف حسن الأدب على بساط الذلة والانكسار والاضطرار والافتقار تحقيقا للعبودية ووفاء بحقوق الربوبية..»

ومن الرياضات البالغة المذكورة، الخلوة الأربعينية، وغيرها، ومجاهدة النفس فى محو كل مافيها من صفات مذمومة محواً تاماً، وإحكام مقامات اليقين إحكاماً تاماً. وعلاقة الشيخ بالمريد فى هذه الطريقة، والتى يطلق عليها **التحكيم**، هى ألا يبْقىَ للمريد مع الشيخ شيئاً من الإرادة، ولا الفعل المستقل، فلا يفعل صغيرة ولا كبيرة إلا بأمر شيخه، وينطوى فيه انطواءً كاملاً.

أما فى الأزمنة المتأخرة، حيث كثرت المشاغل الدنيوية، وضعفت الهمم، وقل الإقبال على طريق الآخرة، أصبح الطالبون لهذه الطريقة قلة قليلة، والقادرون منهم على سلوكها أقل من ذلك، فدفع ذلك الإمام الحداد إلى ترك هذه الطريقة، والدعوة إلى ما يلائم ويناسب الزمان، وهى الطريقة العامة وسماها « طريقة أهل اليمين ».

يقول الإمام: « لا تصلح الخلوة والرياضة فى هذا الزمان، لعدم توفر شروطهما فيه، كأكل الحلال، وغير ذلك. ولكن من بنَى أمره فيه على ملازمة الفرائض، وترك المحرمات وما استطاع من نوافل، وأمْرٍ بمعروف ونهىٍ عن منكر، وإعانة ضعيف، وإحسانٍ إلى محتاج، أو إقامة بمؤنته، وما شاكل ذلك وثبت عليه، حصل له ماحصل لأولئك برياضاتهم وخلوتهم، وأدرك ما فاته منها.»

ويقول: « لا تظنوا أنَّا على الطريقة الخاصة أبداً، لقلة أو عدم من يطلبها بصدق، وإنما نحن على الطريق العامة، طريقة أهل اليمين..»

والتصوف إنما هو الطريق الموصل إلى الله. ولا يتم ذلك إلا بتلطيف كثافة النفس، حتى لا تكون حجاباً. والوسائل الظاهرية تختلف من طريقة إلى طريقة، ولكن فعلها، فى الباطن، وهدفها واحد. ولذلك يقول الإمام: « طرق التصوف، وإن تعددت، فهى طريقة واحدة؛ وهى مجاهدة النفس، والخروج من كل ما تدعو إليه، وهذا أمر عسر.» ويقول: « الطريقة التى تذكر إنما هى، طريقة باطنة وهى العقائد والأخلاق. وإنما مثل لها بالطريق الظاهر لتعقل وتفهم. »

ويقول: « الشريعة علم، والطريقة عمل، والحقيقة ثمرة. وكل من الثلاثة قسمان ولا عليك من فروعها. فإن عملت ظاهراً، فثمرتك ظاهرة. وإن عملت باطناً، فثمرتك باطنة، ومن أظلم قلبه عمل بالمعاصى فهى ثمرته.»

ويقول الإمام: « إنا لم نحمل الناس على طريقة المقرّبين، ولم نكلف أن نحملهم عليها كثيراً، إنْ حملناهم حملناهم على طريقة أصحاب اليمين. لأن الناس كلما لهم ينكصون قليلاً قليلاً. ينكصون– أولاً– من مقام الإحسان، ثم من مقام الإيمان، ثم هم فى هذا الزمان أكثرهم يكاد يخرج عن دائرة الإسلام ..» والظاهر أن هناك قلة من الناس من أُولِى الهمم العالية، سلكوا طريق الخاصة على يد الإمام الحداد، فقد روى عنه أنه قال: « من أتانا يطلب الطريق العامة أخذنا بخاطره وآنسناه، ومن آتانا طالبا للطريق الخاصة استخدمناه وابتليناه، مجابرة للأول باللائق لجنسه، واختباراً للثانى وكسراً لنفسه.» وذلك يدل على أن الإمام، ولو لم يظهر الطريقة الخاصة، إلا أنه اختص بها من هو لها أهل.

وأما الطريقة العامة، فيقول الإمام: « إن طريق أهل الله تبدأ بأن يفرغ الطالب قلبه من الدنيا ولا يشتغل بها إلا بقدر الحاجة ثم يشغل أوقاته كلها بالذكر والطاعة ويحفظها من المعاصى والتوسع فى المباحات، ويقبل على أمور الآخرة بالكلية، فإن فعل ذلك صار على الطريق »، وكل هذا، يقول الإمام: « من الطريق العامة، وهى المهيع الواسع، الذى عليه السلف، وهو الذى يسع عامة المسلمين. وأما الخاصة فهى الفراغ عما سوى الله فى الظاهر والباطن، والتخلى عن الصفات المذمومة بتفصيلها، والتحلى بالمحمودة بتفصيلها. والعامة على طريق أصحاب اليمين، والخاصة للمقربين. ولا ينالها (أى الخاصة) قبل إحكام الأولى (أى العامة) ولو عاش عُمْر « نوح ». ومن لا يحكم صلاته أو زكاته، أو نحو ذلك، كما ينبغى كيف يصل إلى الخاصة؟! بل هذا عاده خلف الباب، لم يصل إلى قرب الدخول. ولكن من أحكم العامة فى هذا الزمان، بلغ مابلغه الخاصة المقربون، لانقطاعها فيه وعدم سالكيها. ومن يرجو المخلوقين ويتعلق بهم، أو يرجو نفعاً منهم، كيف يحصل له الترقى فى مقامات اليقين؟ ومن تعلق بهم فقد ترك اليقين، وتعلق بالوهم، وفعلُ الله هو اليقين والحقيقة، وأفعالهم هى الوهم..»

ويقول: « اعمل فى هذا الزمان من الخير مالا يشق عليك، ويمكنك المداومة عليه. فقليل دائم، خير من كثيرٍ منقطع. اشكر على القليل يعطك الله الكثير. ولا تنظر مثل أحوال بشر والفضيل وأمثالهما، فإن هؤلاء حتى الصحابة، رضى الله عنهم، لم يعملوا بمثل عملهم، لكن معهم (أى الصحابة) نور النبوة..»

ويقول: « هى طريقة سهلة تفضى بالإنسان- إذا واظب عليها- إلى اللحوق بأهل تلك الطريقة (أى الطريقة الخاصة)، فربما حصل له فى هذه الطريقة فتوح، فالتحق بأهل تلك. وليس فيها من طريقة السابقين إلا من كل شيء جزء يسير. وهى طريقة سهلة، ولا « أربعينية » فيها، ولا مشقة، ولا خطر. وأما طريقة السابقين ففيها مشقة، وفيها « أربعينية »، ولكنها خطرة يخشى فيها على أمور الدين من تغير العقل والعقيدة..» إلى أن قال: « وأكثر مايحصل التغير فى « الأربعينية » لمن يدخلها بغير شيخ، أو من غير امتثال..»

ولما سئل: « فإذا جاءكم أحد لا يعرف طريقة السابقين ولا طريقة أصحاب اليمين، فماذا يفعل؟» قال: « يعمل على مانحن عليه، فما يرانا نفعله يفعله، كما ترى من إقامة الصلوات، وقراءة القرآن، وترتيب الأذكار، وطلب العلوم النافعة، مع الدوام على ذلك..»*

وقد ذكر الحبيب العلامة « علوى بن طاهر الحداد »، رضى الله عنه، فى كتابه « عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس » الكثير عن طريقة أهل اليمين. ومن

---

* الدليل على هذا المنهج من السُّنة، الحديثان الآتيان:

- [إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته.] (أخرجه أحمد، عن عبد الله بن عمر، عن أبى هريرة).

- [إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وشرف المنازل، وإنه لضعيف فى العبادة.] قال الحافظ العراقى: (أخرجه الطبرانى، والخرايطى فى كتاب « مكارم الأخلاق »، وأبو الشيخ فى كتاب « طبقات الأصبهانيين » من حديث أنس بإسناد جيد.)

ذلك قول الإمام أحمد بن حسن العطاس: « سلفنا يقولون أن طريقتهم ظاهرها « غزالية » مايتركون الأعمال، وباطنها « شاذلية » ما يعتمدون على الأعمال، ما يسلكون إلا بالرجاء والشوق. والخمول طبعهم لا أنهم يقصدونه. وأمثال هذه الأحوال يعنى الكشوفات، ونحوها، ما يقصدونها ولا ينظرون إليها، لأنها تقطعهم عن ربهم. ومن شأن سلفنا أنهم يربون الطالب حتى يكون عالماً عاملاً، من غير أن يشعر.»

وقول الإمام « العطاس » أن ظاهر الطريقة غزالية، وباطنها شاذلية، لا يعنى أن طريقة السادة ليست إلا نقلاً لأسلوب الغزالى، وأسلوب الشاذلى، فإن هذه الصفات فيها من قبل ظهور «الغزالى» و«الشاذلى » . ولكن معناه أنه لما عرفت طريقة المجاهدات باسم أبرز من كتب عنها وهو الغزالى، وعرفت طريقة الشكر باسم أبرز من كتب عنها، وهم السادة الشاذلية من أمثال الشيخ « ابن عطاء الله السكندرى » ، فقد استخدمت هذه الألفاظ اختصاراً للكلام، وتقريباً للمعنى.

وفى هذا يقول الحبيب، علوى بن طاهر الحداد، فى « عقود الألماس » : « اعلم أنهم أجملوا الطريقة الشاذلية فى قولهم: هى رؤية المنّة لله، وملازمة الشكر، وإخلاص العبودية، والبراءة من جميع الحظوظ، والاعتراف بالعجز والتقصير. هذا مجمل أصولها. وقد أطالوا فى التفريع، والتفصيل كما تراه فى كلام ابن عطاء الله، ومَنْ بعده. وهذه الأصول تومىء إلى معان عزيزة، ومقام رفيع. يستسيغ السامع ألفاظها، وقد يستسهل التحقق بها، ولا سيما إذا كان غرا بعلل النفوس، وصعوبة مراسها، وعضال دائها وطول عنفها وعنادها.

وهيهات هيهات العقيق ومن به　　　وهيهات وصل بالعقيق نحاوله

فالمجاهدة والرياضة، لابد منها، وإن كانت الرياضة هنا قلبية، فقد تكون أصعب شىء على النفس.»

ثم قال عن طريقة « الغزالى » : إن مدارها على الرياضة، والتعب، والمشقة، والسهر، والجوع.. وغيرها.

هذه إذن طريقة السادة العلويين، فماذا تفيد؟ وإلى أين تؤدى؟

يقول الإمام الحداد: « إن الإنسان إذا نزل من درجة الإنسانية، بأن غلب عليه الهوى والشهوة جداً، بحيث تذهب منه المروءة، فيصير حيواناً بحسب ما غلب عليه، لأن كل حيوان تغلب عليه صفة من

هذه الصفات، يعرف بها. ومن غلبت عليه واحدة منها من بنى آدم، نسب بسببها إلى ذلك الحيوان، الموصوف بها. فإذا أراد الوصول إلى الله يحتاج إلى مجاهدة حتى يصل إلى درجة الإنسانية أولاً، وهى مايختص بها الإنسان، دون بقية الحيوانات. ثم يجاهد أيضاً حتى يصل إلى الله.»

ويقول: « مايكون الرجل عندهم رجلاً حتى يكون فيه من كل جزء من أجزاء الإنسانية نصيب، وينقص عنه من كل جزء من أجزاء النفس. ويختلف الناس فى ذلك كل على حسب مرتبته ومنزلته عند الله تعالى ..» فهذه إذن فائدة الطريقة العامة، فإنها تخرج الإنسان من دركات الحيوانية، إلى درجات الإنسانية، ثم تنمى كل ماهو فيه إنسانى من أخلاق، وعلوم، ومعارف، وتزيل كل ماهو فيه من صفات النفس الأمارة بالسوء، من طمع وحسد ورياء وعجب وكبر.. وغيرها. فإذا قطع الحجب الكثيفة، وسار فى الحجب اللطيفة حتى قطع مقامات اليقين، أصبح من الله قريبا، وبعنايته محفوفاً، ولإلهاماته متلقياً »*.

أما المكاشفات، ومايحصل للسالكين من خوارق العادات، فيقول الإمام الحداد: «لا أحسن للإنسان فى هذا الزمان، إذا إراد سلوكها، من تصحيح أصول التوحيد، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، والإتيان من السنن على مقتضى الكتاب والسُّنة، من غير أن يتعداهما. فإذا أثمرت له هذه الأشياء حصل له خير كثير. فإذا أحكم الطالب طريقة أهل اليمين، ترقى على يد مشائخه إلى طريقة المقربين.» فأما الطريقة الأولى، فغالباً مايجنى سالكها ثمارها– من القرب والوصول– فى البرزخ، أى بعد موته. فحينئذٍ يكون سالماً من المخاطر التى قد تعترض السالك فى الدنيا، بسبب وجود نفسه ومافيها من نقائص وعيوب. وأما الطريقة الخاصة، فثمرتها الوصول إلى الله. ومعنى الوصول قد بينه الإمام الحداد فى بعض مكاتباته، فقال: « يعلم السائل أولاً أن الواصل إلى الله عبد وصل من العلم بالله إلى حدٍّ

---

* أخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: [لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم، لنظروا إلى ملكوت السماء.]

ينتهى إليه علمُ العلماء به من خلقه. وأهل هذه المرتبة يتفاوتون تفاوتا لا ينحصر. وللواصل إلى هذا المقام حالتان، تسمى إحداهما بالجمع، والأخرى بالفرق. فإذا وردت عليه حالة الجمع فنى عن نفسه وعن غيره من جنسه، واستغرق بربه، وذهب فيه بالكلية؛ فلا خاطر هناك يخطر، ولا موجود ثَمّ يظهر إلا الموجود الحق جل وعلا.

وفى وصف هذا الوارد، قال بعض المتحققين به:

ولـو خطرت لى فى سواك إرادة   علـى خاطرى سهوا قضيت بردتى

يعنى حكمت بعدم استغراقى بك واستهلاكى فيك، والله أعلم.

وقال آخر:

كـانت لـقلبى أهـواءٌ مـفرقةٌ   فاستُجْمِعَتْ، مُذ رأتك العينُ، أهوائى

وأصل وجود الخواطر وتشعبها، إنما هو تفرق الهم، وكثرة العلائق. وماعند الواصل إلى الله من هذا الأمر خبر، لأنه قد جعل الهموم همّاً واحداً، وهو الله تعالى. وإلى الجمع الإشارةُ بقوله ﷺ: [لى وقت لا يسعنى فيه إلا ربى.] ثم إن دوام وارد الجمع عزيز جداً، وعند دوامه تظهر أمورٌ عجيبة، وتبدو شئون غريبة.» ثم قال: « وأما حالة الفرق، فالواصل فيها محفوظ وبعين العناية ملحوظ. وعندها يبقى الخاطر الربانى، ويسمى عند الصوفية بالإذن، والخاطر الملكى، ويدعى عندهم بالإلهام..»

الفصل الثانى عشر

عقيدة الإمام الحداد

عقيدة الإمام الحداد هى عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وهى التى حررها الإمام أبو الحسن الأشعرى رحمه الله، وقد أورد الإمام الحداد، فى كتاب « النصائح الدينية »، نص عقيدته فى التوحيد. وجعله الشيخ « حسنين مخلوف » مفتى الديار المصرية السابق- رحمه الله- رسالةً مستقلة، وجعل لها شرحاً مختصراً. كما أورده الحبيب « أحمد مشهور الحداد » بلفظه فى كتاب « مفتاح الجنة »، وما ذلك إلا لكونه خلاصة عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

قال الإمام الحداد فى « النصائح الدينية »:

« خاتمة الكتاب فى عقيدة وجيزة نافعة إن شاء الله تعالى، على سبيل الفرقة الناجية، وهم أهل السُّنة والجماعة، والسواد الأعظم من المسلمين. الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وبعد- فإنا نعلم ونعتقد، ونؤمن، ونوقن، ونشهد:

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله عظيم، ملك كبير، لا رب سواه، ولا معبود إلا إياه. قديم أزلى، دائم أبدى، لا ابتداء لأوَّليّته، ولا انتهاء لآخريّته. أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. لا شبيه له ولا نظير، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وأنه- تعالى- مقدس عن الزمان والمكان، وعن مشابهة الأكوان، لا تحيط به الجهات، ولا تعتريه الحادثات، مستوٍ على عرشه على الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده، أستواءً يليق بعز جلاله، وعلو مجده وكبريائه.

وأنه- تعالى- قريب من كل موجود، وهو أقرب للإنسان من حبل الوريد، وعلى كل شيء رقيب

وشهيد. حى قيوم، لا تأخذه سِنة ولا نوم. بديع السموات والأرض، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

وأنه- تعالى- على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها، وما ينزل من السماء ومايعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير. يعلم السر وأخفى، ويعلم مافى البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة فى ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس، إلا فى كتاب مبين.

وأنه- تعالى- مريد للكائنات، مدبر للحادثات. وأنه لا يكون من خير أو شر، أو نفع أو ضر، إلا بقضائه ومشيئته؛ فما شاء كان، ومالم يشأ لم يكن. ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يحركوا فى الوجود ذرة، أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا عنه.

وأنه- تعالى- سميع بصير، متكلم بكلام قديم أزلى، لا يشبه كلام الخلق. وأن القرآن العظيم كلامه القديم، وكتابه المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ. وأنه سبحانه الخالق لكل شيء، والرازق، والمدبر، والمتصرف فيه كيف يشاء، ليس له فى ملكه منازع ولا مدافع، يعطى من يشاء، ويمنع من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وأنه- تعالى- حكيم فى فعله، عدل فى قضائه، لا يتصور منه ظلم ولا جور، ولا يجب عليه لأحد حق. ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه فى طرفة عين، لم يكن بذلك جائرا عليهم، ولا ظالما لهم؛ فإنهم ملكه وعبيده- وله أن يفعل فى ملكه مايشاء- وماربك بظلام للعبيد. يثيب عباده على الطاعات فضلاً وكرماً، ويعاقبهم على المعاصى حكمة وعدلاً. وأن طاعته واجبة على عباده، بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

ونؤمن بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله، وبملائكة الله، وبالقدَر خيرِه وشرِه. ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله إلى الجن والإنس، والعرب والعجم، بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. وأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد

فى الله حق جهاده. وأنه صادق أمين، مؤيّد بالبراهين الصادقة، والمعجزات الخارقة. وأن الله فرض على العباد تصديقه وطاعته واتّباعه، وأنه تعالى لا يقبل إيمان عبد- وإن آمن به سبحانه- حتى يؤمن بمحمد ﷺ، وبجميع ماجاء به، وأخبر عنه، من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ.

من ذلك: أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى عن التوحيد، والدين، والنبوّة. وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل الطاعة، وبعذابه لأهل المعصية. وأن يؤمن بالبعث بعد الموت، وبحشر الأجساد، والأرواح إلى الله. وبالوقوف بين يدى الله، وبالحساب. وأن العباد يتفاوتون فيه إلى مُسَامَح ومُناقَش، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب. وأن يؤمن بالميزان، الذى توزن فيه الحسنات والسيئات، وبالصراط- وهو جسر ممدود على متن جهنم- وبحوض نبينا محمد ﷺ الذى يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وماؤه من الجنة. وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم الصدّيقين والشهداء، والعلماء، والصالحين، والمؤمنين.

وأن الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد ﷺ. وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد، حتى لا يخلد فيها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان. وأن أهل الكفر والشرك مخلّدون فى النار أبد الآبدين، ولا يُخَفَّف عنهم العذاب، ولا هم يُنْظَرون. وأن المؤمنين مخلّدون فى الجنة أبداً سرمداً، لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمُخْرَجين.

وأن المؤمنين يرون ربهم فى الجنة بأبصارهم، على مايليق بجلاله وقدس كماله. وأن يعتقد فضل أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبهم، وأنهم عدول خيار أمناء، ولا يجوز سبّهم، ولا القدح فى أحد منهم. وأن الخليفة الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان الشهيد، ثم على المرتضى، رضى الله عنهم، وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.»

وقد سئل الإمام الحداد يوما، إن كان الاعتقاد الحق منحصر فى عقيدة الأشعرى، وماخرج عنها فهو باطل، فأجاب: «عقيدته هى الحق، وما خرج عنها فيه حق وباطل، وإنما فاق غيره، لكونه قال آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وفوض الأمر إلى الله.»

والإمام يفضل مذهب السلف فى التسليم، والتفويض، وعدم الإقدام على تأويل ماتشابه. فيقول:

«خذ فى كل ما يشكل عليك فى حق الله ويوهمك فيه شيئاً بالتسليم، واتركه على ماهو عليه. مع التنزيه له سبحانه عن صفات الحدث. قد جاء فى القرآن والسُّنة كثير مما يوهم ذلك ولكن للسلف فيها طريقين: التسليم، والتأويل مع التنزيه. وأين الرب سبحانه من صفات خلقه؟ ففى وصف أحد الملائكة من الأمور ما تعجز العقول عن إدراكها، فكيف بالبارى سبحانه؟»

ومما ينبغى الإيمان به، مع عدم الخوض فيه، إيثاراً للسلامة، مسألة القضاء والقدَر، وهى مسألة كثر فيها الكلام، وخرجت منها البدع والفتن. وقد سأل أحدُ علماء الزيدية الإمامَ الحداد عن عدة مسائل، منها هذه المسألة، فأجابه بما هو عقيدة أهل السنة والجماعة، فقال: « اعلم وفقك الله أن مذهبنا، والذى نعتقده وندين الله به، أنه لا يكون كائن من خير وشر ونفع وضر إلا بقضاء الله، وقدره، وإرادته ومشيئته. فما شاء كان، ومالم يشأ لم يكن.

ومذهبنا هذا برزخ بين مذهبين: أحدهما **مذهب الجبرية** القائلين بأن العباد مجبورون على ما يأتون ويَذَرُون، مقهورون مضطرون فى كل حال. تضاهى أفعالهم أفعال الناسى والمُكْرَه، بل أفعال المجنون والنائم. وهذا المذهب يعرف بطلانه ببديهة العقل، ولو لم يدل دليل على كونه باطلاً.

والثانى **مذهب المعتزلة**، القائلين أن أفعال العباد الاختيارية خلْقٌ لهم، وأنهم إن شاءوا فعلوا وإن شاءوا تركوا.

وأما ماهية الكسب، الذى نقول به، فهو شيء يعرفه الإنسان من نفسه. إذ لا يعزب عن عاقل، الفرقُ بين أفعاله الاضطرارية والاختيارية، وأنه فى الاضطرارية منها مجبور، وفى الاختيارية غير مستقل.

والذى ذكرناه من مذهبنا أولاً، يجب عندنا اعتقاده والإيمان به، ولا يتم الإيمان بدونه. وهو أن كل شيء أى شيء كان، لا يكون إلا بقضاء الله ومشيئته. ومع ذلك فنحن نحب المطيع، ونثنى عليه، ونحضه على التشمير فى الطاعة، ونحذره الوقوع فى المعصية، ونقول بإثابة الله له، ونبغض العاصى، وننهاه عن المعصية، وندعوه إلى الطاعة، ونقول بمعاقبة الله له. ونقيم الحدود، ونرفع المظالم إلى الولاة، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر. ونعد قول العاصى منا ـ إذا قال، عندما يقال له: لم عصيت؟ـ: «هذا بقضاء الله وقدره» من أعظم الذنوب.

والرضا بقضاء الله واجب عندنا، ومحله أن يرضى بأفعاله جملة، وأنها فضل وعدل. ومن الرضا عندنا، سكون القلب عند ورود المصائب فى الأنفس والأموال، وحصول الشدائد من المخاوف والفاقات. والرضا بالمعاصى معدود عندنا من كبائر الذنوب.»

ورُوى عنه أنه قال: « مسألة القضاء إنما هى اعتقاد فى الباطن لا مسألة احتجاج بها وإظهارها، ومن أظهر ضل، فتُعتقد ولا تكون فى الأعمال. أليس تحريك يدك باختيارك؟ فهذا هو الكسب والاكتساب. ولا يظهرها، ويتكلم بها للعامة إلا من أراد أن يَضِل أو يُضِل. وقد قيل إنها مسألة غامضة، لا تتضح إلا يوم القيامة. وقالوا الرضا بالقضاء أن تفعل ما يرضى الله به ظاهراً، وترضى بما يقضيه باطناً. فهذا هو الحق والصواب، وماكان غير ذلك فهو باطل. وماذا وقع للعامة من قولهم– فى كل مافعلوه– هذا مقدر علينا، فإذا جاء مافيه هواهم وغرضهم، قالوا ذلك، وإذا جاء خلاف ذلك، ضاقوا به ذرعاً، وقامت عليهم القيامة.»

وقال رضى الله عنه: « رُبّ مسخر للقضاء والقدر، مأجور فى الشرع، ورُبّ مسخر له مأزور فى الشرع. وكل أحد مسخر للقضاء والقدر، ولكنه لا حجة لأحد لأنه لا جبر. وكل الأشياء من القضاء والقدر لا من الأسباب، والأسباب مظهر لها. ومنه طول العمر بالبر.» وقال: « الناس كلهم يخدمون القضاء والقدر، لأنهم يسعون فى تنفيذه، ويعرف تخصيصه بظهوره عليهم. ولو قلت لشخص سر إلى البلد الفلانى لتموت فيها لأَبى، ولكنه يسير لقصد حاجته، وقد قُضِى أجلُه فيها، فيموت بها. وكل يسعى فى نفع نفسه، فيصير النفع لغيره بسببه، وينتفع بعضهم من بعض ولا أحد قصد إلا نفع نفسه.»

وأشار الإمام إلى أن مسألة القضاء والقدر سر لا مطمع للعقل فيه، وأنه إنما يعلمه المؤمن مشاهدة فى الآخرة، فقل: « يكفى الإنسان– بعد الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر– ذكر الوعد والوعيد عن الخوض فى مسألة القضاء والقدر، لأن فيها إشكالاً لا ينحَلّ إلى يوم القيامة، وكل من تكلم فى حلها زادها إشكالا، فلا مطمع فى حلها.»

ورُوى عنه أنه ذكر ارتباط الأسباب بالقضاء، واحتجابه فيها، فقال: « لله أسرار وحكم فى ترتيب

الأسباب، وارتباط منافعها بعضها إلى بعض، واحتياج البعض منها إلى البعض. وهذا عالم الأسباب، جميع أموره تتوقف على الأسباب، وهو موضع قوله « كن فيكون ». قال تعالى: ﴿ **إنّا صَبَبْنَا المَاءَ صبًّا** ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **متَاعاً لكُم ولأنعامِكُم.** ﴾، أما عالم الأمر فهو شيء آخر، ولاحكم فيه للأسباب، ولا للكاف والنون، ولا احتياج إليها.»

وقال: « الأشياء من القضاء والقدر لا من الأسباب. والأسباب مظهر لها. ومنه طول العمر بالبِرّ، وقصره بالفجور. والأسباب، وما تعلق بها، من القضاء والقدر. فإذا برّ وطال عمره، أو فجر وقصر عمره، فهو مقضيٌّ عليه أن يفعله، ومقضيٌّ عليه أن يحصل له من العمرين ماحصل.»

وقال: « إنه مكتوب فى اللوح المحفوظ وقوع كل شيء مع سببه، أن كذا يقع بكذا، وكذا بكذا، وعلى هذا. والعالم من أوله إلى آخره مدبر على أيدى الملائكة، لا على أيدى بنى آدم. حتى بنو آدم مدبَّرون بالملائكة، حتى أن الإمام « الغزالى » ذكر أن فى باطن الآدمى سبعة ملائكة يدبرون غذاه، هذا يدفع القوت إلى المعدة، وهذا يستخرج الفضلة منها، وهذا يدفع الدم إلى الكبد... وعلى هذا التدبير. هذا فى السُّفلىّ من العالم، وفى العلوىّ هذا يسوق السحاب، وهذا يحمل الماء. وإنما تدبير أمر الأرض وأحوال الدنيا بأيدى بنى آدم لإقامة أمر الله وأحكامه.

وإذا أردت أن يجرى الله بك، على العادة، من لطفه وكرمه فَاجْرِ أنتَ على العادة من طاعته وعبادته. فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وإذا أراد الله أمراً سبَّبَ له أسباباً، وظهر سبحانه بالأسباب. ولا يظهر بالقدرة فى الدنيا، إنما يظهر بالقدرة فى الآخرة. فالقدرة فى الدنيا تابعة للأسباب، وفى الآخرة الأسباب تابعة لها. والقدرة فى الدنيا خافية فى الأسباب، والأسباب ظاهرة بها. وفى الآخرة القدرة ظاهرة، والأسباب خافية فيها. ويجعل سبحانه لكل أمر سبباً غير سبب الآخر، ليعلم الناس وسع قدرته تعالى.»

وقد ذكر الإمام، فى عقيدته، ترتيب الخلفاء بعد الرسول ﷺ، فى بعض مقولاته فى هذا الشأن، مذكورة فى كتاب « تثبيت الفؤاد »، ومنها أنه لما ذُكِرَتْ الخلافةُ، قال: [أما أبو بكر فبالإجماع عليه، وأما عمر فبالوصية من أبى بكر، وأما عثمان فبالإجماع عليه بعد الشورى، وأما سيدنا علىّ،

رضى الله عنه، فبمبايعة أهل بدر والمهاجرين، والأنصار، وأما معاوية فبتسليم الحسن بن علىّ له ومبايعته، وغيرهم إنما هو بالسيف والظلم والتعدى.»

وقال: « الذين بايعوا سيدنا علياً من أهل الحديبية نحو مائة رجل، ومن أهل بدر واحدٌ، والمهاجرون، والأنصار، ولم يتخلف عن بيعته من الأنصار سوى رجلين أحدهما كان صغيراً.» ثم قال: « إنما مرادنا من ذكر ذلك ليكون فى بالكم، فربما تسمعون، فيما يأتى، بأشياء من هذا القبيل، فلا تنكرونها، محسنين الظن بأصحاب رسول الله ﷺ، فالله الله بحسن الظن فى الصحابة، ونوصيكم بذلك كثيراً، 'ستوصوا بحسن الظن فيهم. وما كان لنا مطالعة فى ذلك، إلا لمّا وصلوا الزيدية إلى الجهة احتجنا إلى المطالعة فيها، فطالعنا فيها بقدر الحاجة.»

وكتب إلى عَالِم الزيدية إجابة على سؤاله: « اعلم أن الذين باشر علىٌّ، كرّم الله وجهه، قتالَهم بنفسه– فى أيام خلافته، بعد أن خرجوا عليه– ثلاث طوائف:

الأولى، أهل الجمل. الزبير وطلحة وعائشة، رضى الله عنهم، وأهل البصرة خرجوا عليه بعد أن بايعوه، يطالبون بدم عثمان رضى الله عنه، ولم يكن رضى الله عنه قتله ولا أمر بقتله ولا رضيه، ولكنه قَبِلَ البيعة من قتلته، ولم يسلمهم لأمر رأى فيه صلاح الدين واجتماع المسلمين فى ذلك الحين، فلم يفطن له الخارجون عليه.

الثانية، أهل صفين: معاوية وعمرو بن العاص، وأهل الشام، ولم يبايعوا علياً، فخرجوا عليه يطالبون بدم عثمان.

الثالثة، أهل النهروان، وهم الخوارج. وقد بايعوه وقاتلوا معه، ثم خرجوا عليه ينقمون تحكيم الحكمين يوم صفين.

وما قاتل– رضى الله عنه– أحداً من هذه الطوائف، إلا بعد أن دعاهم إلى الاجتماع، والألفة، والدخول فى الطاعة، فأبوا. وكلهم بغاة عندنا، ومنازعون، وخارجون بغير حق صريح، وصواب واضح.

نعم من خرج منهم، وله فى خروجه شبهة، فأمره أخف ممن خرج ينازع فى الأمر، ويطلبه لنفسه. والله أعلم بنيّاتهم وسرائرهم، وسلامتنا فى السكوت عنهم، تلك أمة قد خلت.

وقال علماؤنا فى شأن الزبير ومن معه ومعاوية ومن معه، أنهم اجتهدوا فأخطأوا، فلهم عذر.

وعلى كل حال فغاية من خرج على الإمام المرتضى، من أهل التوحيد المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة، أن يكون عاصياً، والعاصى عندنا لا يجوز لعنه بعينه.

وليس الخروج على الأئمة عندنا كفراً، بل لا يجوز عندنا لعن أحد إلا إذا علمنا أنه مات كافراً، وأن رحمة الله لا تناله بحال، كإبليس. ومع ذلك، فلا فضيلة فى لعنِ مَنْ هذا وصْفُه. ويجوز عندنا لعن العاصين والفاسقين والظالمين عموما.

وأما الحسن والحسين- رضى الله عنهما- فهما إماماَ حقٍ قد استجمعت فيهما شرائط الإمامة، وكملت أهليتهما لها.

فأما الحسن: فبايعه أهل الحل والعقد ممن كان فى طاعة الإمام علىّ، وذلك بعد مقتله، فلما سار إليه معاوية بجموع أهل الشام بقصد حربه، وسار هو إليه بجموع أهل العراق، فحين تقارب الفريقان نظر الحسن نظر الرحمة والشفقة إلى الأمة، ليتم الله ماقال جده فيه: « إن ابنِى هذا سيد، وإنى أرجو أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » الحديث.

فعند ذلك خلع نفسه وبايع لمعاوية، على أن يكون له الأمر من بعده فى شرائط اشترطها. فمات- رضى الله عنه- قبل معاوية، فجعل معاوية الأمر إلى ولده يزيد، فبايعه الناس طوعاً وكرهاً. وأبَى الحسين- رضى الله عنه- أن يبايع. فبعد ذلك كتب إليه أهل العراق أن يصير إليهم، ليملّكوه عليهم فأجابهم إلى ذلك، وسار يقصد العراق.

فكتب يزيد بن معاوية إلى عامله بها، عبيد الله بن زياد، يحثه على حرب الحسين والوقيعة به، فقام بذلك ووافقه أهل العراق عليه بعد أن بايعوا الحسين، ودخلوا فى طاعته بزعمهم، فقُتِل هنالك شهيداً فى طائفة من أهل بيته، رضى الله عنهم. والذى قتله والذى أمر بقتله، والذى أعانه على ذلك، عندنا من الفاسقين المارقين، عاملهم الله بعدله أجمعين. وليس يزيد عندنا بمنزلة معاوية؛ فإن معاوية صحابى، ولم يكن يترك الفرائض، وينتهك المحارم مثل يزيد. فيزيد فاسق بلا شك، لأنه كان يترك الصلاة، ويقتل النفس ويزنى ويشرب الخمر، وحسابه على الله.»

وقد تحدث الإمام ذات مرة عن بنى العباس، وبنى أمية، فقال: « إن محمد بن عيسى أخا الشيخ أحمد بن عيسى قاتل بنى العباس، وكانت إذ ذاك شوكتهم قائمة، وإذا قهروا أحداً من بنى فاطمة لا يستأصلونهم كبنى أمية، بل يجعلونهم عندهم فى بيوتهم مع أهلهم. ولما علم عبد الله بن عمر بقتل الحسين بكى، حتى خرج الكحل من عيونه مع الدمع، ثم قال: « أما والله لو حدثكم أبو هريرة بأنكم ستقتلون ابن نبيكم وتخربون بيت ربكم لكذبتموه، وقلتم ماصدق أبو هريرة، وها أنتم فعلتم ذلك.» فقيل عندئذ للإمام: « ألم يكن معاوية، وهو صحابى عهد إلى ابنه بالخلافة ففعل هذه المنكرات؟» فقال رضى الله عنه: « إنه قيل أن معاوية لما عهد له بها، قال: إنى تفرّست فيه خيراً، فإن صدقت فراستى فيه فذاك، وإلا فتلك من محبة الطبع، محبة الوالد لولده، وأنا أسأل الله أن لا يطيل بقاءه. فلما بان على خلاف ماظنّه فيه، لم تطُلْ مدتُه، ومات مقتولاً قتلة قبيحة..» إلى أن قال: « ينبغى للإنسان أن ينطوى باطنه فى أصحاب النبى ﷺ، على المحبة، وحسن الظن بهم، ولا يسىء ظنه فيهم، حتى يصير من الذين جاءوا بعدهم؛ **يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴿ الآية ﴾. وأما يزيد، وابن زياد، والحجاج ونحوهم، فلا لهم حرمة الإسلام، ولا لهم شيئاً حتى يذكروا..»

وقال رضى الله عنه: « لو أن الخلافة صارت بعد عثمان أو بعد معاوية، إلى بنى هاشم، ولم تصر إلى بنى أمية، لكان لم يبقَ لغيرهم مجدٌ ولا فضلُ، ولكن لله تعالى فى ذلك مُراداً. وهو سبحانه يحب أن يتشارك عباده فى الفضل والمجد، ولولا ذلك لكان مختصاً بهم ومقصوراً عليهم، وليس لغيرهم منه شىء، لأن فيهم النبوة والرسالة، وفيهم الحسب .. ولكن الله أراد ذلك ليتفرق فى جميع قبائل العرب، ولهذا لا تخلوا قبيلة من مناقب وفضائل، كثرت أو قلت، ولو خصلة واحدة ليستر ذلك مافيهم من المذموم »

وقد ذكر صاحب « تثبيت الفؤاد » جملة من أقوال الإمام الحداد فى الخلفاء الراشدين، وفى الشيعة، والخوارج. منها أنه ذكر الخلفاء الراشدين وأثنى عليهم كثيراً، ثم قال: « من تأمل أحوال الخلفاء ممن له فراسة ومعرفة تامة، رأى طريقة أبى بكر وعثمان واحدة، إذ يغلب عليهما الحياء والشفقة. وطريقة سيدنا عمر وسيدنا على واحدة، وهما على الضد من ذلك؛ القوة والشدة، أى فى

دين الله..» وقال: « ينبغى للإنسان أن لا يتعمق فى مطالعة الكتب التى فيها ذكر ما وقع لسيدنا علىّ من الحروب، كالجمل وصفين، وغير ذلك، لأنها توغر الصدور ..» ثم ذكر أن بعض الزيدية سأله: «لأى شىء قدَّمتم على أبيكم على بن أبى طالب غيرَه؟» قال: « فقلنا لهم: « هو الذى قدَّم غيرَه وفضّله على نفسه، فقدمناه نحن أيضاً وفضلناه لتقديمه له وتفضيله، اقتداءً به » ، فقالوا: « إنما ذلك تقية » . فقلنا: « إنا لسنا مثله فى قوته وشجاعته وصولته، فإذا فعل ذلك للتقية، فمن أقوى منه أو مثله فى الشجاعة والقوة؟ فالتقية التى وسعته تسعنا نحن أيضا.»

وذكر رضى الله عنه أهل الرفض، فقال: « إنهم أهل باطل، لا يُذْكَرون ولا يعوَّل عليهم فى شىء، وإن كان عندهم يسير من الحق فإنهم خلطوه فى الباطل، فلا يبقى له أثر ..» « وما اعتقدوا أن سيدنا علياً أوْلى بالخلافة، فإنه لو ولى بعد النبى ﷺ لما كان منه إلا مثل ماكان لما ولى فى وقته، أى من المنازعة التى حصلت له، والاختلاف وأحكام البغاة لكونه مقدراً عليه ومقضياً. ولكن سيدنا أبا بكر رضى به الناس، ومنهم سيدنا علىّ لسابقته، وحصوله مع النبى ﷺ فى الغار ولكونه صلى بالناس فى حياته ﷺ. وهو أوصى بها (أى الخلافة) باجتهاد لعمر، وعمر جعلها فى أهل الشورى، الذى يجتمعون عليه من أحد ستة وهو- أى سيدنا علىّ- منهم ويكفيه فضيلة ماله من الفضائل والمزايا وإن تأخرت خلافته فإن ذلك أيضا زيادة فى فضله. فقد كان ﷺ إذا بعثه فى سرية يقول: ﴿ **رب لاتذَرْنى فرداً** ﴾ الآية» . وقال عمن فيهم غلو من الشيعة: « وسبب تسميتهم بالرافضة أن جماعة من أوائلهم أتوا إلى سيدنا زيد بن على أخى الباقر*، الذى تَزْعُم الزيدية أنه إمامهم، وأخذ عنه أبو حنيفة، فقالوا: «يازيد، نكون عسكراً معك على من عاداك، ولكن لا نتبعك إلاّ أن تتبرأ من أبى بكر وعمر » ، فقال: «إنما أتبرأ ممن تبرأ منهما » فقالوا: « إذن نرفضك » ، فقال: « اذهبوا، أنتم الرافضة.» فسمُّوا بذلك من حينئذ. وسموا الزيدية بذلك، لأنهم ثبتوا معه، لأنهم على مذهبه..»

---

* الإمام زيد بن علىّ زين العابدين بن الإمام الحسين رضى الله عنهم، خرج على بنى أُمية، فقُتل.

وقد كتب الإمام إلى أخيه الحامد بالهند، قائلا: « وأفحش منه وأفظع وأشنع مابلغنا من ظهور مَنْ يتظاهر ببغض الشيخين؛ الصديق والفاروق، رضى الله عنهما، ويدين بالرفض المذموم شرعاً وعقلاً. فإنا لله وإنا إليه راجعون ..».

وعلى الرغم من ذلك فإن الإمام الحداد لا يكفر أحداً من أهل القبلة، ويرجو لهم النجاة، وأن تشملهم رحمة الله الواسعة. ويشملهم فى دعائه للأمة، ولا يترك من الأمة أحداً إلا ودعا له بالصلاح والسّلامة فى الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث عشر

ترتيب أوقاته وعباداته

لم يعرف عن الإمام الحداد رضى الله عنه أنه صلى أياً من الصلوات الخمس منفردا، ولا فى غير أول الوقت، ولا استعجل فى صلاته، ولا ترك قيام الليل. وكان يبالغ فى النَّهى عن الكلام أثناء انتظار الصلاة، وينكر على من يفعل ذلك إنكاراً شديدا، وينهى أصحابه أن يكلموه حين خروجه للصلاة، ويقول: « فإنا نخرج للصلاة باجتماع وحضور وقطع الهم عما سواها.» ويقول: « ماشُرّعت النوافل قبل الصلاة إلا ليحصل فيها اجتماع القلب على الله، حتى يدخل الصلاة بحضور وإقبال على الله..» وكان يقول: « لا يُطالب العبد فى العبادات بإقامتها فى الباطن. حتى يقيم صورتها الظاهرة فإذا أقامها وأحسنها فامضِ معه فى الباطن، ولا يمكن إقامتها باطناً إلا بمقدمات، ورياضات، وترك الخوض فى شيء قبل فعلها. ولولا فضل الجماعة، ماصلينا صلاتنا هذه، ولَكُنّا نصلى فى خلوة.»

وكان، رضى الله عنه، يركع ركعتى الفجر فى بيته بعد الآذان، ويبقى فيه إلى أن تقام الصلاة، كما كان يفعل رسول الله ﷺ. فإذا سلم من ركعتى السُّنة، قال: « اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ومحمد النبى ﷺ أعوذ بك من النار » ثلاث مرات « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك، تهدى بها قلبى، وتجمع بها شملى، وتلم بها شعثى، وترد بها الفتن عنى، وتصلح بها دينى، وتحفظ بها غائبى، وترفع بها شاهدى، وتزكّى بها عملى، وتبيض بها وجهى، وتلهمنى بها رشدى ...». ثم يقول: « ياحىٌّ ياقيوم لا إله إلا أنت » أربعين مرة. وقد يأتى بهذا الدعاء « اللهم بحق الحسن وأخيه وجده وأبيه وأمه، وبنيه، نَجِّنى من الغم الذى أنا فيه. يا حى ياقيوم، ياذا الجلال والإكرام، أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك، يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين.»

وكان يخرج إلى الصلاة عند سماع المؤذن، ويقول: « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وبحق الراغبين إليك، وبحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا، ولا رياء ولا سمعة، بل خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »، ثم يسلم على الحاضرين.

ويجيب للإقامة قائلا: « أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض، اللهم أتمها وأدمها، واجعلنا من صالحى أهلها ربِّ اجعلنى مقيم الصلاة ». « ربِّ أعوذ بك من وسوسة الصدر، وشتات الأمر، وعذاب القبر »

﴿ ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون ﴾، « اللهمّ آتنى أفضل ماتؤتى عبادك الصالحين.»*

وكان يصلى الإشراق أربعاً، يقول بعدها: « اللهم بك أحاول، وبك أصاول، وبك أقاتل، وعليك أتوكل، فتقبل منّى.»، ثم يقول: « ربّ اغفرلى، وتب علىّ، إنك أنت التواب الرحيم.» أربعين مرة. وكان يصلى الضحى ثمانىَ ركعات.

أما سُنّة الظهر القبلية، فكان يصليها أربع ركعات، بتسليم واحد. ثم يقول، بعد السلام: « اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد. اللهم إنك تعلم سرّى وعلانيتى، فاقبل معذرتى. وتعلم حاجتى، فاعطنى سؤلى. وتعلم مافى نفسى، فاغفر لى ذنبى. اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى، وأسألك يقينا صادقا، حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ماكتبته على، ورَضّنى بما قسمته لى » وكان يدعو بهذا الدعاء– أيضا– بعد سُنّة العصر، وبعد سُنّة العشاء القبلية، ويقال إنها كلمات آدم التى تلقاها من ربه، فدعا

---

* روى النسائى عن سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، أن رجلاً جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلى، فقال حين انتهى إلى الصف: [« اللهم آتنى أفضل ماتؤتى عبادك الصالحين.» فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: «من المتكلم آنفاً؟ قال: أنا يارسول الله » قال ﷺ: « إذن يعقر جوادك، وتستشهد فى سبيل الله.»]

بهن فتاب عليه. وكان يقول بعد صلاة الظهر: « لا إله إلا الله الملك الحق المبين.» مائة مرة ويهلل ألفا، وفى شهر رمضان يهلل ألفين، فيكون المجموع ستين ألفاً، فيكملها سبعين ألفاً فى السادس من شوال.

وكان يصلى بعدية الظهر ركعتين، ونادراً مايصليها أربعاً. وكان يصلى سُنّة العصر أربعاً بتسليمتين، ثم يأتى بدعاء آدم كما تقدم، ثم يقول: « إلهى تم نورك فهديت فلك الحمد، وعظم حلمك فعفوت، فلك الحمد، وبسطت رزقك فأعطيت، فلك الحمد. ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيّتك أفضل العطايا وأهناها. تُطَاع ربنا فتشكُر وتُعصَى ربنا فتغفر. وتجيب المضطر، وتكشف الضُّر، وتنجى من الكرب، ولا يجزى بآلائك غيرك. تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام.»

وكان يقرأ بعد صلاة العصر حزب البحر، المشهور عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى، ثم يقول بعده: « سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم. لا إله إلا الله. اللهم ثبِّت علمها فى قلبى، واغفر لى ذنبى وللمؤمنين والمؤمنات. وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.» . ثلاث مرات، ثم يقرأ آية الكرسى، ثم يأتى بدعاء الكرب: « لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات والأرض، ورب العرش الكريم. لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.»*

ثم يأتى بدعاء الإمداد بالقوة: « اللهم يارب ياقدير ياقوى يا متين (ثلاثاً) أسألك بقدرتك وبقوتك أن تمدنى فى حميع قواى وجوارحى، الظاهرة والباطنة، بقوة من قوتك، وقدرة من قدرتك أقدر بها، وأقوى على القيام بما كلفتنى به من حقوق ربوبيتك وندبتنى إليه منها، وفيما بينى وبينك، وفيما بينى وبين خلقك، وعلى التمتع بكل ما خولتنى من نعمك التى أبحتها لى فى دينك، ويكون كل

---

* الأنبياء: آية ٨٧. روى الترمذى عن سعد: « دعوة ذى النون إذ دعا ربه وهو فى بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إنى كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب له.»

ذلك على أصلح الوجوه وأكملها وأحسنها وأفضلها، مصحوباً بالعافية والقبول والرضا منك يا أرحم الراحمين.» ثم يقول: « أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.» سبع مرات.

وكان يصلى سُنّة المغرب القبلية، ويقول: « لا نأمر بفعلها ولا ننهى عن تركها.» وكان يقول، بعد السُّنة البَعْديّة: «يامقلّب القلوب والأبصار ثبِّت قلبى على دينك.»*، وكان يصلى صلاة الأوَّابين عشرين ركعة بعد سُنّة المغرب، ثم صار فى آخر الأمر يصليها أربعاً بتسليمة واحدة، ثم يقول بعدها: «حسبى الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم » سبع مرات**.

وأما صلاة العشاء، فكان يصلى- قبل السُّنة القبْلية- ركعتين بنيّة الرضا، وتسمى صلاة الرضا. يقرأ فى كل ركعة منها آيتىّ الكرسى والإخلاص ثلاثاً، ثم يصلى ركعتىّ السُّنة القبْلية، ويأتى بعدهما بدعاء آدم المتقدم ذكره.

ثم يقرأ سورة الواقعة، ويفرغ منها عند إقامة الصلاة. وكان بعد صلاة العشاء، يصلى السُّنة البَعْديّة ركعتين، يقرأ فيهما سورتىّ السجدة والملك، ويقول بعدهما: « جزى الله محمداً ﷺ ماهو أهله. » عشر مرات. ثم يصلى أربع ركعات بتسليم واحد، لما ورد أنها كمثلهن من ليلة القدر.

وأما يوم الجمعة، فكان كثيراً مايصلى الفجر فى المسجد الجامع، ويعتكف إلى صلاة الجمعة طلباً لفضيلة التبكير. وكان يصلى السُّنة القبْليّة أربعا بتسليمٍ واحدٍ، ثم يقول ماسبق من دعاء آدم. وكان

---

* النووى فى « الأذكار »: (عن ابن السنى، عن أم سلمة رضى الله عنها، قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاة المغرب، يدخل فيصلى ركعتين، ثم يقول فيما يدعو: [يامثبت القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك.])

** روى النووى فى « الأذكار » عن ابن السُّنى، عن أبى الدرداء رضى الله عنه، عن النبى ﷺ: [من قال فى كل يوم، حين يصبح وحين يمسى: حسبى الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم سبع مرات؛ كفاه الله تعالى ما أهم من أمر الدنيا والآخرة.]

يقرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها، وسورة طه فى الجامع قبل الصلاة. فإذا فرغ من الصلاة، وما يليها من التسبيح والتحميد والتكبير، قرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين سبعاً سبعاً، ثم يقول: « يا غنى ياحميد، يا مبدىء يا معيد، يا رحيم يا ودود، إغننى بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك. » ثلاثا. ثم يكرر بعد ذلك: « يا كافى يا مغنى يا فتّاح يا رزّاق ». ثم يقول: « سبحان الله العظيم وبحمده.» مائة مرة*.

وكان الإمام، رضى الله عنه، يفتتح دعاءه بالحمد، والاستغفار، والصلاة على النبى ﷺ. ويدعو بالأدعية النبوية، ويتحرّى من الدعاء ما كان جامعا، ثم يختتم الدعاء بالصلاة على النبى ﷺ والحمد**، ثم يقول: « اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجِرْنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة». اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شىء هو فى علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدى ذلك كله: « الله لا إله إلا هو الحى القيوم. »... إلى آخر آية الكرسى. ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم.** ﴾

﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير.** ﴾

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من صلاته يقول: « سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. اللهم اكفنى ما أهمنى

---

* [من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله العظيم وبحمده. مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ماقال أو زاد عليه.] رواه أبو داود.

** [إذا سألتم الله عز وجل حاجة، فابتدئوا بالصلاة علىّ، فإن الله تعالى أكرم من أن يُسْأل حاجتين ينقضى إحداهما ويرد الأخرى.] قال الحافظ العراقى: موقوف على أبى الدرداء. أقول: وله شواهد أخرى من حديث علىّ كرّم الله وجهه.

من أمر آخرتى ودنياى. اللهم إنى أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله.» ثم يقرأ الإخلاص والمعوذتين. ثم يزيد فى صلاة الصبح والعصر والمغرب: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير » عشر مرات. وبعد الصبح والمغرب: « اللهم أجرنى من النار » سبعاً.

ويقول السيد علوى بن الإمام الحداد، أنه لم يطّلع إلا على البعض من أوراد والده. وأن والده كان يأخذ فيها من وقت السَّحَر إلى الصبح، ثم من بعد صلاة الصبح إلى الضحى، وكذلك فى المساء من بعد صلاة العشاء إلى وقت النوم. وكان يبتدىء المسبعات قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، ويقرأ قبل المغرب سورتىّ الشمس والليل، والمعوذات.

وللإمام من الأوراد الورد الكبير المسمّى « مفتاح السعادة والفلاح فى أذكار المساء والصباح.» وهو الذى شرحه العلامة «عبد الله باسودان» رحمه الله. وله الورد اللطيف والراتب الشهير، ولكل منهما عدة شروح. والورد الكبير، والورد اللطيف، يجمعان الأذكار النبوية التى تقال فى الصباح والمساء. وأما الراتب فيُقْرَأ فى جماعة بعد صلاة العشاء، وقد يقرأ فى المهمات. وللإمام- أيضاً- حزبا الفتح والنصر، وهما مما يُقْرأ بعد صلاة الصبح. وكلها أوراد نبوية عظيمة الشأن، ولها أثر جلىّ واضح فى قلوب من يقرؤها. ومع ذلك فقد قال الإمام: « إنا لم نظهر من أورادنا إلا القليل، وما أخفيناه أكثر » .

وكان، رضى الله عنه، لا ينام إلا قليلاً، وكان نومه خفقات. وكان من عادته تأخير الوِتْر إلى قريب الفجر، وكان فى الغالب ينام قليلا بعد صلاة القيام، ثم يتوضأ للوِتر الصبح. وكان إذا قام من الليل يمسح النوم عن وجهه، ويأخذ فى دعاء الاستيقاظ، ويقرأ: « إن فى خلق السموات والأرض...» إلى آخر السورة، ثم يأخذ فى عمل القهوة التى اعتادها بنفسه، وكان ذلك دأبه حتى أعجزه الكبر، فاستعان بغيره فى فعلها.

وكان قبل شرب القهوة يرتب فواتح جامعة، إحداها فى صلاح أمور المسلمين، وأخرى ترجع إلى الأموات؛ وخصوصا الأسلاف منهم، والأخيرة تتضمن الدعاء بقضاء الحاجات، الخاص منها والعام. ثم يقرأ آية الكرسى ويتخللها باسم « يا قوى » مائة وست عشرة مرة. ثم يتوضأ بإسباغ بعد القهوة،

ويدعو ربه، ثم يأتى بركعتين خفيفتين، ثم يشرع فى صلاة الليل فيطيل فيها القيام، ويختم صلاة الليل بالثلاث ركعات المعلومات، وقد يفصلها وقد يجمعها، ولا يكاد يترك القنوت فى الركعة الأخيرة منها.

يقول السيد « أحمد بن زين الحبشى »: « وكان أكثر ما رأيته فى صحبتى إياه، وزيارتى لنبى الله هود عليه السلام، يصلى ثلاث عشرة ركعة، مع كمال حضور، وتمام فهم وخشوع، وحسن استكانة وخضوع، وإدامة تضرع واستغفار ورجوع. ويطيل الدعاء، عُقَيْب كل ركعتين، مع سؤال الرحمة والاستعاذة من العذاب. كما نقل من صلاة النبى ﷺ..» ويقول: « كنا نراه– نفع الله به– كثير الأذكار، وخصوصاً لا إله إلا الله، بحيث لا يفتر عنها قط، ويسرد منها الأعداد المعدودة، والألوف المعقودة، وكان يدخلها فى خلال كلامه، فربما خاطب أحداً وآتى بها عشراً، مدة إجابة ذلك المخاطب بالكلمة والكلمتين.»

وكان الإمام كثير الصيام، سيما فى الأيام الفُضلى كالإثنين والخميس، والأيام البِيض، وعاشوراء، وعرفة، والست من شوال، إلى أن أعجزه الكبر.

أما فى رمضان، فقد قال لأحد أصحابه ناصحاً: « إن رمضان شهر عمل، فاترك فيه العلم يكون فى غيره، فإن رمضان لمجرد العبادة. ألا ترى كيف يترك الناس فيه التدريس، إلا إن كان بعد العصر، تذكيرا للأصحاب إذا جلست معهم. فاجتهد فيه فى العمل وتنظيف الباطن ».

وكان لا يظهر من أعماله إلا ماكان ضرورياً، ليكون قدوة للآخرين، فيقول: « إنا لا نظهر شيئاً من أعمالنا بالقصد وإن كنا بحمد الله لا نخشى الرياء، ولكن كما قال الصدّيق: « **وما أبرّىء نفسى، إن النفس لأمارة بالسوء.**»

وكان يقول: « قد عملنا بجميع السُّنة النبوية، ولم نغادر منها شيئاً قط، سوى تبقية الشَّعر على الرأس ». وقد فعل الإمام ذلك فى نهاية عمره، وترك شعره حتى وصل إلى شحمة أذنيه كما كان يفعل المصطفى ﷺ. وقال: « ماتركنا غسل الجمعة لا حضراً ولا سفراً.»

وكان الإمام بعد الفراغ من الأذكار– التى تعقب صلاة العصر– يفتتح الدرس قائلا: « بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. نويت التعليمَ والتعلُّم، والنفع والانتفاع، والمذاكرة والتذكير، والإفادة والاستفادة والحث على التمسك بكتاب الله وسنَّةِ رسوله، والدعاء إلى الهدى، والدلالة على الخير ابتغاء وجه الله ومرضاته، وقربه وثوابه، سبحانه وتعالى.»

ثم يقول: « بسم الله » ويبتدىء إذ ذاك أحد طلبة العلم بالقراءة عليه فى الكتب، من الحديث، والتفسير، والتصوف، والسير، والمناقب، وغير ذلك من العلوم. وتستمر القراءة عليه إلى اصفرار الشمس، فإذا انتهت القراءة، قال: « الله أعلم وأحكم.» ثم يختم الدرس بقراءة الفاتحة بنية إصلاح أمور المسلمين، ويدعو قائلا: « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك، ومن اليقين مايهوّن علينا مصيبات الدنيا، ومتِّعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولاتجعل مصيبتنا فى ديننا، ولاتجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ». وهو الدعاء المأثور عن النبى ﷺ، أنه كان يختم به مجلسه.

وكان، رضى الله عنه، كثير الزيارة لسيدنا هود، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقبره عليه السلام معروف « بحضرموت »، وقد زاره الإمام ثلاثين مرة، كلها فى شهر شعبان. وكان يسير بجميع من عنده من القرابة والفقراء والزائرين، ويمكث غالبا ثلاثة أيام من اليوم الثانى عشر من شعبان، إلى مغرب ليلة النصف. وكان يحث على هذه الزيارة، ويوصى بها، ويقول: « إن من زار النبى هود، وصنع مولداً للنبى محمد ﷺ هناك، تمر عليه سَنَة طيبة جميلة ».

وفى طريقه إلى زيارة سيدنا هود، عليه السلام، يمر على « عينات »، فيزور الشيخ الكبير « أبا بكر بن سالم »، والشيخ « أحمد بن الفقيه المقدم »، ثم إذا وصل شِعب النبىّ «هود » عليه السلام، اجتمع بالسادة والأولياء، وصارت حضرات واجتماعات ومجالس.

وكان يزور مقبرة « بشار » بعد صلاة العصر كل جمعة، وكذلك بعد عصر الثلاثاء. ويقول: «كنا أولاً مقتصرين على زيارة الجمعة فقط، فرأى بعض أصحابنا الفقيه المقدم فى المنام، فقال له: «قل

للسيد عبد الله الحداد زيارة الجمعة فقط لا تكفى، فرتبنا زيارة الثلاثاء لذلك.»

أما فى بداياته، وقبل أن يظهره الله ويلتف الناس حوله، فكانت زياراته أكثر من ذلك، وكثيراً منها ليلاً. وكان يبتدىء فى الزيارة « بالفقيه المقدم » ومَن حوله، ثم السيد « عبد الرحمن السّقاف » ومَنْ حوله، ثم الشيخ « أحمد بن عبد الرحمن بن علوى بن محمد صاحب مرباط »، وبجانبه السيّدُ « أبو بكر السكران »، ثم الشيخ « عمر المحضار » ومَنْ حوله، ثم الشيخ « عبد الله بن أبى بكر العيدروس » ومَنْ حوله، ثم يجلس هناك قليلا ثم ينصرف.



الفصل الرابع عشر

قوله فى شرح بعض الآيات والأحاديث

قال الإمام الحداد: « لو قبل منى أهل هذا الزمان العلم بإنصاف، لصنفت كتباً كثيرة على معنى آية من كتاب الله، إنما ترد على قلبى علوم لا أجد من يعيها.» وقال: « عندنا فى هذه الآية: ﴿ **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرةحسنة** ﴾* سبعون علما. وعندنا فى كل حرف من الفاتحة كذا وكذا علماً.» وقرأ يوما فى حلقة القرآن فى رمضان فى سورة المعراج، ثم قال للشيخ « أحمد الشجار »: « لو سئلت عن غريب هذه السورة أكنت تجيب بديهة من غير مراجعة؟» فأجابه: « لا، ولا غيرها.» فقال: « لولا تغيُّر الزمان لوضعنا كتباً فى مثل هذه الأمور، ولكن كيف وقد تغير قبل اليوم بزمان، وماعليهم إلا أن يقيموا حروفه.» وقُرىء عليه يوما قوله ﷺ: [لا تتخذوا قبرى عيداً.]. فتكلم عليه بأنواع العلوم من بعد صلاة العصر إلى قرب الغروب، ولم يُدوِّن أحدٌ من الحاضرين شيئاً مما قال.

على الرغم من ذلك كله، لم يؤلف الإمام شيئاً فى علوم القرآن، ولا فى علوم الحديث النبوى الشريف. إلا أن أقوالاً له فى شرح بعض الآيات والأحاديث ذُكِرت متفرقة فى بعض مؤلفاته، وفى كتاب « تثبيت الفؤاد ». فأحببنا أن نجمع شيئا منها، ونفرد لها فصلا خاصا لما فيها من فوائد.

قال، رضى الله عنه، فى قوله تعالى: ﴿ **يوم تبيَضُّ وجوه وتسودُّ وجوه** ﴾**. « لم يقل نبيض

---

* ﴿ **ومنهم من يقول ربّنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.**﴾ (البقرة، آية: ٢٠١)

** ﴿ **يوم تبيّض وجوه وتسوّد وجوه فأما الذين اسودَّتْ وجوههم أكفرتم بعد أيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضَّتْ وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون.**﴾ (آل عمران، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧)

وجوهاً ونسوّد وجوها، لأنه أحال ذلك إلى أعمالهم، لأن أعمالهم هى التى بيضتها وسودتها. والله سبحانه وتعالى بعد ما أعلمهم أنه خالق للخير والشر، أحالهم إلى أعمالهم. ولو شاء لخلقهم بيضاً وأدخلهم الجنة، أو خلقهم سوداً وأدخلهم النار. والإيمان بالقضاء والقدر واجب، والاحتجاج به بدعة.»

وقال: « العمل القليل مع الإحسان، خير من الكثير بلا إحسان. قال الله تعالى: ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم** ﴾*، أى حال العمل، فينظر كيف عملكم له للمطالبة بالإحسان ﴿**وستردون**﴾ إلى آخر الآية، للمجازاة عليه بما وعدكم به إن أحسنتم فيه. ولا تكتب الملائكة إلا ماكان مصحوباً بالإحسان. والقراءة مع العجلة لا تكتب، وكذا الصلاة، والدعاء لا يكتب. ولو خاطبت مخلوقاً واستعجلت فى الكلام أعرض عنك، فكيف بالخالق؟ والملائكة فى هذا الزمان– من حيث النظر لا من حيث العلم– يتحيرون فى طاعة أهل الزمان، إذ لافيها إحسان فيكتبونها حسنة ولا هم لم يفعلوا شيئا منها فلا يكتبون شيئاً، إلا إن كان فيها داعية رياء فيكتبونها سيئة. وقيل أن فاعل الطاعة، مع عدم الإحسان، أحب إلى الشيطان من التارك لها أصلاً، لأن التارك أمره ظاهر، ويسلم من التعب فيها والفاعل بلا إحسان أتعب نفسه، وأعجب لظنه أنه فعل طاعة.

وصدور أهل الزمان تضيق عن الحق لأنهم لم يألفوا إلا الغفلة، لأن مجالستهم مع بعضهم بعضاً. ولو تذكر متذكر منهم، ومال قلبه إلى الخير، رأى أنه زاد على أقرانه فأعجب، أى بنفسه، ورجع من حيث جاء. فعلى قلوبهم شياطين تمنع دخول الخير إليها، والموعظة لا تصل إلى القلب إلا بيد مَلَك، فإذا أراد أن يدخلها إليه صادف الشيطان قاعداً عليه. فاحْسِنْ، فالقليلُ مع الإحسان خيرٌ من الكثير بلا إحسان. دُرّةٌ واحدة خير من عشرين حِمْل وَدَع.»

---

* ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون.**﴾ (التوبة، آية: ١٠٥)

وقال: « إن الله سبحانه يستحى أن ينزع نعمة من شاكر، ولذلك قال الله سبحانه: ﴿ **إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم** ﴾. وقال فى قوله تعالى: ﴿ **لأسقيناهم ماء غدقا** ﴾*. أى ماء القناعة والزهد. والزاهد فى الدنيا، المتجرد عنها، أخف تعبا وأكثر راحة من غيره، إلا أن الضعيف اليقين إذا أرسل الله على يد أحد من الخلق شيئاً تعلق قلبه به، ويرى أنه هو المحسن إليه، ولا يمتد نظره إلى المحسن الحقيقى. ولا ينفعك أحد إلا بعد أن يضع الله فى قلبه ما وضع. والحركة مع السلامة من منَّة الناس ماهى إلا بركة إن لم يكن فيها إثم.»

وقال: (قال الله تعالى: ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾. وهو لا إله إلا الله ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾، وهى الهمة ترفعها إلى أن تبلغ بها إلى الحق سبحانه وتعالى.)

ولما سُئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾.

أجاب: « اعلم أن للمفسرين فى بعض معانيها اختلافاً يكاد أن يكون لفظياً، ونحن نذكر ما هو الأصح والأوضح إن شاء الله تعالى، مع غاية الإيجاز. قال الله تعالى: ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى** ﴾. أى عن القرآن والهدى، فلم يؤمن به وهذا حال من كفر وجحد. ﴿ **فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ فى الدنيا، إما بالحرص الشديد عليها، فلا يزال فى ضنك وإن كان متسعا فى الصورة، وأما بالقلة المصحوبة بضيق الصدر وعدم الصبر. **وفى البرزخ**، بما يصعب عليه من أنواع عذاب القبر، ومن ضيق اللحد، وتعذيب الملائكة إياه، وتسليط الحيوانات المؤذية، إلى غير ذلك. **وفى الآخرة**، بأكل الضريع، والزقوم، وشرب الحميم والغساق، خالدا مخلدا فى النار، نسأل الله العافية. ﴿ **ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾، أى أعمى القلب والبصر ﴿ **قال رب لم حشرتنى أعمى** ﴾، أنكر عمى البصر الحادث عليه، وأما عمى القلب فإنه لم يزل فيه. ﴿ **وقد كنت بصيرا** ﴾ أى فى الدنيا. ﴿ **قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها** ﴾، أى

---

* ﴿ **وأَلَّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً.** ﴾ (الجن، آية: ١٦)

أعرضت وتعاميت عنها. ﴿ **وكذلك اليوم تُنسى** ﴾، أى تترك فى العمى، وسوء الحال، وأليم العذاب والنكال. نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الإيمان ويعصمنا من الزيغ والضلال والحمد لله على كل حال. »

وكتب الإمام فى إحدى وصاياه مشيراً إلى ماورد فى سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والرّكع السجود** ﴾ فقال: « وإذا وصلت إلى بيت الله الحرام، ونظرت إليه بعينىّ رأسك، فليكن قلبك ناظراً إلى رب البيت. وللحج ظاهر وباطن، فظاهره شريعة وباطنه حقيقة. فلا تشغلنك إحداهما عن الأخرى تكن جامعاً. واعلم أن لله فى باطنك بيتاً وهو القلب. وقد أمر إبراهيم علمك، وإسماعيل عقلك، أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود حوله من الملائكة والروحانيين.

وكل من لم يكن له إبراهيم ولا إسماعيل، فهو جاهل أحمق تصلى به النار. وكل من كانا له، ولم يمكّنهما من تطهير ذلك البيت- حتى يصلح للطائفين والعاكفين- فهو من خلفاء الشياطين، ومثله العالم الغافل الذى لا يعمل بمقتضى علمه وعقله.»

وفى مكاتباته تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه.**﴾، قال رضى الله عنه: « والمعاهدة المشار إليها هى أنهم أقروا له بالوحدانية فى عالم الذر لمّا استفهمهم فقالوا بلى فكان الاستفهام عن الربوبية، التى يندرج تحتها الإخلاص فى الوحدانية، والقيام له بوظائف العبودية. فإن المربوب عبد، والعبد مملوك، والمملوك شأنه الخدمة لمالكه، وإنما مدح الله بالوفاء طائفة من المؤمنين، ولم يجعل مدحه عاماً فى أهل الإيمان، فضلاً عمن عداهم من العباد، لعسر القيام بمقتضى هذه المعاهدة، وقلة من يقوم بها وجهها من الناس، فقال سبحانه: ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا** ﴾ الآية ... فافهم، والله أعلم.»

وسئل عن الحديث القدسى [من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته خير ما أعْطِى السائلين.]. فقال: الذى يظهر أن المراد حال المستغرق فى الذكر، الذائب فيه، المستهتر به، الذى صار شغله وديدنه. فإن لم يكثر الدعاء، فى خلال ذلك، لم يفته بذلك شىء مما يحل للداعين المكثرين من الدعاء، بل

يعطى أفضل مما يعطاه السائلون، لأنه مشغول بالله تعالى وبذكره، ليس بالأغيار ولا بالحظوظ. وأما أن الإنسان فى حال دعائه يعدل عن الدعاء إلى الذكر، ويترك الدعاء؛ فلا أرى لذلك وجها ولا استحسنه، ولا أقول إنه المراد من الحديث، لأن الدعاء من الأذكار، وفيه من الافتقار إلى الله تعالى، والخشوع له والتذلل بين يديه، ماليس فى غيره من العبادات، ولذلك ورد « الدعاء مخ العبادة ».

وفى حديث: [ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن]. قال: « أى وسع المعرفة، وحمل الأمانة. وسع علم لا جرم. ولقلب لا يضيق بكثرة المعلومات وإن كثرت. وإنما تضيق أماكن الفراغ بما يكون فيها من الأجرام.»

وقال عن حديث جبريل، لمّا سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان: «الإسلام مجرد عمل فقط، والإيمان مجرد علم وتصديق، والإحسان مشترك بينهما. والأول فى الجوارح، والثانى فى القلب، والثالث فيهما.

والأول ظاهر الثانى، والثانى باطنه، والثالث خالصهما وهو الغاية من الإيمان والإسلام، إذا اجتمعا صارا إحساناً.

وقوله: « صدقت »، يُشعِر بأن بينهما معرفة سابقة.

وفى قوله: « أن تشهد » أى تعتقد عن اعتقاد فى القلب، ويقين فى الباطن، لا إيمان المنافقين وإيمانهم باطل، وإيمان العوام ناقص.

وفى الحديث حثٌ على طلب العلم، وتكرار المعلم على المتعلمين ليرسخ حفظهم، وعلى تخصيص أكمل الحاضرين بالخطاب.»

وفى حديث: [الجار قبل الدار.] قال: « أى إذا أردت نزول دار فانظر فيها، واختر مجاورة أهل الصلاح والستر والصيانة، ولاتجاور معروفا بالفساد والتطلع على العورات، فربما يطّلع على عورتك، ويشرف عليك وعلى أهلك. فاختبر حال الجار أولاً قبل نزولك فى جواره ».

وفى حديث [اطلبوا الحوائج بعزّة الأنْفُس.] قال: « أى اطلبوها بعزٍّ ولا تطلبوها بالتضعضع، لأن التضعضع ليس من أخلاق المؤمنين ».

وفى حديث [أعدى عدوّك زوجتك التى تضاجعك، وما ملكت يمينُك.] قال: « أى لأنه يقع منهم بلايا، وأقل الحال أنهم يوقعونك فى طلب الدنيا إن لم يكن معك شيء ».

وفى حديث [من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله .] قال: « هو من يستدين ونيته إن تيسر له أدّى وإلا ترك ».

وقال: « الجوع المستعاذ منه فى الحديث [.. أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع.] هو الجوع الاضطرارى، الذى يشغل الخاطر كثيراً، حتى تتغير عليه حوائجه وأحوال دينه ودنياه، وغير ذلك من المضار الدينية والدنيوية. وأما الجوع الاختيارى فهو محمود، فقد كان ﷺ يجوع الثلاثة أيام أو أكثر.»

وفى حديث: [إذا دخل رمضان صُفِدّتْ الشياطين.] قال « أى ماعدا الشيطان الكبير، وهو إبليس، فلم يرد فيه نص. ولو كان كذلك لما تعرض لهم يوم بدر حيث أخبر الله عنه بقوله: ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم** ..﴾ الآية؛ ووقعة بدر كانت فى رمضان. وحظ أعوانه من الإغواء أكثر منه فإنه ماله من العمل إلا الوسوسة، فيوسوس له فى الأمور المذمومة. والمصفدون هم المردة منهم. وقيل لبعضهم: أينام الشيطان؟ قال: « لو نام لاسترحنا ساعة ».

وفى حديث [إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار .] قال: « هذا يدخلها بالنية والعمل، يعنى القاتل. وهذا يدخلها بالنية فقط. بخلاف ما إذا استسلم أحدهما وقتله الآخر فالمقتول يسلم، ويبوء القاتل بالإثم، كما قص الله فى ابْنَىّ آدم.»

وفى حديث [إذا التقى المسلمان فتصافحا وتكاشرا قسمت بينهما مائة رحمة، تسعة وتسعون لأكثرهما بِشْراً وواحدة للآخر.] قال: « فالفضل المذكور للأكثر بِشْراً إذا كان لله وللدار الآخرة، لا لأمور الدنيا، فإن الدنيا جميعها ساقطة. »

وفى حديث [يُنصَب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته.] قال: « يختلف الغدر، فغدر فى حق الله، وغدر فى حق رسول الله ﷺ، وغدر فى حق الخلق على حسب أحوالهم، وغدر فى حق نفسه.»

وفى حديث [من احتكر على المسلمين طعاماً ابتلاه الله بالإفلاس والجذام.] قال: « إما الجذام

الظاهر أو مَحْقُ البركة، لأن الجذام المَحْقُ، فيمحق ويفلس من الدنيا مع إفلاسه أيضا من الدين، لأن الغالب ما يفعل ذلك أحد إلا افتقر قبل أن يخرج من الدنيا. »

وفى حـديث [والله لا يؤمن من لا يأمن جـارُه بوائقَه] قـال: « البـوائق التطلع إلى عـوراته، والاستشراف فى بيته من غير إذنه، ونظره إلى أهله، واحتقاره، ونقل كلامه، وخون أمانته. »

وقال: (معنى « اجعل القرآن ربيع قلبى » كما فى الدعاء، أى بأن يعمل فى القلب من الأنوار والعلوم، كما يعمل الربيع فى الأرض.)

وقال فى حديث [ما جلس قوم ...]: « يعنى أن المجلس لا يخلو أن يكون معمورا بحرام وفضول فى الغالب، فإذا لم يحصل ذكر يُكفّرعن ذلك، كان عليهم تُرّة وحسرة على فعلهم. »

وقال فى حديث [الناس معادن ...]: « إذا كان هذا يجرى فى العموم ففى الخصوص أَوْلى. فمن عمل فى صغره شيئا من مكارم الأخلاق المحمودة شرعاً قبل أن يعلم كونه محموداً، ولم يصدر منه عن قصد، فهذا دليل على طيب معدنه، فإذا كبر كان من ذلك فى زيادة وغاية. ومن عمل فى صغره خلاف ذلك على الوجه المذكور، دل ذلك على خبث معدنه، وكان فى كبره فى زيادة من الخبث، وغاية من الشر. فمثال الأول من ظهر من أول نشأته يحب الإحسان وصلة الأرحام، وغير ذلك، فلما كبر كثر منه ذلك وازداد معه تمكناً. ومثال الثانى، من هو من أول بدوء متعلق بحب الدنيا ومنهوم بجمعها مع تكالبه عليها، ولم يسمح بإخراج شيء منها، فهذا كلما كبر ازداد شحّاً وقساوة، ونحو ذلك. »

وقال فى حديث [من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب]: « أى أعلمته أنى محارب له، وذلك لأن الولىّ لا ينتصر لنفسه، فيكون الله سبحانه هو الذى ينتصر له. »

وفى حديث [الملكان يناديان كل صباح، ينادى أحدهما: اللهم اعطِ مُنْفِقاً خلفاً، والآخر ينادى اللهم اعطِ ممسَكاً تلفاً] قال: « هذا فيمن لم يُخرِج الزكاة، فيمنع حق الله الواجب، أو لا يتصدق مع قدرته على ذلك، بل يبخل عن ذلك، ويخبى المال وينميه، ويحرص عليه، ويحب زيادته. »

وفى حديث [غيرتان إحداهما يحبها الله، والأخرى يبغضها الله. ومخيلتان إحداهما يحبها،

والأخرى يبغضها الله] قال: « المخيلة روضة يجدها المتصدق فى نفسه عن الصدقة، يفرح لكونه وُفّق لذلك، وعندما يُسأل فيرد السائل يرى فى نفسه انقباضا إن كان هو بصيرا بأخلاقه ضد ذلك، أى ضد تلك الروضة. وكذلك المخيلة فى الجهاد، يفرح إن وُفّق لذلك. »

وفى حديث [الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم..] قال: « أى يحبهم ويتشبه بهم، ولم يبلغ درجتهم. فلابد فى ذلك من التشبه، وهو أنك إذا سمعت عنهم أن أحدهم يصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة مثلاً، ومثل ذلك مما لا يكاد يدخل فى قوة البشر، فتقوم من الليل ماتيسر؛ فهذا تشبُّه بهم فى صلاتهم. وأما من نام الليل كله حتى يكاد يفوت صلاة الصبح، ويعتل بالمحبة لهم، فقد احتج بعض الناس بذلك فأجابه بعض الصالحين بأن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم، وهم مخلدون فى الشقاء، مانفعهم ذلك لعدم تشبههم واقتدائهم بهم. »

وقال فى حديث [رُبّ أشعث أغبر ذى طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه.]: «هو فقير قانع بفقره، ولا يريد خلاف ذلك، ذو تقوى، مؤدٍّ لحق الله فيما أمر أو نهى، ذو ورع لا يأكل إلا حلالاً. وأما فقير ذو طمرين لا يبالى من أين يأكل؛ من حلال أو حرام، فما فضيلته؟ فالحاصل أنه لافضل إلا مع التقوى والدين، لا بشرف الآباء ونحو ذلك. »

وقال فى حديث [الرجل يطيل السفر أشعث أغبر...]: « إن هذه الصفات المذكورة فى الحديث كلها مما يقتضى إجابة الدعاء، إذ ورد أن دعاء المسافر مستجاب. وكم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبَرّ قسمه، ولكن مع أكل الحرام لم تنفعه تلك الأشياء فى حصول الإجابة، وإذا لم يُستَجَب دعاؤه لذلك، فكذلك صلاته. »

وفى حديث [يشيب ابن آدم وتشب منه خصلتان، الحرص وطول الأمل.] قال: « هذا خاص بمن كانت فى قلبه من صغره كلما كبر ازداد حرصه عليها. وأما من عاش فى صغره بالزهد ونحوه، فبالعكس من ذلك. ودليل ذلك، من الحديث الآخر [يموت المرء على ماعاش عليه.]: أو أن معناه، أن صاحب الدين والزهد فى الدنيا كلما كبر ازداد زهدا فيها، وتقللا منها. وصاحب الدنيا، المحب لها كلما كبر ازداد ضعفاً وعجزاً عنها، وعن التمتع بها، وفى قلبه تعلق بها، ورغبة فيها، وطلب

لزيادتها.»

وفى حديث [ماء زمزم لما شُرِبَ له.] قال: « يعنى من شربه لمرض شفاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله. أى لأنها فى الأصل للاستغاثة، أغاث الله بها إسماعيل عليه السلام، وقد جربه الأئمة فى المطالب فوجدوه صحيحاً من خبره عليه الصلاة والسلام، ولكن يحتاج لنيّةٍ وإخلاصٍ، ماهو لكل الناس. »

وفى حديث [إن الله حمى أمتى أن تجتمع على ضلالة.] قال: « يعنى أنهم لا يجتمعون كلهم عليها، بل لابد من قائم على الحق ولو قليلاً. وماورد أنهم السواد الأعظم لعله لم يصح، لأنه لم يبقَ فى زمن بنى العاس مَنْ لم يَقُلْ بخَلْقِ القرآن الكريم، إلا القليل. أحد يظهره ويدين به وأحد يظهره ولا يدين به. وظهوره وخفاؤه بسبب ملوكهم، فالناس على دين ملوكهم، يعنى يظهرون مايكون عليه ملوكهم، إما أنه كذلك، وإما تقيةً وخوفاً. »

وفى حديث [إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.] قال: « إذا كان واجداً فلا ينبغى أن يقتر على نفسه، إلا إن كان بنيَّة زهدٍ وكان من أهله. وفى الحديث: [إن الله يحب أهل البيت الخصب]، أى فى المعيشة إذا كان هناك شيء بغير إسراف. »

وفى حديث [وخالق الناس بخلق حسن.] قال: « أى لاتجفُ على الناس، ولا تشح عليهم، ولا تنكر عليهم، ولاتكن ثقيلاً على الناس ولا عتَّاباً على الناس، حتى أهلك وأولادك.» وقال: « بحسن الخلق يستجْلَب خيرُ الأخيار، ويُكتَفى شر الأشرار. »

وقيل له: « التعرض للنفحات الوارد فى الحديث، بماذا يكون؟» فقال: « بالدعاء والجلوس فى الأوقات المرجو حصولها فيها، والانتباه، وعدم النوم إذ ذاك، فإذا وردت النفحةُ عليك وأنت نائم، فما يقال لك متعرض. »

وقال فى الدعاء الوارد فى الحديث: « اللهم إنى أعوذ بك من التردِّى، والهدم، والحَرق »، «إن هذه الأشياء ولو كان فيها شهادة إلا أنها لا تأتى إلا بغتة، ويكون حينئذ بغير استعداد. وما جاء بغتة يشْكُلُ ويعسر، وربما يقبض وهو غير راضٍ، وذلك مشكل. »

وقال فى حديث [إذا لقيتم المصرّين على المعاصى فالقوهم بوجوه مكفهرة.] : « أى المجاهرين بها، المتظاهرين بها بلا مبالاة، ولايجاهر ويتظاهر بها إلا من لا خوف معه من الله ولا حياء، فلتبغضهم وتعادِهم مالم تخش فتنة. »

وقال فى حديث [كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع.] : « أى من صدق وكذب، ومن نافع وضار. فينبغى إذا أراد كلاما أن ينتقيه، فلا يحدث إلا بما فيه نفع مؤمن، أو دفع ضر عنه. »

وقال فى حديث [من تَصدَّقَ فقد فكّ لِحَى سبعين شيطاناً.] : « يعنى خالف صفات الشياطين، فشيطان يأمره بالبخل، وآخر يخوفه الحاجة، وآخر يأمره ويؤخره ونحو ذلك، إلى سبعين شيطاناً من هذا القبيل، فإذا تصدّق، فقد خالف جميع هذه الدواع. »

وفى حديث [لو لم تذنبوا لخلق الله قوما يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم.] قال: « يعنى أنك لا تتقصد ذلك [أى الذنب] ولا تنكر وجوده فى الكون، فلله فى خلقه حكم .. ولو لم يكن من الحكم فى ذلك إلا ليكون الناس درجات بعضهم فوق بعض. ومن أنكر وجوده أو تقصد فعله فهو عاصٍ فاسقٍ، وهو كمن يتقصد شرب السُّم. »

وفى حديث [يؤذن لهم « أى أهل الجنة » فى مقدار جمعة.] قال: « إن كان من جُمَع الآخرة فما هو إلا بعد سبعة آلاف سنة. لأن اليوم من أيامها ألف سنة، وإن كان من جُمَع الدنيا فقريب. وهذا الإذن عام لخاصة المؤمنين وعامتهم، وإنما يتميز الخاصة عن العامة بقرب المجلس، وأحوال الكرسى. وتجليه تعالى لكل مؤمن على قدره. كما ورد أن الله يتجلى لأبى بكر خاصة، كما يتجلى لغيره عامة. والقول بعدم إرادة الجنة، أو عدم الخوف من النار؛ من شطحات الصوفية، التى اعترضوا عليهم فيها، لأنهم إذا أرادوا النظر فلابد لهم من الجنة.. ولعله إنما المراد من قولهم ذلك إنما نعبدك مجرد امتثال لأمرك، وانقياد لعبوديتك لا يغر ذلك من طلب ماتهواه النفس أو فرار لما تنفر منه، والله أعلم. »

وفى حديث [يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم من أيام الآخرة.] قال: « أى فقراء كل طبقة يدخلون الجنة قبل أغنيائها بذلك القدر. »

وفى الحديث الذى ذكر فيه أبواب الجنة الثمانية قال: « هذه الأبواب الكبار التى تكون على

حائطها، حائط سورها، يدخل منها إليها، وإلا فلكل بيت باب. والنار سبع طباق، إذا دخل من باب طبقة إلى أخرى، ينزل حتى الهاوية. والجنة إذا دخل من باب وأراد الآخر، ارتفع. وكل منزلة أعلى من منزلة. ولأى شىء كانت أبواب النار سبعة؟ قيل: لأن القلب يُعَدّ فى أبواب الجنة دون النار. والإنسان إنما يرجو من فضل ربه. »

وقوله: « القلب يعد فى أبواب الجنة فتصبح أبواب الجنة ثمانية » أى لقولهم: إن « لا إله إلا الله محمد رسول الله » سبع كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكل كلمة من هذه السبع تغلق باباً من الأبواب السبعة، عن كل عضو من الأعضاء السبعة. وأما القلب فهو محل الإيمان، فلا تناسب بينه وبين أىٍّ من أبواب النار. »

وسئل عن معنى الزيادة فى العمر الواردة فى بعض الأحاديث فأجاب: « قد صح أن العمر لا يزيد ولا ينقص، كتاباً سابقاً. وقد اختلف العلماء، رحمهم الله تعالى، فى معنى الزيادة. فذهب بعضهم إلى ظاهر الأحاديث، وقال: تكون الزيادة والنقص مشروطة بأسباب. مثاله: أَجّل فلان كذا وكذا. فإن فعل كذا زيد له كذا. وكذلك يقال فى نقصه فإنه قد ورد.

وقال بعضهم وهو ابن عباس رضى الله عنهما: « إن للإنسان أجلاً فى الدنيا من مولده إلى موته، وأجلاً فى البرزخ من موته إلى بعثه، وكل مسمى. فإن أطاع الله تعالى زيد من أجله البرزخى على أجله الدنيوى، وإن خالف وعصى نقص من أجله الدنيوى فزيد على أجله البرزخى، فلم يكن زيادة من خارج ولا يبدل الكتاب السابق. وهذا هو الصحيح عندى، وقال بعضهم: معنى الزيادة الواردة بركة تكون فى عمره حتى يزن عمره القصير عمر غيره الطويل من غير أن تكون زيادة حسية. والمطلوب من طول العمر، إنما هو اتساعه لتتسع دوائر العمل الصالح. وقد حصل ذلك لهذا العبد الموفق، وكان طولاً حقيقياً وزيادة معنوية، فتأمل هذا الجواب وخذه بحقه. »

وسئل عن حديث [المرء مع من أَحب.] فقال: « اعلم– علَّمك الله تعالى– أن الحديث فيه ترغيب وترهيب، حيث يكون الإنسان مع من يحبه سواء كان من الأبرار أو الفجار. فكيف حال من يحب الدنيا الملعونة، حيث يصير معها؟ ثم إن المعية الحاصلة بالمحبة تحصل مطلقاً. ولكن لا يصح

وجود المحبة إلا بموافقة المحبوب فيما يأتى ويذر، حسب الاستطاعة. والمحبة دعوى لا تثبت حتى تقوم بها بينة الموافقة. فالذى يدّعى محبة شخص وهو مع ذلك يخالفه فى أغراضه ومراداته التى يقدر عليها، ولا يوالى من يواليه، ولا يعادى من يعاديه، يقضى العقل بتكذيبه. نعم لا يشترط لحصول هذه المعية المساواة للمحبوب فى جميع أعماله، فإن ذلك يقتضى المماثلة فيما يستطاع مماثلته. فقد علمت أن المحبة لاتصلح بدون الموافقة أبداً. »

وسئل عن حديث [من عرَفَ نفسه عرَفَ ربه.] فقال: (اعلم أن هذه الكلمة حديث يروى عن رسول الله ﷺ، وقد تضمنت– على إيجازها– من المعارف والعلوم شيئاً كثيراً، وهو الذى أيد بجوامع الكلم ﷺ. ثم اعلم أن لهذه الكلمة معانٍ كثيرة نقتصر منها على ذكر **معنيين** بأوجز عبارة:

قال الله تعالى: ﴿ **سنريهم أياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد.**﴾ وقال تعالى: ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون.**﴾

المعنى الأول من كون المعرفة بالنفس طريقة المعرفة بالحق، أنك إذا نظرت إلى نفسك، وإلى عجزها وافتقارها، وقصورها وانقهارها، وأنها لا تستطيع أن تجلب نفعاً لنفسها، ولا تدفع ضراً عنها، تعلم بذلك أن لها ربّاً وخالقاً، هو المنفرد بإيجادها وإمدادها، والقائم عليها بما كسبت، والمجازى لها بما عملت، له الغنى المطلق والوجود المحقق.

قيل لبعض العارفين: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم. يعنى بذلك أنه قد يعزم على الأمر ليبرمَه يُنْتَقَض، ويعزم على نقضه فيُبْرَم، فاستدل بذلك على كونه مربوباً، وأن أمره فى يد غيره، ذلك هو الله العزيز الحكيم.

المعنى الثانى، أنك إذا نظرت إلى نفسك، ورأيتها مائلة إلى الشر والباطل، ومعرضة عن الخير والحق، وراغبة فى التمتع بالدنيا الفانية، وغافلة عن الآخرة الباقية، مجبولة على التمتع بالشهوات، والدخول تحت رق العادات، علمتَ أنه لا ينجيك من بأسها، ويعصمك من فتنتها، إلا الخالق لها، القادر على إصلاحها؛ وهو الله تبارك وتعالى. فعند ذلك تفزع إليه، مكتفياً به معتمداً عليه. فإذا علم سبحانه من قلبك صدق الفرار، وصحة الرغبة فى الإخلاص، أفاض عليك الأنوار، وكاشفك

بمصونات الأسرار، وألقى على النفس- الأمارة بالسوء، المقارِنَة للشر والأشرار- من الطمأنينة والانقياد للحق، والنّفرة عن الباطل، والرغبة فى ملازمة الخير ومرافقة الأخيار، ماتقرّ به عين القلب، ويمحى عن وجوده كل مايشغل عن سلوك سبيل القرب. فعند ذلك تعرف لطف مولاك عز وجل، وعنايته بك، وإقباله عليك، وحسن نظره إليك. وأصل هذه المعرفة، معرفتك بشؤم النفس، الحامل لك على التفزُّع إلى الله تعالى. فتنبه لما أشرنا إليه، وتأمله حقه، واقنع بهذه اللّمعة، فإنها من العلم المكنون المتلاطمة بحاره.)

وفى حديث [قل هو الله أحد ثلث القرآن، والزلزلة نصف القرآن، والكافرون ربع القرآن.] قال الإمام: « إن هذه أسرار لا يُطّلع عليها إلا بنور النبوة. »

وفى حديث [يأتى زمانٌ؛ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر.] قال: « أى يعسر التمسك بالدين حينئذٍ، وأكثر مايشتد على المتمسك بالدين، والعلماء العاملين، والصالحين. »

وفى حديث [يقول الله لأهل بدر اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم] قال: « أى أنهم مابقى فيهم داعية للمعصية إنما عملهم كله صالح. »

وفى حديث [إذا اشتبهت عليك طريقان فاسلك أيمنهما.] قال: « هذا إذا كان كل منهما يسلك بك مقصداً واحداً، فاشتبه عليك الأقرب منهما. فأما إذا تحققت أن أيسرهما هو الطريق الأبعد أو الأقرب فاسلكه. »

وقال فى حديث [الدين النصيحة.]: « أى أنها داخلة فى جميع أجزاء الدين. »

وقال: (ماجاء فى الحديث من أن فاطمة رضى الله عنها أتته عليه السلام بكسرة خبز، وقالت: «خبزت خبزاً فما طابت نفسى حتى آتيك بهذه الكسرة، فقال عليه السلام: أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث.. » قال إنه عليه السلام، كان يتنقل فى بيوته التسعة، كل ليلة فى بيت، ويخرج أيضاً إلى خارج المدينة، ويصوم ويجوع؛ ولا يعلمون به. وكلٌّ موضع يجيئه يظنونه قد أكل فى الموضع الآخر، حتى أنهم طلبوا يوماً معرفة كونه صائماً أم لا، فأطعموه، فأكل فعرفوه أنه مفطر.)

الفصل الخامس عشر

آراؤه فى الصوفية

سُئل الإمام الحداد عن المريد والصوفى والتصوف، فأجاب فى إحدى مكاتاباته: (المريد، من تمخضت فيه إرادة وجه الله والدار الأخرة بجميع حركات سرائره وظواهره لمعاده ومعاشه. وهذا أمر عظيم إذا صح واستقام، فتأمله. أما الصوفى فهوكما قال بعض العارفين: « الصوفى من صفا من الكدر، وامتلأ من العبر، واستغنى بالله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر» . وأما التصوف فهوكما قال بعضهم، أيضاً: «التصوف هو الخروج من كل خلق دنىّ، والدخول فى كل خلق سَنِىّ » . وقد وقع خلاف كثيرمن أهل الطريق فى التصوف، ما هو والصوفى؟ وهذا الذى ذكرناه من أحسنه وأجمعه. فمن صفيت أعماله وأقواله ونيّاته وأخلاقه من شوائب الرياء، وأخلصها عن كل شىء يسخط المولى، وأقبل بباطنه وظاهره على الله، وعلى طاعته مع الإعراض عما سواه، وقطع العلائق الشاغله عن التجرد لهذا الأمر من أهل، ومال، وشهوة، وحظ، وهوى ونفس، وكان جميع ذلك مقروناً بالعلم واتّباع الكتاب والسُّنة، وهدى السلف الصالح.. فهو الصوفى الكامل، والله أعلم ..)

وأما أولئك الذين يدَّعون الانتماء للتصوف، ومامعهم إلا شىء من مظاهره خالٍ عن سلوك نهجهم فى المجاهدات، وعن التحقق بالمقامات، فأولئك يسميهم الإمام المتمصوفين، ويصفهم بالجهل، ويقول عنهم: إن منهم من هو « مغير للدين، قائم بالبدع، ظاهر بالدعاوى، بعيد عن الحق ...»

وقد بيّن الإمام فى كتاباته- ومنها رسالة « إتحاف السائل بجواب المسائل »- شيئاً من علوم الصوفية، فى معرض التحدث عن معانى كلمة لا إله إلا الله، فقال: (علم **التوحيد** على قسمين: أحدهما **ظاهر**، وهو الذى يعلم بالدليل والبرهان، ويجب على كل مؤمن أن يعلم ويعتقد منه مالا

يصح إيمانه بدونه. والمتكلم هو الذى يعتنى بتحرير هذا العلم، والذّب عنه، والفحص عن أدلته وبراهينه، فيفضل عامة المؤمنين بذلك وفضيلته، إن كانت إيماناً وعلماً، وإلا كان صورة فقط. والثانى **باطن**، وهو مالا يُدرَك بدون الكشف والعيان. وذلك ميراث التقوى، ومعنى الهداية التى هى ثمرة المجاهدة، وهو سر بين العبد وبين ربه. وقد يتفاوض أهله فى أشياء منه فيما بينهم. ولهم، رضى الله عنهم، الغيرة التامة على أن يقف على شىء منه مَنْ ليس مِنْ أهله، حتى كان « الجنيد »- رحمه الله- إذا أراد أن يتكلم فيه مع أصحابه يغلق الباب، ويجعل المفاتيح تحت وركه، وذلك رحمة منهم بالمؤمنين. فإن الواقف على هذا العلم من غير أهله: إما أن ينكره، فيكون عند الله من المكذبين بما لم يحيطوا به علماً، وإما أن يصدق به، فيفهمه على غير الوجه المراد منه، فيتعثر فى أذيال الخطأ. واعلم أنها قد توجد من هذا العلم تلويحات، فى كتب المحققين، « كالإحياء » و« القوت». وإنما سمحوا بها تشويقاً للمريد الصادق. وفى بعض المواضع، لتوقف حصول الفائدة من علم المعاملة الذى هم بصدد بيانه على ذكر ذلك. وإلا فهم أشح شىء بإيراده. أما ترى الإمام « الغزالى » رحمه الله، حين يشرف على بحاره المتلاطمة يقول: « ولنمسك عنان القلم. » وتارةً يقول: « هاهنا سِرٌ فلا نتجاوزه. » وأُخرى: «هذا من علم المكاشفة، وليس من غرضنا ذكره فى علم المعاملة » إلى غير ذلك.)

ويقول الإمام الحداد فى بيان أنواع العلوم ودرجاتها:

« الأمور الإلهية السماوية أعظم وأعز من الأمور الأرضية السفلية. وكل ماقرب إلى العلو زاد على مادونه. ولذلك زادت السماء الدنيا على الأرض بأضعاف كثيرة مضاعفة حتى صارت فيها كحلقة درع ملقاة فى فلاة. ثم هما فى الثانية كذلك، وهكذا إلى السابعة، ثم هى ومادونها فى الكرسى كذلك، ثم الكل فى العرش كذلك، وهكذا.

وكل ماهو إلى العلو أقرب، كان أعز وأعظم. ولذلك عظمت علوم الصوفية وعزَّت على ماسواها، لأنها من العلو. وهى علوم إلهية سماوية، والعلوم الأرضية دونها فيما ذكر كعقود الأنكحة وغيرها، ولكن من لزم العلوم الأرضية بحيث استقام عليها ولم يخالفها فى شىء، أفضى به ذلك إلى العلوم الإلهية السماوية. ولما كان مجرد العلو أعز وأعظم من مجرد السفل كان الناس فى جميع الأشياء

درجات بعضهم فوق بعض بنسبة بعضهم إلى بعض فى الاستعلاء والتسفل. »

ويقول: « علوم المكاشفات غير مخالفة لعلوم المعاملة، لأن معانيها صحيحة، إلا أنها تختلف باختلاف المجاهدات. »

وقد كثر كلام الناس على مر العصور فى الصوفية والتصوف، واعترض البعض عليهم، وكان اعتراضهم من شقين:

الأول: الاعتراض على مايظهرونه من حقائق، ومايتلفظون به من ألفاظ توهم فى رأى البعض الحلول والاتحاد.

والثانى: الاعتراض على بعض أعمالهم بالقول بأنها لم ترِد فى السُنّة النبوية الشريفة.

أما بالنسبة للنوعية الأولى من الاعتراض، فإن الإمام قد قال: « كلام الصالحين إما وارد، وإما قد أداره المتكلم على قلبه. وكل ذلك صواب، ولا سبيل إلى مخالفته » وهذه قاعدة عامة يقتضيها حسن الظن بالصالحين وتقيدها عدة أقوال للإمام منها: « كلام الأكابر يحتاج إلى تأويل ولا يزال يردده ويتأمله حتى يظهر له.» وبديهى أن مايظهر من المعنى لكل أحد يكون بحسب فهمه وعلمه. وكذلك لأن مافيها من معنًى يكون بحسب مقام قائلها وحاله الغالب عليه حين قالها. فكما قال الإمام حين ذكر أمامه قولٌ لأحد الصوفية: « إن كلام الصالحين يؤخذ للاعتبار فقط، ولا يكون هذا لكل الناس، بل ربما يكون لبعضهم، بل ربما اختص به القائل لأنه جرّب هذا من نفسه، ولا يكون لغيره ولا يعمم، إلا إن كان كلام الله ورسوله، وإذا ورد فى العموم.. »

والعبارة كثيراً ماتقصر عن حمل مثل هذه المعانى. وقد تخرج فى صورة يفهم منها غير المقصود.

قال الإمام: « ومعانى المحبة تلْطُف وتجلُّ جداً عن إمكان التحدث بها لأن العبارة لاتأتى على معانيها ولا يمكن التعبير بالمعانى عنها بحال، لأنها لا تدركها العبارة. ولهذا ترى أهل المحبة لما أدركوا من معانيها مايجل وصفه، ولايمكن كشفه، واحتاجوا- بسبب ذلك- إلى التنفس والتروح إنما يعبرون عنها بقوالبها التى هى صورها، والمعانى أرواح قائمة لها. فلما عجزوا عن التعبير بالمعنى، عبروا بالقوالب والصور، وذلك كتغزلهم بليلى، وسُعدى، ولُبنى، وهند، ودَعْد، وغير ذلك. »

وقد أزال الإمام الإشكالَ الذى ينتج عن تأويل مثل هذه الأشياء، فى أقوال وأشعار الصوفية، فقال: «كل مايكون من أمور الغزل فيحمل على مخاطبة النفس للروح، ولا يحمل على الأمور الإلهية، لأن أمرها عسر غامض، لايكاد يفهمه إلا أكابر الصدّيقِين، ولا تطيقه القوى البشرية... »

وقال: « لا تتعدى فى تنزيل ماتسمعه من الغزل نفسك، بل تنزله على روحك أو على الكعبة، لأنه لا خطر فى ذلك. ولا تتجاوزه إلى النبوة، فضلاً عن الملائكة، فضلاً عن الأمور الإلهية، فإن حد ماينتهى إليه علم الملائكة، سِدْرَة المنتهى؛ فيجدون أمر الله عندها ولا يتجاوزونها. »

وقال: « إذا تكلم المخلوق بوصف المخلوق فاللائق به أن يكون فى المخلوق. »

وقال: « إذا شكا المحب الجور من محبوبه، فالجور إنما هو منه لا من المحبوب، لأنه [أى المحب] يطلب منه هوى نفسه، وهو [أى المحبوب] مايعطيه كل مايهواه. احفظوا ذلك! »

وسمع يوما شيئاً من نظْم الإمام « السُودى » فيه غزل، فقال: « يذكرون أشياء مايعرفونها، وهم بَرَاءٌ منها [يعنى مايشبه ذكر النساء والخمر] فيدل هذا أن هناك شيئا آخر. ولهم خمر وراح غير مايعرفه الناس، ولا حرج على من تغزل، وإنما نخشى أن يستنزل به الضعفاء. وصاحب الحال معذور فيما يقوله، لكن تخشى عليه فى آخر أحواله أن يغلط بشىء من أمور الدعاوى. »

والإمام نفسه قد استعمل مثل هذه الألفاظ فى قصائده، فعلى سبيل المثال نجد أنه قال فى إحداها:

أنـــا مــشـغـــول بليلـى	عن جـمــيع الكــون جـملة
فـــإذا مـاقـيــل مـــن ذا	قـــل هـــو الــصب المـــوله
أخــــذتـــه الـــراح حـتى	لــم تُبــَقِ فــيه فـضــــلة
راح أنــــس راح قـــدس	ليـــست الــــراح المــضـلة

فبيّن فيها أن الراح هنا راح أنس وقدس، وليست الراح الدنيوية التى هى أم كل رذيلة. وقد ذكرها فى قصيدة أخرى فقال:

راح اليقين أعـز مشروب لنا	فاشرب وطب واسكر بخير سلاف
هذا شراب القوم سادتنا وقـد	أخـطأ الطريقة من يقـل بخلاف

إن موقف السادة العلويين عموما ممن يتكلم عن الحقائق أن يحسنوا الظن بهم، ولا يجيزوا قراءة مؤلفاتهم. ويذكرون قصة العيدروس الأكبر، الذى لم يعرف عنه أنه انتهر ولده السيد أبا بكر العدنى، إلا يوم رآه يطالع فى « الفتوحات المكية »*. وإذا قال لهم قائل: « نطالع فى هذه الكتب، فما فهمناه أخذناه، ومالم نفهمه تركناه ». قالوا له: « إنما نخشى عليك مما تظن أنك فهمته، وقد فهمته على غير وجهه. أما مالم تفهمه، فليس منه خطر. » وهم كذلك يخشون على المريد أن يظن أنه بقراءة هذه الكتب والتشدق بما فيها من ألفاظ قد أصبح صوفيا محققا، وقد وقع فى هذا الكثير من الناس فضلّوا. والشأن كل الشأن فى التحقق بحقائق الصوفية وليس فى التشدق باصطلاحاتهم.

وكما ينصح السادة العلويون ذويهم باجتناب هذه الكتب والحذر منها ينصحونهم بقراءة مؤلفات الإمام الغزالى ودراستها والعمل بها.

يقول الإمام الحداد: « هذه الأشياء ذوقية ولا يُسلّم لصاحب الذوق إلا فيما يوافق الشرع الصريح. ولا أسلَم، ولا أحسن، ولا أجمع من كتب الإمام الغزالى لا فى الشريعة، ولا فى الطريقة، ولا فى الحقيقة، ويدع ما أشكل عليه. والمراد بذكر هذه الأشياء الحزم حتى يحذرها الإنسان. كالبحر أول مايدخله إلى الركبة مثلا، ثم الوسط، ثم إلى القامة، ثم يغرق. ودليل هذه الأشياء فى القرآن. لكن لأهلها، ومن هو فى القاع، مايجىء له مافى السماء... »

وقد ذكر الإمام– ذات مرة– أن للعقل رؤية كما أن للعين رؤية، وتكلم فى ذلك قليلا، ثم قال: «وهذه الأمور كلها فيها القرب من جانب، والبعد من جانب، ولا فيها شىء من الحلول والتشبيه. واسمعوا عنا: السعيد فى مثل هذه العلوم يمرها ولا يدرى بها، وإنما يمرها للتبرك ولا يتفكر فيها. فإن التفكر فيها ضلالة؛ فاحفظوا هذه عنّا، وانقلوه فربما تدركون أحداً » (أى ممن يتفكر فيها).

وكان أكثر ماوقع من اعتراض على مؤلفات الشيخ « محيى الدين بن عربى » وأشعار الشيخ « عمر بن الفارض »، وسوف نورد كلام الإمام « الحداد » عنهما بشىء من التفصيل، حتى يتبين موقفه

---

* « الفتوحات المكية » للشيخ محيى الدين بن عربى، وضع فيه أموراً كشفية وأحوالاً ذوقية.

منهما بوضوح.

سأله بعضهم عمن ينكر على ابن عربى فقال: « هو جدير بالإنكار عليه، ولكن ممن فوقه ... ولكن النفس تميل إلى كلامه، وتنفر من الكلام الذى فيه دواؤها وبه يحصل لها شفاؤها، وهو كلام الإمام الغزالى، لأن من طبع النفس أنها تنفر عما ينفعها، وتميل إلى مايضرها.. »

وكان يمدح « رسالة القدس فى مناصحة النفس » لابْن عربى، ويأمر أحيانا بمطالعتها، ويقول: «مافى كتبه أوضح منها ولا أسلم من الشبه ولا أبين للصواب ..» إلا أنه لما قرأها عليه الشيخ «الشجار»، قال له بعد أن أتمها: « لا تعد تمر نظرك فيها لأن كلامه مظنة الفتنة وإن كان فى نفسه فى غاية الاستقامة. »

ولما ذُكر « ابن عربى » فى أحد مجالسه، قال: « شرط العارف أن يمضغ بكل أضراسه ورحاه وشقيه، كابن عربى يتكلم فى الحقائق مع مبالغته فى تعظيم الشريعة، ومعرفته فى كل علم. فإن من كان مثلاً يعرف الحِرَفَ كلها فهو حيك وصبان وفراز وغير ذلك، جامعاً للجميع، فيجيئه واحد ما معه منهن إلا واحدة فينكر عليه، فكيف ينكر على من هو أعرف منه فى فنه فضلاً عن غيره؟ وعقيدته وفعله فى غاية الاستقامة دون كلامه، وكلامه أقرب إلى السلامة من كلام ابن الفارض، لأنه مايذكر حقيقة إلا ويذكر لها عشر كلمات فى الاستقامة. والحاصل أن الضعيف لا ينبغى له أن يتعرض للبحور لئلا يغرق فيها.» وقال فى مرة أخرى: « إنه تقدم له زهد وصلاح، فيسلم له أمور الدين والآخرة، وكذلك ابن الفارض والسهروردى، وأمثالهم من المتكلمين بالحقائق.. »

وأما ابن الفارض، فإن الإمام كان يترنم بأشعاره منذ صغره. وكان ديوانه يُقْرأ عليه من أوله إلى آخره، كلما فرغ منه أمر بإعادته، وذلك عشية كل يوم ثلاثاء، إلا أنه كان يأمر القارىء أن يتجاوز التائيّة الكبرى، لكثرة ما فيها من الحقائق التى يصعب إدراك معناها. وذلك أنه فى رأيه أن « كلام ابن الفارض أسلم خطرا من كلام ابن عربى، لأن هذا نظم فيه تسامح وسلاسة تغطى مافيه.. »

وظاهر هذا الكلام التعارض مع ما قاله من قبل، من أن كلام ابن عربى أقرب إلى السلامة، إلا أن المعنى أنه من يسمع شعر ابن الفارض لا يقف عند مُشْكِلِه، ولا يتفكر فيه. كما هو شأن المستمع

للشعر عادة فهو من هذا الباب أسلم. أما إن توقف عنده، وتفكرّ فيه، فحينئذ يكون كلام ابن عربى أسلم، لما يورده من شواهد من النصوص الشرعية.

وقد قُرىء عنده فى ذات مرة بشيء من شعره، فقال: « به أشياء تظهر لهم بعد الرياضات والمجاهدات ولابد من معرفة العلم، لئلا يتغير اعتقاده من ذلك. لأن للشيطان فيها مجالاً، ولذلك لابد فيها من موافقة الشرع الصريح الذى هو الأصل. »

وقال فى غزله: « كل هذا مليح، ويُنزل على الروح وعلى الجنة، لا على الحقيقة الإلهية خالق الكل.. »

وقال عنه: « إن عمره خمس وخمسون سنة، لأن أهل الأحوال الغالب أنها ما تطول أعمارهم، بل تأخذهم الأحوال» وقال عن كلامه: « هو كلام قلب حيّ فى جسم ميت.» ولما ذكر ابن الفارض مع ابن عربى، قال: « فنهما واحد إلا أن ابن عربى الغالب عليه الصحو، وابن الفارض الغالب عليه الاستغراق. »

ولما سئل هل كان السادة متعلقين بكلام ابن الفارض؟ قال: « نعم، لأنه نظم والنظم سهل ولا عسر فيه. وأين الحقائق الإلهية من يقين الموقنين فضلاً عن وهم الموهومين. وهذه الأشياء المشكلة تنزل على الروح والنفس الزكية، أو ما أورده القائل ... فإن الإنسان قد يذهل فى أمور الدنيا فيشطح، فكيف بأمور الآخرة؟ وأكثر ما يطلقون فى تغزلهم على الروح المحمدية والمقامات العلية، لأنه عليه السلام مخلوق، والخطر فى المخلوق سهل وإن عظمت منزلته عليه السلام، مع الغاية فى تعظيمه واحترامه. ومن اعترض عيبهم، فإنما الشيطان لقى له مجالا فى قلوبهم فلبس عليهم، وألقى عليهم ماهو سبب فى الاعتراض.. »

قد اتضح مما سبق موقف الإمام الحداد، والسادة العلويين من كتب الحقائق. أما مالا يملّون منه، فإنه ذلك العلم الذى يواجه كل إنسان بما فيه من نقص، ويطالبه بالإصلاح. قال الإمام الحداد لرجل يوصيه بمطالعة كتب الإمام الغزالى: « أكب على مطالعة كتب الإمام الغزالى فإنها فى الكتب كالخضار فى الطعام، بل أعلى منه ذلك أن الطعام إذا لم تشتهه فى وقت، تركته إلى وقت آخر، وهذه

لا يُستغنَى عنها بحال لأنه جمع فيها الشريعة، والطريقة، الحقيقة، ومواريث السلف؛ وإذا جاء عند ذكر الحقائق حد لها حدودا وشرط لها شروطا ليتحقق من أرادها أنه من دخل إليها من غير بابها أنه ضال مدع. وقد رأى بعضهم بعد ماصنف « الإحياء » الشيطان وهو يحثو على رأسه التراب، فقال: مابالك؟ قال: صنف فى الإسلام كتاب أخشى أن الناس يتبعونه! وعلوم الحقائق هذه رأيتها كالنار المحرقة أو كالمياه المغرقة، إذا دخلها الإنسان إما غرق وإلا احترق.. »

وأما النوعية الثانية من الاعتراض، فكثيراً ماتكون موجهة للمخلطين ممن ينسبون أنفسهم إلى طريق الصوفية.

ولنذكر- على سبيل المثال- الخلوة التى يقول بها الصوفية، ومعناها اعتزال الناس مع الجوع والسهر والصمت ومداومة الذكر. وفائدتها مداواة بعض أمراض القلوب، كما قال الإمام: « الملل من ذكر الله وكثرة النوم وكثرة الأكل وكثرة الكلام كل هذه الأشياء أمراض فى القلب تنبغى معالجتها والتداوى منها.» وكما ذكرنا فى الفصل الحادى عشر فإن الخلوة الأربعينية لم يعد يأمر بها أحد من السادة، وقد نهى الإمام الحداد عنها كثير من المريدين الذين كانت أنفسهم تدعوهم إليها، فمنهم من استجاب، ومنهم من لم يفعل فتعرض للأخطار. لذلك فإن لكل شيء شروطاً وللخلوة شروط كثيرة، إن لم تتوفر صارت وبالاً على صاحبها. يقول الإمام: « ينبغى أن ينقص كل ليلة لقمة حتى يصل إلى حد لا يتغير عليه عقله فيه فيلزمه. وأقوام يدخلون الخلوة على غير هذه المقاصد، بل يقصدون أموراً أخرى. فلهذا تتغير عليهم عقولهم، لأنهم إذا اشتد عليهم الجوع قد يسمعون أصواتاً وأشياء، فيفزعون ويتغيرون منها، ولو أخذوها بشروطها وحقوقها لما حل بهم ماحل.» ومن هنا كانت الحاجة للشيخ العارف المتمكن الذى يرى بنور الله، ويستطيع أن يرشد السالك لما ينفعه، ويجنبه مايضره.

ومن بعض مايحدث أيضاً ادعاء البعض أنهم وصلوا إلى الله، فلم يعودوا بحاجة إلى القيام بالتكاليف الشرعية. وقد تعرض الإمام لأحد هؤلاء فكتب إليه كتاباً أوضح له فيه حقيقة هذا الأمر، وأزال عنه تلبيس الشيطان فرجع إلى الحق، وتاب إلى الله. وهذا الكتاب لا مثيل له فى شرح هذه

المسألة. ويصلح لأن يكون رسالة منفردة قيّمة تبين للسالكين حدود الله وحكم الشرع، وتنير لهم السبيل بما لا مزيد عليه من الوضوح، فهذا هو كتاب الإمام بنَصِّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة وهيّىء لنا من أمرنا رشدا.

الحمد لله ذى القوة المتين، الذى لم يجعل للشيطان اللعين سلطاناً على عباده الخواص، الذين أكرمهم بالإيمان والتوكل والإخلاص.

فالإيمان هو الأصل، وهو صدق التوحيد مع رسوخه وثباته، والتوكل والإخلاص من أجل فروعه، وأشرف ثمراته. وماتحقق عبد بهذه المعانى الشريفة، وبنى على قواعدها قوله وفعله، إلا صار الشيطان يفرق- أى يخاف- من ظله.

ومن لم يتحقق بهذه الأوصاف، فللعدو بقلبه إلمام، وحوله تطواف، وكل من عرى عنها، وخلى منها، فقد فارقه دينه، وارتحل عنه إيمانه ويقينه، وصار الرجيم وليه وقرينه، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا.

وقد يدنو اللعين من نفس المتقى وقلبه، فى حين غفلته عن ربه، ولكن تدركه على القرب إمدادات التذكر والتذكير، فإذا هو سميع بصير، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾.

وقد يفيض هذا المدد من الله على عبده، بواسطة ملك الإلهام، وقد يكون بواسطة بعض عباده الذين نصبهم لإرشاد الأنام، وراثة منهم لمتبوعهم الإمام الأعظم، والنبى الأكرم، والرسول الأفخم، حبيب الله محمد بن عبد الله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم.

من أقل العباد الفقير إلى الله الجواد، عبد الله بن علوى الحداد علوى الحسينى إلى أخيه فى الله، محمد بن أحمد بانافع الهجرانى، أخرجه الله من ظلمات ليل الجهل والحيرة، إلى ضياء نهار الهُدى والبصيرة، وكحَّل بإثْمِدِ نورِ الهداية حدَقَة عينِ قلبِه، حتى يهتدى لما اختلف فيه من الحق بإذن ربه،

والله يهدى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

وليس فى الدين إشكال، والهدى أحمى جانباً من أن يشتبه بالضلال، ولكن الشيطان عدو مبين؛ والهوى غالب على الإنسان، المخلوق من سلالة من ماء مهين، فإن ثبّته مولاه وهداه، ووفقه وأعانه على امتثال مابه أَمَرهُ، واجتناب ماعنه نهاه، ظفر بالسعادة، وفاز بالحسنى وزيادة، وإن وكله إلى نفسه، وحوله وقوته، كان الهلاك أسرع إليه من طرفة عين، فيهلك من حيث يرجو النجاة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وفى هذا المعنى قال قائل:

ياويح من بالمـاء أضحى يـشرق　　　من حـيث يرجو جـاءه مايتقى

وقال غيره:

إذا لم يكن عون من الله للفتى　　　فأول مـايجنى عليه اجتـــهاده

اللهم اعصمنا واحفظنا، من كل مايسخطك علينا، بحولك وقوتك، واهدنا ووفقنا لكل مايرضيك عنّا، بفضلك ورحمتك؛ فإنا عاجزون عن جلب النفع لأنفسنا، ودفع الضر عنها، من حيث نعلم بما نعلم، فكيف لا نعـجز عن ذلك، من حيث لا نعلم، فـوحـقك مـابقى بأيدينا إلا الاعـتـصـام بك، والاعتـماد عليك، والتفويض إليك، فإن عذبت فبعدلك، ولك الحجة، وإن رحـمت فبفضلك ولك المنة، سبـحانك لا نحصى ثناء عليك، ولا نقـول إلا مايرضـيك، ولا نعـترض عليك فى ملكك، ولا ننازعك فى سلطانك، وقد رضينا بك ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيك رسولاً. سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

رب إن الـــهـدى هـداك وآيـا　　　تـك نـور تـهدى بـهـا من تشاء

أما بعد، فاعلم يامحمد أنه كان يبلغنى عنك، من الإقبال على الله وعلى طاعته، ومن الإعراض عن الدنيا وأهلها، ما أستغرب وجود مثله فى هذا الزمان المبارك، الذى عز فيه وجود المقبلين على الله، لاشتغال أهل الزمان بعمارة الدنيا، وجمع حطامها، وكنا أحبك لذلك، وأقول بتعظيمك وإجلالك،

إلى أن بلغنى عنك بالاستفاضة، أنك قد خلعت العذار، وهدمت الجدار، ووقعت- والعياذ بالله- فى ترك الفرائض من الصلاة والصيام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولو بلغنى عنك الانهماك فى المباحات، والتساهل بترك شىء من النوافل المقربات، لكنت أعد ذلك من المصائب فى حقك؛ لأن السالك الصادق، لا يزال فى مزيد من المعرفة والعبادة، إلى أن يخرج من الدنيا، وذلك علامة صدقه، فإذا ظهر عليه أثر من التقصير، دل ذلك على وقفه أو على فتوره، كما قال أبو سليمان، رحمه الله: « لو وصلوا مارجعوا » يعنى إلى الكسل والراحات المباحات، فكيف بمثل هذا الأمر، الذى ينحط به فاعله عن درجة العوام، ويقدح فى أصل الإسلام.

وبيان ذلك أن الأمة قد اجتمعت، سلفاً وخلفاً، على أن التكاليف الشرعية، لا تسقط عن المكلف، الذى هو البالغ العاقل، إلا بالموت، أو بزوال العقل. وقد سألت عن عقلك فأخبرت أنه لابأس به.

وإذا ترك المسلم شيئا من التكاليف نظر، فإن كان تركه عن جحود، فهو مرتد، أو عن كسل استتيب. فإن تاب وإلا قتل. وفى هذا تفصيل محله كتب الفقه.

وقد ظهر لى أنك لست عند ذا ولا عند ذاك، ولكن للشيطان- لعنه الله- تلبيسات تشبه الحق، وهى الباطل المشئوم، يلبس بها على السالكين لطريق الله، فمن عصمه الله منهم لم يلتفت إليها، وضرب بها وجه اللعين، ومن تخلفت عنه العناية الإلهية منهم اغتر بها، فتورط ورطات الإلحاد والزندقة.

فمن تلبيسانه، أن يقول للسالك: «إن التكاليف طريق إلى الله، وأنت قد وصلت إليه، فما تصنع بها؟» . ومنها أن يقول له: «أنت فى عين الجمع على الله، وفى العبادات المتنوعة مايجلب التفرقة. »

ومنها أن يقول له: « إن التكاليف تليق بأهل الغفلة لتقودهم إلى الحضور مع الله فى بعض الأحيان، فأما من كان عاكفاً بقلبه على الحضرة القدسية على الدوام، فهى فى حقه حجاب » . ومثل هذا كثير يقع للسالكين. ولا ينبغى لك أن تقول: « أنا مقبل على الله، ومشتغل به، فكيف يمكّن الشيطان من إغوائى؟ » فاعلم أنه عام الإغواء، قال تعالى: ﴿ **قال اذهب فمن تبعك منهم...واجلب عليهم بخيلك ورجلك** ﴾، والحفظ من اتّباعه على ضلالة هو الخاص ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم**

سلطان ﴾.

وتأمل ماجرى لأبيك آدم حين أكل من الشجرة، ولسيد المرسلين حين أدخل فى قراءته ماليس منها، ولست أكرم على الله من الأنبياء المعصومين.

وقد سمعت أولاً عن الأولياء المحفوظين، فاسمع عن الإمام المجمع على ولايته وقطبانيته: سيدى عبد القادر الجيلانى فى واقعة وقعت له مع الشيطان، وذلك أنه رأى فى بعض سياحاته نوراً قد ملأ الأفق، وفيه صوت يقول: « يا عبد القادر أنا ربك، قد أسقطت عنك التكاليف » فقال الشيخ: « كذبت يالعين »؛ وأعرض عنه، فلم يزل ذلك النور يضمحل حتى برز منه الملعون. وقال لسيدى الشيخ: « إنك قد ثبت، وإلا فقد فتنت قبلك سبعين من أهل الطريق.. »

ونحن نكشف عوار هذه التلبيسات المذكورة، بكلام وجيز من الحق، المؤيد بالكتاب والسنة وكلام أئمة الطريق.

أما قول الشيطان للسالك: إنك قد وصلت إلى الله، فخرجت عن عهدة التكاليف. فاعلم أن خطور مثل هذا الخاطر، يدل على عدم الوصول، لأنه من الباطل الذى يحفظ الواصل من مثله، بل ربما دل خطوره على عدم السلوك رأساً.

وبيان ذلك أن السالك لابد وأن يكون له بصيرة فى العلم، بحيث يعلم أن الشارع لم يرخّص فى ترك شيء من التكاليف للمكلّف. وما أبعده عن طريق الله إن قدّم وسواس الشيطان على قول الشارع، الذى لا ينطق عن الهوى، وعلى التنزيل؛ فمراتب الوصول غير متناهية، وإنما يقال: وصل، على معنى: أنه انهتك حجاب قلبه الذى يحجبه عن ربه.

ولاوصول للواصل إلى مالم يصل إليه من منازل القرب إلا بالملازمة والمواظبة على الأمر الذى هو سبب فى الوصول إليه، وليس ذلك إلا الفرائض والنوافل، ولو لم يكن من التكاليف إلا كونها سبباً فى حصول الوصول، لكانت تجب المحافظة عليها كذلك، وللشفقة على العامة أن يقتدوا به، أو يظنوا به السوء، كيف وتركها يدل على المقت والطرد، والسلب والبعد. ولو صدر ذلك من أكمل الكمل، لكان يهوِى من أعلى درجات الصدّيقية إلى أسفل دركات الزندقة.

وقد شنع المحققون على من يقول بإسقاط التكاليف عن الواصل، فبلغنا عن الجنيد- رحمه الله- أنه قيل له: « هل يبلغ أهل المعرفة إلى حد تسقط معه الحركات من أعمال البر؟»، فقال: « إن هذا عظيم، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا ممن يقول هذا، ولو عشت ألف سنة، لم أترك ذرةً مما أنا عليه من أعمال البِرّ. »

وقيل لأبى على الروذبارى: « إن قوماً يتركون التكاليف ويزعمون أنهم وصلوا »، فقال: « نعم، ولكن إلى سقر. »

وقال الإمام الغزالى: « قتْل واحدٍ ممن يقول هذه المقالة- وما أشبهها- أنفع للإسلام من ألف كافر. »

وما بلغنا عن أحد، ممن له أدنى قدم فى طريق الله، أنه ترك شيئاً من الفرائض، لغير عذر شرعى، بل قد عتب العارفون على من يقتصر من العارفين على الفرائض ويدع النوافل، وقالوا: « إن المدد والمؤيد محبوس عنه، وممنوع منه. » ذكر ذلك صاحب العوارف وغيره. ولن يفارق السالك الواصل فى شىء من الأمور إلا فى أمرين:

الأول: حصول الكشف. **والثانى**: القيام بالفرائض والنوافل، مقروناً باللذة والراحة، كما قال ﷺ: [أرحنا بها يا بلال.]، وقال: [جعلت قرة عينى فى الصلاة.]. والسالك يقوم بوظائف العبودية مع المشقة والمجاهدة. ومن قال بغير هذا فليس من أهل الطريق، ولا عنده من الذوق والتحقيق.

وإنما مثل الذى يقول بسقوط التكاليف عن الواصل، كمثل الذى يغرس شجرة ويتعاهدها بالسقى حتى تثمر، فإذا أثمرت أخذ الثمرة الأولى، وقطع الشجرة من أصلها، فلم يبق بيده ثمرة، ولا شجرة. ولو أنه استبقى الشجرة، ولم يزل يسقيها، لنمت وأعرقت، ودامت ثمارها وكثرت. ومثله أيضاً كمثل عبدٍ وقف على باب ملك للخدمة، فلم يزل يرتقى بأدبه وحسن خدمته، حتى صار من جلسائه، فلما حصل فى مجلسه، جعل يحرق أثواب الملك، ويوسخ بها فراشه، ألا يستوجب الطرد والعقوبة؟ ولو أنه عقل لكان يزيد أدبه وخدمته الملك فى حضرته أضعافاً مضاعفة على ما كان عليه من قبل.

وأما قول اللعين للسالك: إنك قد صرت فى عين الجمع، والعبادات المتنوعات تخرجك عما أنت

فيه. فاعلم– وفقك الله– أن الجمع عبارة عن تجلى نور الحق لقلب عبده، وهذا لا يكون على الدوام، وأكثر مايرد هذا الوارد على أهل الله وأحدهم فى صلاة أو تلاوة أو ذكر، كما بلغنا عن الإمام على ابن الحسين، أنه احترق بيته وهو يصلى فلم يشعر. وقطعت رجل أحدهم وهو فى الصلاة فلم يحس.

وفى العبادات وتنوعها كالصلاة من القيام، والركوع، والسجود، وغير ذلك سر لطيف، وهو أن مظاهر الصفات والأسماء الإلهية متنوعة. ويكون كل نوع من المعاملات الدينية قالبا لمظهر من المظاهر الربانية، فلا يستوفى العارف جميع المظاهر الإلهية، حتى يقوم بجميع أنواع العبادات.

وقد قال المحققون: من كان له مع الله حال، يفقده فى حال المعاملة، ويجده إذا تركها، فهو مخدوع ممكور به، وإن مشى على الماء وطار فى الهواء. ومن وجد حاله مع الله فى العبادات، وفقده فى العادات، فهو غير متمكن.

وبيان ذلك أن حركات المحقق وسكناته، فى ظاهره وباطنه كلها عبادة؛ لأنه لا يدخل فى شىء من المباحات إلا بنيّة صالحة.

هذا حال صاحب البقا، وهو بعد الفنا. وقد يُستَغرق الفانى فى حال فنائه بربه، فلا يحس بنفسه، ولا بشىء من الكائنات. وهذا الوارد إذا ورد لا يبقى طويلا، فإن اتّفق فوات شىء من المكتوبات بسببه، فقد كانوا يقضونه إذا فاقوا، كما بلغنا عن الربيع بن خيثم، أنه سمع قارئا يقرأ فخرّ مغشياً عليه، فمكث ثلاثة أيام، فلما سرى عنه قضى مافاته من الصلاة. وصاحب هذا الحال لا يأكل ولا يشرب، وإنما يكون كالثوب الملقى.

وأما من ظهر له شىء من الحقائق، فتلف بسببها عقله، فصار فاقد التمييز، كالأطفال والمجانين، فغير معدود من أهل الكمال، وإياه يعنُون بقولهم: من كان فى الله تلفه فعلى الله خلفه.

ومن الكمال عند أهل الكمال: أن لاتشغلهم العبادات عن العادات، ولا تحجبهم عن المعبود؛ فقد كان منهم من يسهر ويطوى الليالى والأيام المتتابعات الكثيرات، ولا يؤثر ذلك فيهم شيئا.

ومثل الذى يدعى أن العبادات تورثه الحجاب عن الله، كمثل الذى يقول: إن الملك متى خدمته وتأدبت بين يديه حجبك عن مشاهدته، فهل شىء من الحماقات أعظم من هذا.

وكان عليه السلام يقوم من الليل حتى تورمت قدماه.. ونودى بالصلاة فى مرضه، الذى مات فيه، فأمر بماء يوضع له ليتوضأ فأغمى عليه ثم أفاق، فأمر به، فأغمى عليه. ثم أفاق، فأمر به، ثم أغمى عليه، فلما أفاق، أمر أبا بكر أن يؤم الناس..

وقد كان عليه السلام، يحب أن يعمل بالعمل من البر، فما يمنعه إلا مخافة أن يفرض علينا، هكذا روى عنه. فما أشفقه علينا، وأرحمه بنا، وأحرصه على هدايتنا، وإنقاذنا من عذاب الله ﷺ، وجزاه عنا أفضل ماجزى نبيا عن أمته.

ولنختم هذه الرسالة، بذكر شيء يسير من أفعال هذه الطائفة، وأقوالهم وأحوالهم الدالة على تعظيم الشريعة، وعلى المحافظة على نوافلها، فضلا عن فرائضها، وأنهم كانوا معروفين بذلك مشهودين به من سائر الطوائف.

فمن ذلك مابلغنا عن أبى يزيد، أنه قصد إلى زيارة رجل يذكر بالصلاح، فانتظره فى مسجد، وخرج الرجل فألقى نخامة فى المسجد، فرجع الشيخ ولم يجتمع به، وقال: « لايؤمن على أسرار الله من لم يحافظ على آداب الشرع.» وقال « هممت أن أسأل ربى أن يكفينى مؤنة النساء، ثم قلت: إن رسول الله ﷺ، لم يسأل ذلك فتركته، وكفانى الله مؤنتهن، حتى لا أبالى أستقبلتنى امرأة أو حائط.»

وسجَنَ السلطانُ ذا النون، فأدخلت له امرأة صالحة طعاماً، يعلم حمله على يد السجان، فردَّه واعتذر إليها بأنه وصله على يد ظالم.

وكان يقول: « للعارف ثلاث علامات: أن لا يطفيء نور معرفته نور ورعه، وأن لا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عايه ظاهر من الحكم، وأن لا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارمه. »

وكان إبراهيم بن أدهم يحرس بستانا لبعض الأغنياء فخرج صاحب البستان إليه، وقال له: « هات شيئا من الفواكه الحلوة »، فجاءه بشيء حامض، فقال له: « أنت البستانى منذ زمان ولا تفرق بين الحامض والحلو؟ » فقال: « يا هذا إنى لم أذق من فاكهة بستانك شيئا. »

وكان إبراهيم الخواص به داء الإسهال، فكان كلما أحدث توضأ، فاتفق أنه توضأ فى ليلة أكثر من سبعين مرة، وفى آخرها قام ليتوضأ فخرجت نفسه وهو فى الماء.

ورُئى الجنيد وفى يده سبحة، فقيل له: « مثلك يحمل السبحة! » فقال: « طريق وصلنا به إلى الله لانتركه ». ودخل عليه إنسان وهو فى الموت، فسمعه يختم القرآن، فقال: « ياشيخ فى مثل هذا الحال تقرأ »، فقال: « ومن أولى بذلك منى، وهو ذا تطوى صحيفتى ». وقال الجنيد: « لو أقبل مقبل على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان الذى فاته أكثر من الذى حصل له. »

ومر روَيم فى بعض شوارع بغداد وهو عطشان، فاستسقى من بعض الدور، فخرجت إليه صبيّة بماء، فلما رأته قالت: « صوفى يشرب بالنهار! » فلم يفطر بعد ذلك حتى خرج من الدنيا.

وسئل صاحب للشبلى: «كيف كانت محافظته على الشريعة؟» فقال: « أشار على أن وضأنى للصلاة، وهو فى النزع، وقد أمسك لسانه، فنسيت أن أخلل لحيته، فأخذ بيدى فأدخلها فى لحيته. »

ولما حضرت الوفاة خيراً النسّاج سمعوه يقول: « قف عافاك الله حتى أصلى، فإن الذى أُمرتُ به يفوتنى، والذى أمرتَ به لا يفوتك »، ثم قام للصلاة فصلى، فلما سلَّم خرجت روحه. رحمهم الله ورحمنا بهم، ورزقنا متابعتهم، والاهتداء بهديهم، وجمع بيننا وبينهم فى دار كرامته.

وهذه يا محمد نصيحتى لك، وقد أديت فرضاً فرضه الله علىّ، فإن سمعت وأطعت، وقبلت النصح، وتركت ما أنت عليه، وقضيت مافوتّه من الصلاة والصيام، وانشرح صدرك لذلك، فأبشر فقد أحسنت إلى نفسك، وعسى الله أن يغفر ماسلف، وما ذلك على الله بعزيز.

وإن تماديت فى الجهالة، وأبيت إلا الإصرار على البطالة، والعكوف على الضلالة، فعلى الله حسابك، وإليه إيابك. وما ربك بظلام للعبيد. ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إن الله لغنى عن العالمين. واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ماكسبت، وهم لا يظلمون. إن وعد الله حق، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عَمِىَ فعليها وما أنا عليكم بحفيظ. تُقْية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين. لقد أبلغتكم رسالة ربى، ونصحت لكم. فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. والسلام على من اتبع الهدى.

الفصل السادس عشر

مؤلفـاته

انتشرت مؤلفات الإمام الحداد فى الأمة انتشاراً كبيراً، وكان لها أثر بالغ فى جذب القلوب إلى الحق، وتهذيب النفوس والإجابة على التساؤلات التى كثيراً ماتدور بأذهان طلبة العلم.

وقد أوتى الإمام وفرة العلم، والعقل، والحكمة، وقوة الحفظ، فجاء قوله فصلاً وبيانه شافياً كافياً.

وقد طبعت مؤلفاته مراراً فى مختلف بلدان العالم الإسلامى وغير الإسلامى، وتُرجم بعضها إلى اللغات الملايوية. والإنكليزية، والسواحلية.

وقد عنى بصبعها فى القاهرة مفتى الديار المصرية السابق، وعضو جماعة كبار العلماء بها، الشيخ حسنين محمد مخلوف العدوى، رحمه الله، وجزاه عن الإسلام خيراً. كان الشيخ حسنين عالماً عاملاً، صالحاً، محباً لله ورسوله وأهل البيت والعلماء، رأى اجتماع شرفى العلم والنسب فى السادة العلويين، وحسن سيرتهم واستقامتهم على الطريقة المثلى؛ فسعى فى خدمة مؤلفاتهم، واختص منها مؤلفات الإمام الحداد بزيادة عناية. وكان، رحمه الله، يسهر الليلة تلو الليلة يراجع الكتب، ويطابقها بالأصول قبل صباعتها؛ فجاءت تلك الكتب التى أشرف على طباعتها فى أحسن صورة، وأبهى حلة، وانتفع بها الجم الغفير من الناس، وأعيدت طباعتها عدة مرات، إلا أن هذه الطبعات نفذت بمجرد صدورها، فهى لذلك عزيزة الوجود.

ولقد بدأ الإمام الحداد فى التأليف حوالى سنة ١٠٦٩ هجرية وذلك برسالة وجيزة سماها « **رسالة المذاكرة مع الإخوان والمحبين من أهل الخير والدين** »، وفيها تعريف لمعنى التقوى، وترغيب فى سلوك طريق الآخرة، وتزهيد فى الفانية. وهذه الرسالة– مع صغر حجمها– لها أثر عظيم فى تنوير القلوب،

وتحريك الهمم.

وفى رمضان من عام ١٠٧١ هجرية، أتم « **رسالة آداب سلوك المريد** » وهى أيضا وجيزة، وفيها كل ماينبغى للمريد الالتزام به؛ من الآداب، والأعمال الظاهرة، والباطنة.

والمريد هو الطالب لله والدار الآخرة، وقد قال عنه الإمام، فى الفصل الأول من هذه الرسالة: «اعلم أن أول الطريق باعث قوى، يُقذَف فى القلب، يزعجه ويقلقه، ويحثه على الإقبال على الله والدار الآخرة، وعلى الإعراض عن الدنيا، وعما الخلق مشغولون به من عمارتها، وجمعها، والتمتع بشهواتها، والاغترار بزخارفها. وهذا الباعث من جنود الله الباطنة، وهو من نفحات العناية... »

والكثير من الناس، إذا ذكر لهم مثل هذا الكلام، ظنوا أن معنى الإعراض عن الدنيا، وطلب الآخرة هو إهمال ما على المرء أن يقوم به من عمل، ورعاية لأسرته، والقيام بواجباته الاجتماعية، وذلك فهم خاطىء؛ فإن معنى الإعراض عن الدنيا أن لا يتعلق بها قلبه، ولا تشغله عن ربه، وذلك مع الإحسان فى العمل، وعدم التقصير فى أىٍّ من الواجبات الشرعية تجاه الوالدين، والأقربين، والذرية والجيران وخلافه. ولذلك قال الإمام فى نفس الرسالة: « واعلم أنه لا يتعين على الإنسان، إذا أراد الدخول فى طريق الله، أن يخرج عن ماله إن كان له مال، ولا يترك حرفته، ولا تجارته إن كان محترفا أو متْجِر، بل الذى يتعين عليه تقوى الله فيما هو فيه، والإجمال فى الطلب بحيث لا يترك فريضة ولا نافلة، ولا يقع فى محرم ولا فضول لا يصلح الاستعانة به فى طريق الله. »

وقد ختم الإمام الرسالة ببعض أوصاف المريد، والظاهر أنها أوصاف أولئك الذين قطعوا شوطا لابأس به فى هذا الطريق، وإلا فأنّى للمبتدئين أن يتخلقوا بمثل هذه الأوصاف. يقول الإمام، عن المُريد: «شعاره الخشوع والوقار، ودثاره التواضع والانكسار. يتبع الحق ويؤثره، ويرفض الباطل وينكره. يحب الأخيار ويواليهم، ويبغض الأشرار ويعاديهم.. لسانه عن كل مالا يعنيه مخزون، وقلبه على تقصيره فى طاعة ربه محزون. لايداهن فى الدين، ولايُرضِى المخلوقين بسخط رب العالمين. يأنس بالوحدة والانفراد، ويستوحش من مخالطة العباد. لا تلقاه إلا على خير يعمله، أو علم يعلمه. يرجى خيره ولايخشى شره، لايؤذى من آذاه، ولايجفو من جفاه. كالنخلة ترمى بالحجر، فترمى بالرطب.. »

وفى إحدى رحلات الإمام إلى وادى « دوعن » زاره الشيخ العلامة « عبد الرحمن باعباد الشبامى» ومعه عدّة أسئلة، فأجابه فيما سماه « **إتحَاف السّائل بأجوبة المسَائل** »، وذلك سنة ١٠٧٢ هجرية، وعمره حينئذٍ ثمانى وعشرون سنة. وأضاف إليها شرحاً لقصيدة عظيمة للإمام أبى بكر العيدروس العدنى. وقد أوردنا شيئاً من هذه الرسالة؛ مما يخص علوم التوحيد فى الفصل الخامس عشر.

أما كتاب « **النّصائح الدينية والوصَايا الإيمانية** »، فهو أكبر كتبه حجماً، وأعظمها نفعاً. ألّف مايقرب من نصفه، أى إلى باب الحج، قبل سفره إلى الحجاز، وقرىء عليه فى مكة، وفى الحرم النبوى الشريف، أمام المواجهة الشريفة، ثم شرع فى إكماله بعد عودته إلى « تريم »، وأتمه فى شهر شعبان من عام ١٠٨٩ هجرية. وهو مؤلف جامع لكل الفضائل الظاهرة والباطنة، قال عنه الإمام: «مقصودنا فى كتاب النصائح أن يكون سلساً واضحاً، يفهمه كل من نظر فيه له فهم ويكتفى به، فإن يكتفِ وإلا يكن متشوقاً إلى أبسط منه (أى إلى ماهو أكبر وأكثر تفصيلاً منه) وقد سماه بعضُهم «حاء الإحياء ».

وقال الإمام: (« قال لنا بعض علماء الحرمين لما وقف على كتابنا النصائح: هذا الكتاب عين الإحياء. فقلنا له: الأمر كما رأيت. »). وقال الشيخ « حسنين مخلوف »، رحمه الله، فى مقدمة الطبعة التى صدرت بالقاهرة عام ١٣٨١ هجرية: « .. وكان مؤلفاً واضحاً فى عبارته، قوياً فى أسلوبه، محققاً فى بحثه، موفقاً فى نقله، واضح الحجة، باهر المحجة، فيّاضاً فى البيان. يدعم بحثه بآيات من القرآن، والأحاديث النبوية، والأقوال المأثورة عن الأئمة. وينتزع من دخائل النفوس، ووساوس الصدور، كل شبهة. ويعالج كل نزعة، حتى لا يُبقِى مقالاً لقائل، ولا جواباً لسائل. »

ورُوِى عن السيد الفاضل « عقيل باعقيل » أنه قال: « حججت سنة من السنين، وحج تلك السنة مفتى الشام، والذى إليه الرجوع فى جهته؛ فخرج أهل مكة فى عراضه، واجتمع الناس إليه بالحرم الشريف. فجئت إليه فى جملتهم؛ فأول شيء سمعته منه أنه قال: « ماعلى وجه الأرض اليوم أعلم من السيد عبد الله الحداد، وله كتاب « النصائح » عظيم القدر. ومامن طالب علم فى جهتنا إلا وقد حصّل له منه نسخة » أما « **رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين فى سلوك طريق**

الآخرة » فقد تمت سنة ١٠٦٩ هجرية. وهى رسالة جامعة، جاء فيها بجملة مايجب على المسلم الالتزام به من الفرائض، والسُّنن، والفضائل، والأخلاق. ومايجب عليه الاحتراز منه مما يدخل الخلل إلى عباداته ومعاملاته. والفصول الأخيرة فيها شرح لمقامات اليقين التسع، وقد اعتمدنا عليها فى الفصل السابع من هذا الكتاب.

يلى ذلك كتاب « **سبيل الادّكار والاعتبار، بما يمر بالإنسان وينقضى له من الأعمار**.» أتم تأليفه عند بلوغه السبع والستين من العمر، وذلك سنة ١١١٠ هجرية. وقد صدَّرَ له الشيخ « حسنين مخلوف » رحمه الله، بقوله: « وبعد، فإن من خير ما وقفنا عليه، ووفقنا إليه من ذخائر شيخ الإسلام وحجة الأنام الإمام عبد الله بن علوى بن محمد الحداد العلوى الحضرمى الشافعى، نفع الله به، هذه الرسالة النادرة القيمة المسماة: « سبيل الادّكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضى له من الأعمار » المتضمنة بيان مايعتوره من شئون وأطوار فى أعماره الخمسة التى:

أولها: تقلبه منذ البداية فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات قبل مولده.

ثانيها: مدة حياته من حين مولده إلى مماته.

ثالثها: مدّة بقائه بعد موته فى البرزخ إلى يوم البعث.

رابعها: مدة بقائه فى المحشر بعد البعث إلى فصل القضاء.

خامسها: حياته بدار القرار فى نعيم الجنان، أو سعير النيران.

وقد بين- نفع الله به- فى كل عمر من هذه الأعمار ماللإنسان فيه من شئون وأطوار، مستنداً إلى ماورد فى ذلك من دلائل وآثار، بياناً وافياً سهلاً واضحاً، يشرح الصدور، ويشع فيها النور، ويهديها إلى الحق واليقين، ويقيها التردى فى حمأة الظلمات والضلال المبين. وعقب كل عمر بخاتمة جليلة، تتصل به وتنبنى عليه. »

أما كتاب « **الدعوة التامة والتذكرة العامة** » الذى تم تأليفه فى شهر محرم من عام ١١١٤ هجرية فهو عن الدعوة، وكيفيتها، والدعاة وصفاتهم. وقد أوردنا شيئاً مما فيه مجملاً فى فصل « الدين والمجتمع » وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٩٧ هجرية. وقال الشيخ « حسنين مخلوف » فى مقدمته: « وهو

كالنصائح: ذخيرة إسلامية ثمينة لا يستغنى عنها عالم ولا متعلم، ولا داعٍ إلى الله ومرشدٍ.» ثم أعاد طباعته المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

وأما كتاب « **الفصول العلمية والأصول الحكمية** » فقد أُلِّفَ على مدى سنين طويلة. وأظهر منه الإمام مايقرب من نصفه استجابة لطلب السيد أحمد بن زين الحبشى، ثم أكمله أربعين فصلاً سنة ١١٣٠ هجرية، وفيه من الفوائد مالا يستغنى عنه الطالب الصادق. فقد أوضح الإمام فيه- كما لم يفعله أحد ممن سبقه- الكثير من الأمور التى تشكل على طلبة العلم؛ ومنها على سبيل المثال: أنواع العلوم، وكيفية اختيار الأصلح. وقد قدم له الشيخ حسنين مخلوف- رحمه الله تعالى- قائلا: (الحمد لله الذى قدر فهدى، والصلاة والسلام على نبى الهدى، وعلى آله وأصحابه، ومن بسنته اهتدى:

أما بعد، فقد قرأت للإمام الحجة، العالم العامل، الداعى إلى الله: قطب الدعوة والإرشاد، الحبيب السيد عبد الله بن علوى بن محمد الحداد، رسالةً موجزةً فى آداب سلوك المريد، أملاها فى سنة ١٠٧١ هجرية. ثم رسالة أخرى تشتمل على « فصول علمية، وأصول حكمية »؛ فوجدت فيها علماً غزيراً، وإشراقاً ونوراً يستضىء به السائر، ويهتدى به الحائر، فى بيان سلس سهل، وأسلوب رصين جزل، تشفى الصدور حقائقه، وتمتع النفوس رقائقه، يروض العصىّ الجامح ويدنيه من مهيع السلف الصالح. فما يكاد يتم قراءتهما حتى يستنير قلبه بالهدى، ويكشف عن ناظره الغطا؛ فإذا فكره سديد، وبصره حديد، وعمله حميد. وإذا هو يرتع فى رياض زهراء، ومغان فيحاء، رفيقاً للذين سبقت لهم من ربهم الحسنى: فكانوا بالله عن الخلق أغنياء، وبإخلاص العمل لله أصفياء، وبصدق الحال سعداء، وللسائرين إلى الله أَدُلاَّء.

أولئك هم سلف هذه الأمة، التى جعلها الله وسطاً بين الأمم. أخلصهم لوراثة رسوله المجتبى، وحمل أمانة دينه المرتضى، والدعوة إلى الحق والهدى؛ فكانوا أعلام الهداية، وأئمة الدين، وقدوة المتقين.

وكان من رحمة الله بهذه الأمة أن هيأ لها على رأس كل قرن طائفة منها؛ على غرار أولئك الأسلاف الهداة، يدعون بدعوتهم، ويجددون ما درس أو كاد من آثارهم. وينصحون لله ولرسوله،

ولكتابه ولأئمة المسلمين، وعامتهم؛ نصحاً بليغاً واعظاً حتى يبقى الخير فيها إلى ما شاء الله أن يبقى.
ومن هؤلاء حجة الإسلام أبو حامد الغزالى، رضى الله عنه، المولود فى القرن الخامس الهجرى، وصاحب الرسالتين الإمام عبد الله بن علوى الحداد رحمه الله، المولود فى القرن الحادى عشر.. »

وقد جمع السيد أحمد بن زين الحبشى من مكاتبات الإمام الحداد ما يقرب من المائة وسبعين من الإجابات على أسئلة متنوعة أرسلت إلى الإمام على مر السنين، وأطلق الإمام على هذا الكتاب «**النفائس العلوية فى المسائل الصوفية**.». وكل المؤلفات المذكورة أعيد طبعها ببيروت سَنَتَىّ ١٤١٢ و١٤١٣ هجرية.

وللإمام الحداد « **المجموع** »؛ المحتَوِى على مكاتباته، وديوان شعره ووصاياه وحكمه. وقد طُبِعَ كلٌّ منها على حدة، المكاتبات فى جزءَين كبيرين، والديوان فى عدة طبعات، والوصايا والحكم فى مجموع رسائله؛ مع سائر الرسائل فى جزءَين طُبِعَا بالقاهرة. والوصايا ثمانية، أولها سنة ١٠٧١ هجرية وآخرها سنة ١١٠٧ هجرية، وبعضها غير مؤرخ؛ وأولها ما كتبه للسيد أبى الوفا بن محمد الوفائى المصرى، ومنها ما كتبه لأخيه عمر بن علوى الحداد.

وأما « **الحكَم** » فهى مجموع من كلامه العجيب؛ يبلغ ما يقرب من العشرين صفحة. وقد شرحها الشيخ العلامة المحدث « محمد حياة السندى المدنى » صاحب الحاشية على البخارى، كما شرحها الحبيب العالم « طه بن عمر بن علوى » ابن أخى الإمام الحداد. ولا يزال الشرح الأول مخطوطاً بدار الكتب المصرية، وأما الثانى فالظاهر أنه فُقِد.

وأما ديوان شعره المسمّى: « **الدُّر المنظوم لذوى العقول والفهوم**.» فهو بحر لا ينضب من العلوم والمواعظ والرقائق والدعوات. وقد أودع فيه الإمام الكثير من حكمته، وكان لا يظهر القصيدة التى يلهمها إلا بعد مرور أيام على نظمها؛ فإن ثبتت فى ذاكرته علم أنه مأذون بإظهارها، وإن نسى بعضها أو كلها علم أنه ليس ثَمّ إذْنٌ؛ فلم يظهرها. ولا تزال قصائد الإمام تنشد فى مشارق الأرض ومغاربها؛ لما فيها من تحريك للقلوب والهمم، وحب لله ورسوله، والشوق إلى الحرمين الشريفين؛ ولما فيها من النصائح والمواعظ والتحذير من المهلكات، والأمور المبعدات، ولما يشم منها من عبير العوالم العلوية

والحضرات الربانية.

وقد شرح بعض القصائد الحبيب « أحمد بن زين الحبشى » جزاه الله خيراً. وأكبر هذه الشروح شرح العينيّة وقد طبع فى مصر وفى الشام وأخيراً فى سنغافورة. وشرَحَ السيد « على بن عيسى الحداد» حفيد الإمام قصيدةَ أحبتنا بنَجْدٍ والصفيح، شرحاً طبع فى سنغافورة سنة ١٣٩٧ هجرية. وللإمام الحبيب « أحمد بن أبى بكر بن سميط » شرح على الرائيّة، سماه « منهل الوراد ». وله شروح على قصائد أخرى للإمام، منها: اللامية وأحبتنا بنجد. وللحبيب « علوى بن أحمد »، شرح على قصيدة «وصيتى لك ياذا الفضل والأدب »، و« للحبيب محمد بن زين بن سميط » شرح على قصيدة «يارب يا عالم الحال. »

وقد جمعت أوراد الإمام وصلواته فى كتيب سمى « **وسيلة العباد إلى زاد المعاد** » طبع طبعات عديدة. كما طبع « **الورد اللطيف** » و« **الراتب الشهير** » كل على انفراد فى كينيا، والباكستان، وبريطانيا، وأخيراً فى مصر. وقد شرح « **الورد الكبير** »، و« **الورد اللطيف** »، و« **الراتب الشهير** »، العلامة الشيخ « عبد الله باسودان ». وكذلك شرحهما السيد العارف بالله « فضل بن علوى جمل الليل العلوى »، وطبع شرحه باسطنبول سنة ١٣١٧ هجرية، ثم فى القاهرة سنة ١٣٨٠ هجرية. وهناك شرحان للحبيب « علوى بن أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد » يطبع أحدهما الآن– وهو الكبير– فى سنغافورة.

وللإمام تخميس على القصيدة المضرية للإمام البوصيرى. وهذا التخميس ليس فى ديوانه المطبوع، ولكنه فى كتاب « **سبيل المهتدين** » فى ذكر أدعية أصحاب اليمين. الذى طبع ثلاث طبعات بالقاهرة، آخرها سنة ١٣٩٩ هجرية.

أما كتاب « **تثبيت الفؤاد بذكر كلام القطب الإمام عبد الله بن علوى الحداد** » فهو مجموع كلامه الذى دونه الشيخ أحمد الشجار وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٨١م. تحت إشراف الحبيب على بن عيسى الحداد، الوارد ذكره فى آخر هذا الكتاب.

الفصل السابع عشر

وفــاتـــه

قال الشيخ « أحمد الشجار » صاحب **تثبيت الفؤاد**: « لم يزل سيدنا رضى الله عنه مواظباً على عوائده كلها، من حضور الصلوات، وترتيب الأوراد، ومجالس القرآن فى البكر والعشيات، إلى عشية يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١١٣٢ هجرية، وقد حصل معه بعض الألم، وكان ذلك يعاوده. ومع بداية هذا المرض لم يتمكن من الخروج للصلوات والدروس كما كان دأبه، ولكن صار خروجه متقطعا، كلما أحس بشىء من العافية والقوة خرج، إلى أن صار– بتزايد المرض عليه– لايتمكن من الخروج البتة، وبدأ الناس يتزاحمون على بابه يريدون عيادته... »

وجاءه، ضحى يوم العيد، السيد « زين العابدين العيدروس »، وأخوه، فقال لهما يباسطهما: «سبب ذلك بعد تقدير الله، فيما ظهر لى، التقصير فى بعض الأمور، كالتأديب، وذلك أنى خرجت إلى السادة آل فقيه يلة الأربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان، وقد كان النبى ﷺ، يترك أمور الدنيا فى هذه الأيام (يعنى العشرة الأواخر) وكان ﷺ يعتكف فيها، ولا يبيت فيها عند أحد من نسائه كعادته، ولكن فعلنا ذلك استمراراً على إجراء الحقوق والإقامة بالجبر من غير داعية لشىء، ولا عاد معى طلب لشىء ..» وكان خروجه إلى منزل السادة « آل فقيه » لأنه كانت له زوجة عندهم.

ثم ذكر لهم رؤيا رأى فيها السيد « على بن عبد الله العيدروس » بعد وفاته، وأوَّلَها بأنه قريب اللحوق به، وقد ذكر الشيخ « الشجار » أن أكثر إشارات الإمام بقرب وفاته كانت سنة ١١٢٨ هجرية.

وبقى الإمام أياماً لا يسمح للناس بالدخول عليه، وقد يسمح لهم لفترات وجيزة فيصافحهم، ويدعو لهم. وفى الثامن من شوال بعد أن رأى أن الناس قد اجتمعوا بعد العصر كما اجتمعوا فى الأيام

الماضية، أمر بدخولهم وهو متكلف لهم، وصافحوه لكنه بقى مضطجعاً فوق السرير، ومكثوا عنده قليلا، ثم قرأ الفاتحة، وقال: « قولوا لهم: بالقلوب. »، أى أن الاستيداع منه يكون بالقلوب، لا مصافحةً باليد.

وظل بعد ذلك لايستقبل إلا الخواص من أصحابه حتى كان الثامن عشر من شوال، وكثر الطامعين، فى الزيارة فأرسل إليهم قائلا: « أما أنا فلست متكلفا لأجلكم الجلوس ولا أريدكم تدخلون على وأنا مضطجع، فادعوا لى وأنا أدعو لكم. »

ولما دخل عليه « الشجار » فى الثانى من ذى القعدة، وجد بدنه ووجهه لا لحم فيه بل جلداً على عظم. وكان الحبيب قد قال لولده « الحسن » قبل عشرين سنة: « أشتهى أنى يوم أموت، أموت ولا فى جسمى مزعة لحم.». وكان فى مرضه كثيراً مايذكر حديث: [كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.] وكان فى آخر مرضه، يقول: « يامحمد ياأحمد.. ». وكان فى الأيام الأخيرة كثيراً مايرفع يديه ثم يقبضهما تحت صدره، كهيئة المحرم للصلاة، ثم يضع كفه على ركبته قابضاً أصابعه ورافعاً المسبحة، كهيئة التشهد.

وفى اليوم الأربعين من مرضه، ولما بلغ من العمر ثمانى وثمانين سنة وتسعة أشهر إلا ثلاثة أيام، وفى ليلة الثلاثاء، سابع ذى القعدة من سنة ١١٣٢ هجرية انتقل الإمام إلى الدار الآخرة، ببيته الذى فى « الحاوى ».

ولم يُعْلِمُوا أحداً بموته إلا بعد الفجر. حينئذٍ أرسلوا إلى المساجد فى البلاد ليقرءُوا له الفاتحة، ليشتهر موته فيعلمه من يريد الصلاة عليه. ولم يعلموا أهل البيت من النساء والصغار بذلك، ولا أحد من جماعة الحاوى، إلا بعد أن صلّوا الصبح وصلى بهم ابنه السيد « علوى »، ثم قال لمرتب الفواتح: « اقرأ الفاتحة لحبيبك » فضج المسجد بالبكاء. ولما سمع أهل الدار من النساء ضجة أهل المسجد ضججن بأجمعهن، ثم توافد الناس على « الحاوى » حتى امتلأ بهم المصلى والسطح والسلم والحوش وما حول البيت. وبدأوا فى الغسل وقت الضحى، وقام بذلك ابنه السيد « الحبسن » وساعده أحد أصهاره، ولما صلوا العصر صلوا عليه صلاة الجنازة، ثم حملوه فى النعش؛ والناس يتنافسون على

حمله. ولم يبلغوا المقبرة إلا قرب اصفرار الشمس من شدة الزحام. ومافرغوا من الدفن إلا بعد الغروب. ثم نصبوا على قبره خيمته الكبيرة التى كان ينصبها فى زيارته لنبى الله « هود » عليه السلام، وجلس تحتها الذين يقرءُون القرآن، إذ أن عادة أهل « حضرموت » القراءة على القبر ثلاثة أيام. ولم تمضِ ساعة من ليل أو نهار إلا ويفِدُ أناسٌ لم يشهدوا الصلاة عليه، فيصلون على القبر ويدعون لأنفسهم وله، ويترضون عنه ويترحمون عليه.

وأما عن محل قبره؛ فقد أخبر السيد الفاضل « على عيديد » أنه كان قد صحب الإمام عبد الله فى إحدى زياراته لمقبرة « بشار »، وذلك قبل وفاته بسنوات عدّة، فلما خرج من قبة الشيخ « عبد الله العيدروس » خطا خطوات إلى الموضع الذى أصبح فيما بعده مرقده، فوقف فيه وقال: « بسم الله، ربِّ انزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المُنْزِلين. »

وقد تُوفى للإمام كثير من الأولاد فى حياته، وخلف بعد وفاته ستة من الذكور وأربعةً من الإناث. وقام السيدان، «علوى » و« الحسن » مقام والدهما فى تدريس العلوم، وإطعام الفقراء والمساكين، وإيواء الغرباء، وإيناس الوافدين.

الفصل الثامن عشر

آل الحـــداد
من وفاة الإمام إلى اليوم

كان للإمام عبد الله الحداد من الأبناء: « محمد »، و« سالم »، و« علوى »، و« الحسن »، و«الحسين »، و« زين العابدين »، وكلهم أولياء صالحون، وكذلك ذريتهم. أما الحبيب « محمد » فتوفى بالمخا باليمن. والحبيب « علوى » توفى بمكة، ودفن بالمعلا. والحبيب « زين العابدين » تُوفى بعمان؛ وله ضريح يزار. أما الباقون فبتريم الغنّاء، وأولاد جميع هؤلاء وأحفادهم ذُكِرُوا فى التراجم، وعُرِفوا بالصلاح؛ فمنهم- كما قال جدهم الإمام عبد الله الحداد- الظاهر المشهور، ومنهم الخامل المستور، ويحتاج إحصاؤهم إلى المجلدات، ومنهم من ذكرت سيرته باختصار، ومنهم من أُلِّفَتْ فى مناقبه المجلداتُ.

ولما كان الغرض من هذا الفصل إنما هو إظهار سريان أسرار العلوم والولاية فى هذه الذرية المباركة إلى يومنا هذا، فقد اقتصرنا على ذكر من تيسر الوقوف على شيء من ترجمته ومناقبه. وسوف نذكر كذلك الحبيب « عمر بن علوى الحداد » وهو شقيق الإمام « عبد الله الحداد » وتلميذه، تربى عليه وسلك على يديه، وجاء من ذريته الأئمة والفحول من الرجال؛ ويعرف نسله اليوم من السادة « آل الحداد »، « بآل عمر ». كما يُعرف نسل الإمام « الحداد » « بآل عبد الله ». وقد تولى صدارة بيت الحداد بعد انتقال الإمام ولده الحبيب « الحسن ». وسوف نبدأ لذلك بذكره وذريته، ثم نتلوهم بأخيه الحبيب « علوى بن عبد الله » وذريته، ثم بذكر السيد العلامة « عبد الله بن حسين بن عبد الله الحداد »، ثم « بآل عمر ».

آل عبد الله

الإمام الحسن بن عبد الله الحداد وذريته: (١٠٩٩ – ١١٨٨هـ)

ولد الإمام « الحسن بن عبد الله » أول ليلة من شهر رجب سنة ١٠٩٩ هجرية، بعد صلاة العشاء والناس في مسجد والده يقرءون الراتب؛ فلما سمع الإمام « عبد الله » صوت المولود، قال: « وُلِدَ صاحبُ الحاوى ». وتوفى الإمام « عبد الله» بعد ذلك بثلاث وثلاثين سنة؛ فخلفه الإمام « الحسن » فى إقامة مجالس العلم، وإكرام الضيف، وتربية المريدين. وكان الإمام « الحسن » يقول: « أُنْسِى فى عبادة خالقى ومن الصغر أترك كل مايلهى ورائى. »

شب الإمام « الحسن » على طلب العلم حتى صارت إليه السيادة فى عصره فى العلوم الشرعية؛ من تفسير وحديث وسيرة وفقه؛ وفى العلوم الأدبية، واللغوية، والنحوية، وكذلك فى التصوف، وعلوم الحقيقة. قرأ « إحياء علوم الدين » أربعين مرة وقُرِىء عليه مراتٍ عديدةً؛ منها عشر قراءات لولده «أحمد »، الذى قَرَأ عليه كذلك سائر كتب الإمام « الغزالى »، والإمام « الحداد »، وكتب الحديث الستة، والجامع الكبير والصغير للسيوطى، وسائر كتب « السيوطى » وتفسير « الرازى »، وتفسير «البغوى »– قيل أنه قرأه ست أو سبع مراتٍ– والكثير جداً من كتب الفقه، والسيرة، والنحو وخلافه. وكانت والدة الحبيب « أحمد بن الحسن » الشريفةُ « سلمى » ابنة العارف بالله « حامد بن علوى المنفر ». وكانت سليمة القلب إذا حضر عندها أكبر كبير واغتاب أحدا من الناس ولو بكلمة زجرته. وكانت زاهدة فى الدنيا؛ أنفقت كل ما ورثته فى أوجه الخير، ثم اتبعت ذلك بحليها؛ فباعتها ورضى منها زوجها أن تنفق من بيته كيفما شاءت لما علم منها ذلك.

وقد قال الإمام الحسن: « إنى من حال الصغر لما سمعت الوالد عبد الله الحداد يقول لى ولإخوتى: ما رأيتمونى أفعله من العبادات والعادات افعلوه، إلا كثرة التزويج، لا تفعلوه لأنى مأمور بذلك. قال: فمنذ سمعتُ ذلك من والدى عزمت على أن لا أملك فى عقدى من النساء إلا واحدة،

وكنت فى كل ركعة مفروضة وسُّنة؛ أدعو الله أن يرزقنى امرأةً صالحةً عابدة ميمونة قانتة، كاملة العقل والدين، ولوداً ودوداً، وتطول حياتها؛ فرزقنى الله ذلك ». وقال عنها: « من يوم أخذتها ماسمعت منها كلمة واحدة غير مليحة إلا مرة واحدة..» وكان لسانها لايفتر عن ذكر الله، تطيل الصلاة جداً وخصوصاً السجود. قالت بعض بناتها: « إنى أتعجب من والدتى إذا مرض مريض منا أو مات لم تنزعج لذلك مثل النساء. »

وكان الإمام « الحسن بن عبد الله »، مهيباً لا يكاد أحد يطيق النظر إلى وجهه؛ حتى أن بعض أحفاده قال: « إنى ربيت فى بيت سيدى الحسن، ربانى والإخوان والجميع، فى حجره وتحت نظره، فوالله إنى لم أقدر أن أحدق النظر فى وجهه من هيبته. »

توفى رضى الله عنه، ليلة الخميس السابع والعشرين من رمضان سنة ١١٨٨ هجرية، بعد أن عاش على السُّنة المحمدية، والطريقة الحدادية، التى سلك والده عليها؛ فكان ملازماً لذلك أشد الملازمة، ويأمر بذلك جميع من أخذ عنه. ومنهم ولده السيد الإمام « أحمد بن الحسن » الذى خلّفه فى كل ما كان يقوم به. وقد ألف فى مناقبه حفيدُه الحبيب « علوى بن أحمد » كتابَ « المواهب والمنن فى مناقب قطب الزمن الحسن »

الحبيب أحمد بن الحسن: (١١٢٧ – ١٢٠٤هـ)

ولد فى ٢٧ شوال سنة ١١٢٧ هجرية ونشأ على منوال أبيه وجده؛ فنبغ فى العلوم كلها، وكان جده الإمام « عبدالله » قد بشر والدته أيام حملت به قائلا: « حملت بعالم تريم ». قال العلامة «محمد بانافع »: « نحن وقت البلوغ أنا والحبيب الشيخ أحمد، نطالع فى الكتب النافعة؛ خصوصا الفقه، مع حدة الطلب من بعد صلاة العشاء مع الجماعة وقراءة الراتب إلى طلوع الفجر. »

وقال له ولده الحبيب « علوى بن أحمد » ذات مرة: « إن سيدى الحسن يقول: من سن التمييز ما أعرف أنى صليت إلا مع الجماعة فى أول الوقت بلا عجلة، ولا نمت على جنابة، ولا تركت صلاة التسبيح كل ليلة مع قيام الليل، ولا تركت الاستخارة فى كل أمر. » فأجابه الحبيب أحمد: « وأنا

كذلك مانمت أبداً على جنابة، ولا صليت منفردا.» وكان الحبيب أحمد مواظبا على جميع ما رأى والده عليه، من ملازمة عبادات وأوراد، وعادات الإمام عبد الله الحداد. ولما حج سنة ١١٧٥ هجرية، ضرب المركب الذى كان به على جبل فى البحر الأحمر، وغرق أكثر الركاب، وتعلق الحبيب أحمد ومن معه بأخشاب المركب، وظلوا هكذا خمسة أيام وظهرت كرامات كثيرة. وبقى الحبيب ثابتاً فى هذه الأهوال؛ فلم يترك فرض صلاة، بل كان يتوضأ ويصلى بالإيماء. ولما خرج من ميناء « القنفدة » مركب لإنقاذ من بقى منهم؛ أمرهم الحبيب أن يطلعوا الجميع، وكان هو آخر من طلع.

وللحبيب « أحمد بن الحسن » الكثير من المؤلفات منها: « سفينة الأرباح »؛ جمع فيها جملة من العلوم المفيدة، فى ثلاثة أجزاء، و« القول الصواب »، وهو مجموع فتاوى فقهية، و« سبيل الهداية والإرشاد »، وهو شرح على راتب الحداد، و« بغية المحتاج إلى معرفة مناسك المعتمر والحاج ». وقد هذّب كتاب « تثبيت الفؤاد » الذى جمعه الشيخ « أحمد الشجار » من كلام الإمام الحداد، فجمع الحبيب « أحمد » كل كلام مع ما يوافقه. وله عدة مؤلفات أخرى. توفى رضى الله عنه بالحاوى فى السابع والعشرين من رجب سنة ١٢٠٤ هجرية.

الحبيب عمر بن أحمد بن حسن: (١١٥٩هـ – تاريخ وفاته غير معلوم)

أكبر أولاد الحبيب « أحمد بن حسن ». ولد بحاوى « تريم » فى شعبان ١١٥٩ هجرية وتربى على جده ووالده وكانا يحبانه حباً كثيراً. وقد أجازه جدُّه للتدريس فى حياته. وقد أخذ عن علماء وقته؛ ومنهم الحبيب العلامة « عمر بن زين بن سميط » والحبيب العلامة « حامد بن عمر حامد » وغيرهما. وكان والده لا يدعه يفارقه لسفر ولا لغيره إلا لحجة الإسلام سنة ١١٩٦ هجرية. وكان الحبيب « عمر » آية فى السخاء والبذل للمال، ولم يترك عادة أو عبادة مما كان عليه أسلافه، إلا وقام بها خير قيام. وصار بعد وفاة والده هو المقدم على إخوانه والقائم فى مقام الإمام « عبد الله الحداد »، وإخوانه معاونون له؛ فسلكوا نهج أسلافهم فى التدريس، والإنفاق، وعمارة الأوقات، وإيواء القاصدين، والضيافات المعتادة، والوعظ، والإرشاد، ورعاية طلبة العلم.

وكان للحبيب « عمر » فصاحة فى المنطق، وسخاوة فى النفس، لا يبالى بالدنيا أقبلت أم أدبرت، يكره الشهرة والظهور، ولا تأخذه فى الله لومة لائم. وله- رحمه الله- رسائل ووصايا عديدة مفيدة. وله أجوبة على مسائل فقهية، وله نظم حسن. وإلى الآن لم يُطْبع من هذه شيء، وقد ترجم له أخوه «علوى » فى « المواهب والمنن »، وذلك أثناء حياته فلم يذكر تاريخ وفاته.

الحبيب علوى بن أحمد بن حسن: (١١٦٣- ١٢٣٢هـ)

السيد الإمام العارف بالله، بحر العلوم الجهبذ، ولد « بتريم » فى الثانى عشر من رمضان سنة ١١٦٣هجرية، وتربَّى على جده ووالده. سماه جده علويا، باسم أخيه الحبيب « علوى » بن الإمام «عبد الله الحداد »؛ فكانت تذكر عن الحبيب « علوى بن عبد الله » أشياءً لاحظها الحبيب « علوى بن أحمد » فى نفسه، فيما بعد، منها أنه إذا توجه بصدق نيّة تيسرت الأمور بسرعة، وإذا استغرق فى الدعاء ينسى ماحوله، ولايحس بما يقع.

ختم الحبيب « علوى » القرآن، وقرأ فى العلوم النافعة على الطريقة المعروفة عند السادة. يقول الحبيب « علوى » فى كتابه « المواهب والمنن »: « تربينا فى حجر الأكابر، السادة الأطهار، أُولِي المعرفة والاستبصار حتى خوفونا من النار، ورجونا بالجنة، وعرفونا حقوق القهّار وسُنّة سيدنا النبى المختار، قبل أن نقرأ ونكتب ونتعلم... »

سافر إلى الحرمين الشريفين واليمن وعمان وبلاد فارس. وأخذ عن جملة من علماء وقته فى اليمن وحضر موت والحجاز. له من المؤلفات ما ينيف على المائة. وهو أكثر السادة العلويين تأليفاً فيما بلغنا، والعلم عند الله. ومن مؤلفاته: « المواهب والمنن فى مناقب قطب الزمن الحسن » و« أحسن القول والخطاب فى بيان أفضلية الأصحاب » و« الواضحات الأدلة فى أحكام الأهلة » و« السيف والسنان لمن حكم الفلك والهندسة على مذهب ابن عدنان » و« القول التام فى دعوة العوام » و«القول الواف فى معرفة القاف » و« الإفادة فى عد من تصح منهم الجمعة بلا إعادة ».

تُوفى رضى الله عنه بالحاوى، فى ربيع الأول سنة ١٢٣٢ هجرية.

الحبيب على بن حسن بن حسين بن أحمد بن حسن: (١٢٣٨- ١٣٠٩هـ)

وُلد بحاوى « تريم »، وأخذ عن والده أخذاً تاماً، وعن جملة من علماء وقته، ثم خلف أبيه فى القيام بالمنصبة الحدادية، فقام بها أتم قيام. تتلمذ على يديه جملةٌ من الأفاضل، منهم ولده العلامة الحبيب « عبد الله بن على »، والسيد العالم « عبد القادر بن أحمد الحداد »، والحبيب العلامة « أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب ».

الحبيب عبد الله بن على بن حسن: (١٢٦١- ١٣٣١هـ)

العلامة العامل، الفاضل الزاهد، المتقشف، ذو العزلة والخلوة والرياضة. ولد بحاوى « تريم »، ونشأ فى كنف أبيه وجده، وعليهما كان جُلُّ أخذه وانتفاعه. سافر إلى الحرمين الشريفين، وجاور فيهما مدةً، ثم إلى « أندونيسيا » حيث وافته المنيّة. وكان ممن أخذ عنه الحبيب العلامة « محمد بن أحمد المحضار » و« على بن عبد الرحمن الحبشى » والإمام الحبيب « أحمد بن محسن الهدّار.».

الحبيب علوى بن الإمام عبد الله الحداد، وذريته:

كان من التواضع بمكان، وعلى قدم من السلوك والعبادة والتبتل والزهد. وكان فى حياة والده كثير الملازمة له، لايكاد يفارقه ساعةً من ليل أو نهار. ولما كَبُرَ والدُه فى السّن، واضطر إلى أن يصلى جالساً؛ قدَّمه فى إمامة الصلاة. وكان يميل إلى العزلة والإعراض عما الناس فيه، ولذلك قدّم أخاه «الحسن »- مع كونه أصغر سناً- بعد وفاة والدهما، واكتفى بالتدريس بالجلوس بعد العصر، يقرأ طلبة العلم عليه فى كتب القوم.

توفى رضى الله عنه « بمكة » ودفن « بالمَعلا » بعد وفاة والده بنحو عشرين سنة.

الحبيب عمر بن أبى بكر الحداد: (١١٨٥ - ١٢٥٣هـ)

ولد بحاوى « تريم »، وتُوفى والده بعد مولده بسنة، فتربى على جده الإمام « على بن علوى بن عبد الله الحداد » وعلى السيد الجليل الإمام « أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد ». تزو «قيدون » واستقر بها، وقام بوظيفة الإمامة فى مسجد الشيخ « سعيد بن عيسى العمودى ». وسار على نهج أسلافه من تقسيم أوقاته بين العبادات، والتدريس، والدعوة إلى الله. وكان على قدم من الزهد؛ فظل حتى وفاته بقيدون نازلاً فى بيت استأجره، ولم يمتلك لنفسه داراً، ولم يضع لبنة على لبنة. وقد ذكروا له من الأولاد، السيدين: « أبى بكر » و« علوى ». وكانا من العلماء العاملين، وتوفيا بمكة ودفنا فيها، والسيد الإمام الكبير « طاهر بن عمر ».

الحبيب طاهر بن عمر الحداد: (١٢٤٩ - ١٣١٩ هـ)

ولد بقيدون وتوفى والده وهو صغير؛ فتربى على أخيه العالم الإمام « علوى بن عمر » ووالدته الصالحة « علوية » بنت الحبيب العارف بالله « محمد بن أبى بكر بافقيه ». حفظ القرآن والمتون فى صغره، وجالَسَ العلماء والعارفين، ومنهم الحبيب « أحمد بن عمر بن سميط »، وكان من تلاميذ والده.

طلبه أهل بلده للقيام بوظيفة الإمامة فى مسجد الشيخ « سعيد بن عيسى العمودى »، فقبل وجلس فى هذا المسجد للتدريس والدعوة. وكان لا يخلو نَفَسٌ من أنفاسه، ولا لحظة من لحظاته، من طاعة. وكان يقول: « بركة الأوقات فى توزيعها »، وكان ممن إذا قيل له: « إنك ميت غداً »، لم يجد موضعاً للزيادة على ماهو عليه من الإقبال على الآخرة والاشتغال بالأعمال الصالحة. وكان ممن لا تذكر الدنيا ولا الغيبة فى مجلسه وإن وقعت فلتة من أحد أسكته، وأمره بقراءة الإخلاص ثلاثاً، وهبةُ ثوابها لمن اغتابه.

وكان على درجة عظيمة من الحلم والعفو والصفح والسماحة والزهد والورع والتواضع. وكان

يدعو إلى الله، ويعلم الجاهل، ويعين الفقير والسائل، ويرتب العطايا فى المواسم والأوقات الشريفة- كرمضان وعرفة وعاشوراء وغيرها- للأرامل والأيتام من أهل بلده. وكان يكرم الضيف إكراما كبيرا، ويسعى فى الإصلاح بين الناس.

وقد أخبر بعض السادة من آل الشيخ « أبى بكر بن سالم » الحبيب « أحمد بن محمد المحضار » أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فى صورة الحبيب « طاهر بن عمر » فقال له: «إن الحبيب ﷺ إذا أحب أحداً من أولاده يُرَى على صورته.» وأضاف مؤلف « قرة الناظر »: « صفة الحبيب طاهر كصفته ﷺ؛ رَبعُ القامةِ، أبيض اللون، كث اللحية. »

وتأثر الحبيب « طاهر » كثيرا بوفاة ولده محمد سنة ١٣١٦ هجرية، إذ كان يحبه حباً جمّاً ويحترمه ويعظمه وتوفى بعده بثلاث سنوات، وكان آخر ماقاله: « يا أرحم الراحمين يا حى يا قيوم. »، ثم أخذ يهلل حتى فاضت روحه الشريفة.

الحبيب محمد بن طاهر الحداد: (١٢٧٣- ١٣١٦هـ)

ولد « بقيدون » ورأى والده ليلة ولد النبى ﷺ، يقول له: « ولد لك الليلة ولد واسمه محمد الطاهر وشيبة الحمد.» فسماه محمداً، بعد أن كانت نيته أن يسميه « عمرَ » على اسم أبيه. ووجدت فى رأس المولود شعرة بيضاء.

حفظ القرآن فى ستة أشهر، وكان يحفظ كذلك فى « الإرشاد » و « ألفيّة بن مالك »، من غير أن يطلع والده على ذلك، خوفا من أن يمنعه من حفظهما حتى يتم القرآن. جمع العلوم ومنها المنطق والبيان والمعانى، واشتهر بين الناس بالصلاح والأخلاق النبوية، وكان كريما جوّاداً. وكانت جميع قضايا « دوعن » ومحاكماته ومشكلاته ترد إليه كأن لم يكن هناك والياً ولا حاكماً سواه. وكان يتباسط مع الناس، ويؤنسهم، ويعرض عما يصدر من الأجلاف من سوء أدب. وكان يلاطف المبتدئين من طلبة العلم ويجود عليهم بالعطايا.

رحل إلى الحجاز سنة ١٣٠٥ هجرية، وعمره يومئذٍ اثنتان وثلاثون سنة. وقد صار من الأئمة الدعاة

البارزين، الذين يتخرج عليهم العلماء والأولياء، ويقتدى بهم العوام والخواص. فلما وصل إلى «مكة» أخذ يبسط الموائد كل يوم يأكل عليها الستون أو السبعون نفراً. وأطلق العطايا على أهل الأربطة والعلماء، ومشايخ الحرم، وطلبة العلم. وحضر مجلسه العلماء من جميع المذاهب. وكان يجلس للناس، حتى إذا ذهبوا، أخذ يطالع ويقرأ حتى يسكن الخلق، فيخرج فيطوف وقد يجلس فى مواجهة الكعبة، آخر الليل. ولما خرج بعد الحج إلى المدينة أمر أصحابه بإكراء جَمَلٍ لكل ضعيف يرونه من المشاة. وكان يمد المائدة للركب، وينادى فى القافلة يدعو الجميع إليها. وفى المدينة المنورة استمر على نهجه المعهود فى إطعام الطعام وبذل العطايا والهبات للعلماء والصالحين وطلبة العلم والفقراء والمساكين؛ كلٌّ على قدره، وكان أكثر ذلك سراً. وكذلك كل نفقاته وصدقاته فى الحرمين وغيرهما كانت سرا، لا يظهر منها إلا القليل.

وكان رضى الله عنه كثير الأسفار والتنقلات. سافر إلى « الهند » مع شيخه الحبيب « محسن بن عمر العطاس » سنة ١٢٩٣ هجرية، وظل بها عدة أشهر وسافر إلى « إندونيسيا » عام ١٢٩٨هجرية، ثم إلى « الهند » ثانية سنة ١٣١٢ هجرية ثم سنة ١٣١٥ هجرية، ثم إلى « إندونيسيا ».

وكانت زيارته الثانية للحرمين سنة ١٣١٨ هجرية، وبعدها عاد إلى « إندونيسيا » ليتوفى بها عن اثنتين وأربعين سنة، أعطاه الله فيها من الأعمال الصالحة، والهمة فى الدعوة والإرشاد، والتوفيق فى ذلك كله، مالا يطمع كبار الصالحين فى تحقيقه فى أضعاف هذا العمر. وخلفه ولده الصالح الإمام الحبيب « علوى بن محمد بن طاهر الحداد ».

الحبيب علوى بن محمد بن طاهر: (١٢٩٩-١٣٧٣هـ)

ولد بقيدون، وبها طلب العلم وأخذ عن والده وجده وكثير من أئمة عصره، كالسادة: « أحمد بن حسن العطاس » و« عيدروس بن عمر الحبشى » و« على بن محمد الحبشى »و« عبد الرحمن بن محمد المشهور »، وغيرهم. وسار على نهج آبائه، من التخلق بالأخلاق النبوية، والتمسك بالسيرة السلفية. سافر إلى « إندونيسيا »، واستقر بها. وكان مثالا للعالم العامل؛ فجعل الله له فيها الصدارة

والزعامة وقصده طلبة العلم وأصحاب الحاجات، فلم يزالوا يجدوه كريماً سخياً جواداً سمحاً رحيماً، حتى توفاه الله بمدينة « بوقور » بإندونيسيا فى شهر المحرم من عام ١٣٧٣ هجرية.

الحبيب عبد الله بن حسين بن الإمام عبد الله الحداد: (١١٥٥ – ١٢١٧هـ)

وُلد بحاوى « تريم »، وأخذ عن عمه الإمام « الحسن بن عبد الله » وابن عمه الإمام « أحمد بن حسن » وعن الكثير من أهل طبقتهم، ثم تنقل فى الأمصار داعياً ومرشداً، إلى أن استقر به المطاف بأرض « الهند »، وظل بها حتى وفاته.

ومن أبرز آثاره، قيامه ببناء زاوية جده الإمام الحداد، بشِعْب « جياد » من بلد الله الحرام، فأنفق على عمارتها الكثير من ماله الخاص، وذلك فى عهد الشريف « سرور بن مساعد » والى مكة.

وممن عرفناهم وعاصرناهم من ذرية الحبيب الحسن بن عبد الله؛ السيد العالم الفقيه « على بن عيسى بن عبد القادر الحداد » صاحب « سنغافورة ». وقد قام السيد « على » بجهد كبير فى طباعة ونشر مؤلفات جده الإمام « الحداد ». كما أن له من المؤلفات كتاب « نور البصيرة » وقد طبع فى مصر، و« إثارة الوجد، شرح أحبتنا بنجد » وهو شرح قصيدة الإمام الحداد التى مطلعها: أحبتنا بنجد والصفيح.. توفى رحمه الله سنة ١٤١٠ هجرية.

وكذلك أكرمنا الله، عز وجل، بلقاء السيد الفاضل، العالم، الفقيه، « عبد الله بن محفوظ الحداد»، صاحب المؤلَّف القيّم « السُّنّة والبدعة »، والمقيم بالمكلا من أرض « حضرموت ». تخرج فى كلية أصول الدين بالخرطوم، وأخذ عن الكثير من أكابر وقته، وتولى رئاسة القضاء بحضرموت إلى أن آثر الاستقالة، لعدم قبوله لتدخل الحكومة الشيوعية حينئذٍ فى شئون القضاء، ثم تولى التدريس بكلية التربية بالمكلا، والخطابة فى جامع « عمر ».

نسأله تعالى أن يمد فى عمره فى خير وعافية، وينفع به.

آل عمر بن علوى بن محمد

كان السيد « عمر بن علوى » شقيق الإمام عبد الله الأصغر. ولد بتريم وتربى بأخيه الإمام، وله منه وصية أملاها الإمام سنة ١٠٧٥ هجرية بالتماس منه، وقال له فيها: « لا تتعلق بالخلق ولا تعتمد عليهم، فإنهم لا يملكون مع الله ضراً ولا نفعاً ولا عطاً ولا منعاً. من أحسن إليك منهم؛ فاشكر الله، ثم اشكره. ومن أساء إليك منهم، فكِل أمره إلى الله ولا تكافئه بإساءته. ولا تقل، ولا تسمع، ولا تنظر، إلا خيراً. وكن سليم الصدر لجميع المسلمين، لا تضمر فى نفسك حقداً، ولا حسداً، ولا غشاً، ولا بغضاً لأحد منهم؛ المحسن منهم له إحسانه، والمسيء عليه إساءته ...» إلى أن قال: « كن صالحاً حتى يتولاك، وإذا تولاك فلا تحتاج لأحدٍ من الخلق.». توفى الحبيب « عمر » بتريم، وخلف ستة من الذكور.

الحبيب عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه؛ المشهور بالهدّار: (١٢١٨– ١٢٩٤هـ)

قال صاحب « **نور الأبصار** »: « اشتهر بالهدّار من زجله بالأذكار؛ وهديره عند ورود الأحوال بالأذكار، ولد بحاوى « خلع راشد » المعروف اليوم « بحوطة أحمد بن زين » عام ١٢١٨ هجرية وتوفى بها سنة ١٢٩٤ هجرية يوم الأحد أو الإثنين غرة ربيع الأول، وتربى تحت كنف أبيه ونشأ على سمت الهدى والرشاد، وكمال الإقبال والاستعداد. تلوح على وجهه آثار السعادة، ويفوح من عبير شمائله أرج السيادة. قرأ القرآن، وحفظه عن ظهر قلب، ومكث بشبام ثلاث سنين فى سبيل إجادة حفظه، وضبط تجويده ولفظه..» وكذلك قرأ بها المختصرات الفقهية والأدبية، كما هو دأب أمثاله من السادة العلويين، وكما هو دأبهم. رحل لطلب العلوم النافعة؛ فسار إلى « تريم » و« سيون » و«المسيلة» و« شبام » و« دوعن » و« زبيد » و« الحجاز »، وغيرها. ثم جاءته العناية الرّبانية، وتواترت عليه الواردات، وكان يكثر من شرب الماء، وقد قال العارفون إن الله تجلى عليه بأسماء الجلال، ولذلك

التجلى حرارة تدفعه إلى الإكثار من شرب الماء. خلف سبعة من الأولاد الذكور وهم: « محمد » و«حسن » و« عمر » و« على » و« طه » و« طاهر » و« صالح ».

الحبيب عبد الله بن طاهر: (١٢٩٦ - ١٣٦٧هـ)

ولد بقيدون عام ١٢٩٦ هجرية، كان عالما فقيها داعيا ناصحا صوفيا عارفا. أقام هو وأخوه السيد «علوى رباط العلم » بقيدون. ثم بحوطة الحبيب « أحمد بن زين الحبشى »، ثم عاد إلى « قيدون » وأخذ عن أكابر العلماء العارفين، ومنهم من بيت الحداد؛ عمه الحبيب « صالح بن عبد الله ». كما أخذ عن الحبيب « طاهر بن عمر » ثم الحبيب « محمد بن طاهر الحداد »، وسافر معه إلى « الهند » سنة ١٣١٢ هجرية ولازمه، وقرأ عليه كتباً كثيرة، وسافر معه إلى « الهند » ثانية، ثم إلى « أندونيسيا»، ثم عاد إلى « قيدون »، ثم سافر إلى « أندونيسيا » سنة ١٣١٦ هجرية وبقى بها إلى سنة ١٣٢١ هجرية، حيث أخذ عن أكابر السادة والعلماء هنالك. ثم عاد إلى « قيدون » ولازم مع أخيه « علوى» الحبيبَ « أحمد بن حسن العطاس »، حج سنة ١٣٢٤ هجرية، ثم سافر مع أخيه « علوى » إلى «أندونيسيا » سنة ١٣٢٨ هجرية، ثم رجعا وأقاما الرباط بقيدون وكان للحبيب « عبد الله بن طاهر » الفضل الأكبر فى مشروع جلب الماء العذب إلى مدينة « قيدون » من عين تبعد عنها مسافة ليست بالقليلة. حج أربع حجات وله مؤلفات عديدة منها؛ « قرة الناظر فى مناقب الحبيب محمد بن طاهر » وديوان شعر. توفى بقيدون سنة ١٣٦٧ هجرية.

الحبيب علوى بن طاهر (١٣٠١ - ١٣٨٢هـ)

ولد عام ١٣٠١هجرية بقيدون، روُى عنه أنه طالع « إحياء علوم الدين » كله وهو لم يجاوز الثانية عشرة من عمره، وحفظ القرآن وألفيّة ابن مالك معاً فى ثلاثة أشهر! ووهب الله له الذكاء اللامع، والفهم الثاقب، والحفظ السريع. وتصدر للتدريس وللوعظ والإرشاد قبل أن يبلغ العشرين من العمر، أخذ عمن ذكرنا ومن لم نذكر من مشائخ أخيه الحبيب « عبد الله بن طاهر ». برع فى التفسير

والحديث والفقه والتصوف والأدب والتاريخ وعلوم الفلك والفلسفة، ترجم له الكثر من العلماء.

سافر إلى سواحل شرق أفريقيا والحبشة واليمن والحرمين الشريفين واندونيسيا داعياً إلى الله، ناشراً للعلم. سعى فى بناء جامع « أديس أبابا » ومسجد آخر فى « دردوه » بالحبشة، وكان من الداعين إلى إقامة مدرسة « بازرعة » بعدن. وكان من أعضاء جمعية الخير القائمة فى بناء المدارس بإندونيسيا، وفى جمعية الرابطة العلوية. ثم تولى وظيفة الإفتاء فى سلطنة « جوهور » « بماليزيا »؛ حيث يقتضى الدستور أن يكون مفتى البلاد من السادة العلويين، وظل بها حتى توفى سنة ١٣٨٢هجرية. ألّف أكثر من ستين كتاباً؛ أهمها: « القول الفصل فيما لبنى هاشم والعرب من الفضل » و« الشامل فى تاريخ حضرموت » و« الطبقات العلوية » و« عقود الألماس فى مناقب الحبيب أحمد بن حسن العطاس » و«المدخل إلى تاريخ دخول الإسلام إلى جزائر الشرق الأقصى » وغيرها.

الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد: (١٣٢٥هـ-)

الإمام العلامة الداعى إلى الله والموصل إليه، بقية السلف وسيد الخلف، ولد بقيدون حوالى سنة ١٣٢٥هجرية وكان والده قد سافر إلى « إندونيسيا » قبل ميلاده.

والدته الشريفة « صفية » ابنة الإمام العظيم الحبيب « طاهر بن عمر الحداد »، وكانت حافظة للقرآن، وموصوفة من أكابر عصرها بالصلاح والولاية.

ألحقته الحبابة « صفية »، رضى الله عنها، برباط العلم بقيدون؛ حيث حفظ القرآن، ثم أخذ أخذاً تاماً عن الإمامين اللذين أنشآ الرباط: الحبيب « عبد الله »، والحبيب « علوى » ابْنَىّ طاهر بن عبد الله الهدار الحداد »، فدرس علوم العربية، وفقه الإمام الشافعى، والتفسير، والحديث، والتصوف والأصول، والتاريخ، وغير ذلك.

استصحبه الحبيب « علوى بن طاهر » إلى « إندونيسيا »، وهو دون العشرين. وهناك أخذ عن جملة من العلماء من السادة العلويين وغيرهم، منهم العلامة العارف بالله الحبيب « محمد بن أحمد المحضار » والحبيب « عبد الله بن محسن العطاس » والحبيب « علوى بن محمد بن طاهر الحداد ».

وبعد عودته إلى « قيدون » قام بالتدريس فى الرّباط فترة، ثم رحل إلى شرق إفريقيا؛ يدعو إلى الله. وأقام ببلدة « ممباسا »، وهى الميناء الرئيسى لكينيا، ومنها قام برحلات عديدة فى البرارى، والأدغال، التى يأبى سائر الدعاة التوغل فيها. حتى أنه وصل إلى بلاد الأقزام بأدغال « الكونغو »، وأمضى أكثر من ثلاثة عشر عاماً بأوغندا. وأثمرت دعوته فيها؛ فاعتنق الإسلام نحو الستين ألفاً من الإفريقيين، بحسب أحد التعدادات، وذلك فترة إقامته بها. أما الآن فقد تكاثروا وتناسلوا، وتضاعف العدد أضعافاً كثيرة. وقد سعى الحبيب «أحمد مشهور» فى بناء الكثير من المساجد، والمدارس، والمعاهد الدينية فى هذه النواحى. ولا يزال منزله فى « ممباسا » قبلة للقاصدين، ومركز إشعاع للدعوة المحمدية ولنشر السُّنة والحرب على البدعة.

وللحبيب أحمد مشهور مؤلفات منها. « مفتاح الجنة »، ومجموعة من الفتاوَى، وشرح لمنظومة الشيخ « سعيد بن نبهان » « الدرة اليتيمة فى النحو » و« السبحة الثمينة نظم مسائل السفينة »، وديوان شِعر لا يزال مخطوطاً، وخطب ومكاتبات.

نسأل الله- عز وجل- أن يطيل للمسلمين فى عمره المبارك، فى خير ولطفٍ وعافية؛ فإن الزمان شحيح بأمثاله. وأن يجزيه عنا وعن الأمة بأسرها خير الجزاء، آمين.

وهذا آخر ما أحببنا إيراده من التراجم المختصرة للسادة الكرام من آل الحداد، وإن كنا لم نذكر الكثيرين من أكابرهم أمثال الحبيب « عبد الله بن الحسن » والحبيب « عمر بن حسن » والحبيب «صالح بن عبد الله الحداد »؛ فما ذلك إلا لعدم توفر المصادر الضرورية لدينا. ونرجو أن يكون فيمن ذكرناهم ما يؤدى الغرض المقصود.

وبهذا يكون قد تم كتاب « **الإمام الحداد مجدد القرن الثانى عشر** » وذلك فى الثالث من جمادى الأولى من عام ١٤١٣ هجرية.

ملحق الكتاب

ملحق الكتاب

ا / ثَبْت الآيات القرآنية الكريمة.

ب / تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

جـ / فهرس تراجم الأعلام.

١ / ثَبْت الآيات القرآنية الكريمة

الفصل الأول

- ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس.. ﴾ سورة الأحزاب، آية: ٣٣
- ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله.. ﴾ سورة البقرة، آية: ٢٥٦
- ﴿ فمن حاجّك فيه.. ﴾ آل عمران، آية: ٦١
- ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون.. ﴾ الأعراف، آية: ١٣٠
- ﴿ ولقد جاء آل فرعون.. ﴾ القمر، آية: ٤١
- ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً.. ﴾ غافر، آية: ٤٦
- ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً.. ﴾ الشورى، الآية: ٢٣

الفصل الثاني

- ﴿ إن أكرمكم عند الله.. ﴾ الحجرات، آية: ١٣
- ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة.. ﴾ فصلت، آية: ٣٤
- ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً.. ﴾ السجدة، آية: ١٨
- ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون.. ﴾ الزمر، آية: ٩
- ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً.. ﴾ آل عمران، آية: ٣٣
- ﴿ وإذ ابتلى إبرٰهيم ربه.. ﴾ البقرة، آية: ١٢٤
- ﴿ وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب .. ﴾ العنكبوت، آية: ٢٧
- ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك.. ﴾ آل عمران، آية: ٤٢
- ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس.. ﴾ سورة الأحزاب، آية: ٣٣
- ﴿ وإن تصبهم حسنة.. ﴾ النساء، آية: ٧٨
- ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله.. ﴾ النساء، آية: ٧٩
- ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق.. ﴾ يونس، آية: ١٠٨
- ﴿ ومن يضلل اللهُ فما له من هادٍ.. ﴾ الزمر، آية: ٢٣

- ﴿ وما أدرى ما يفعل بى.. ﴾ الأحقاف، آية: ٩
- ﴿ يانساء النبى من يأت منكن.. ﴾ الأحزاب، الآيتان: ٣٠، ٣١
- ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً.. ﴾ الشورى، آية: ٢٣
- ﴿ وكان تحته كنز لهما.. ﴾ الكهف، آية: ٨٢

الفصل الخامس

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر.. ﴾ البقرة، آية: ١٥٣
- ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف.. ﴾ البقرة، الآيات: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧
- ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى.. ﴾ الأعراف، آية: ١٣٧
- ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا.. ﴾ السجدة، آية: ٢٤
- ﴿ إنما يوفى الصابرون.. ﴾ الزمر، آية: ١٠
- ﴿ واصبر على ما أصابك.. ﴾ لقمان، آية: ١٧
- ﴿ لايملكون مثقال ذرة.. ﴾ سبأ، آية: ٢٢
- ﴿ قل لا أملك لنفسى.. ﴾ يونس، آية: ٤٩
- ﴿ عليهم صلوات من ربهم ورحمة.. ﴾ البقرة، الآيتان: ١٥٦، ١٥٧

الفصل السادس

- ﴿ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى.. ﴾ الكهف، آية: ٢٨

الفصل السابع

- ﴿ وما خلقت الجنَّ والإنْسَ إلا ليعبدُون.. ﴾ الذاريات، آية: ٥٦
- ﴿ إذ قال موسى لأهله إنى آنست ناراً.. ﴾ النمل، آية: ٧
- ﴿ قل إن كنتم تحبون الله.. ﴾ آل عمران، آية: ٣١

الفصل التاسع

- ﴿ ومن أحسن قولاً.. ﴾ فصّلت، آية: ٣٣

الفصل العاشر

- ﴿ السابقون السابقون أولئك المقربون.. ﴾ الواقعة، الآيات: ٩، ١٠، ١١
- ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة.. ﴾ الحج، الآيتان: ١ : ٢
- ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً.. ﴾ لقمان، آية: ٣٣
- ﴿ والعصر إن الإنسان.. ﴾ سورة العصر
- ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم.. ﴾ إبراهيم، آية: ٧
- ﴿ يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملتْ.. ﴾ آل عمران، آية: ٣٠
- ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين.. ﴾ التوبة، آية: ٦٠
- ﴿ ولينصرن الله من ينصُره.. ﴾ الحج، آية: ٤٠
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله.. ﴾ الأنفال، آية: ٢٩
- ﴿ إن تنصُروا اللّهَ ينصركم.. ﴾ محمد، آية: ٧
- ﴿ فلا تهِنُوا وتدعوا إلى السَّلم.. ﴾ محمد، آية: ٣٥

الفصل الثاني عشر

- ﴿ إنّا صببْنَا المَاءَ صبًّا.. ﴾ عبس، آية: ٢٥
- ﴿ رب لاتذَرْني فرداً.. ﴾ الأنبياء، آية: ٨٩

الفصل الثالث عشر

- ﴿ ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين.. ﴾ المؤمنون، آية: ٩٧
- ﴿ قل اللهم مالك الملك.. ﴾ آل عمران، آية: ٢٦
- ﴿ وما أبرِّىء نفسي.. ﴾ يوسف، آية: ٥٣

الفصل الرابع عشر

- ﴿ إن الله لا يغير مابقوم حتى.. ﴾ الرعد، آية: ١١
- ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب.. ﴾ فاطر، آية: ١٠
- ﴿ ومن أعرض عن ذكرى.. ﴾ طه، الآيات: ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦

- ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى.. ﴾ البقرة، آية: ١٢٥
- ﴿ من المؤمنين رجال.. ﴾ الأحزاب، آية: ٢٣
- ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم.. ﴾ الأنفال، آية: ٤٨
- ﴿ سنريهم أياتنا فى الآفاق.. ﴾ فصلت، آية: ٥٣
- ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون.. ﴾ الذاريات، آية: ٢١

الفصل الخامس عشر

- ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف.. ﴾ الأعراف، آية: ٢٠١
- ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم.. ﴾ الإسراء، الآيتان: ٦٣، ٦٤

ب / تخريج الأحاديث النبوية الشريفة

الفصل الأول

- (ألا إن مثل أهل بيتى..) رواه الحاكم فى المستدرك، والطبرانى فى الكبير، وابن جرير بألفاظ متقاربة.
- (يأأيها الناس، قد تركت فيكم..) رواه الترمذى.
- (تركت فيكم أمرين..) موطأ الإمام مالك.
- (أنا مدينة العلم..) رواه الحاكم فى المستدرك.
- (علىّ مع القرآن..) المصدر السابق.
- (من سرّه أن يحيى حياتى..) رواه الطبرانى.
- (خرج النبى ﷺ، وعليه مرط..) رواه مسلم.
- (هؤلاء أهل بيتى.) رواه الحاكم فى المستدرك.
- (فاطمة بضعة منى..) رواه البخارى.
- (إنّا آل محمد..) رواه البخارى ومسلم.
- (سلمان منّا أهل البيت.) رواه الحاكم والطبرانى.
- (إن العلماء ورثة الأنبياء..) رواه أبو داود والترمذى.
- (لكلّ بَنِى أُمٍّ عُصْبَةٌ..) رواه الحاكم فى المستدرك، وأبو يعلى فى مسنده.
- (أمّا الحسن فله هيبتى..) رواه الطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم، وابن عساكر.
- (أنا سيد ولد آدم..) رواه مسلم والترمذى وأبو داود.
- (ياعلى أنت سيد فى الدنيا..) رواه الحاكم فى المستدرك.
- (ابنى هذا سيد..) رواه البخارى وأحمد والنسائى والترمذى.
- (الحسن والحسين..) رواه الحاكم فى المستدرك وابن عساكر.
- (النجوم أمان لأهل الأرض..) رواه الحاكم فى المستدرك.
- (أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَم..) رواه الترمذى والحاكم.
- (أثبتكم على الصراط..) رواه الديلمى وابن عُدَىّ.
- (أنا وفاطمة والحسن والحسين..) رواه الطبرانى وابن عساكر.

- (يابنى عبد المطلب إنى سألت الله..) رواه الحاكم فى المستدرك.
- (والذى نفسى بيده..) المصدر السابق.
- (لا يؤمن أحدُكم حتى..) رواه البخارى ومسلم.

الفصل الثانى

- (المسلمون إخوة، لافضل لأحدٍ على أحد..) رواه الطبرانى.
- (خيركم خيركم لأهله..) رواه الترمذى وابن ماجه.
- (أنا حظُّكم من الأنبياء..) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان»
- (إن الله اصطفى كنانة..) رواه مسلم والترمذى وأحمد.
- (قريش خاصة الله تعالى..) رواه ابن عساكر.
- (حبُّ قريشٍ إيمانٌ وبغضهم كفر..) رواه الطبرانى فى الأوسط.
- (يابنى كعب بن لؤى..) رواه مسلم والنسائى.
- (ما بال أقوامٍ يزعمون..) رواه ابن عساكر.
- (وعدنى ربى فى أهل بيتى..) رواه الحاكم فى المستدرك.
- (كل نسب وسبب منقطع..) المصدر السابق.
- (ويلك! قطعت عنق أخيك..) ذكره الغزالى فى «الإحياء» بلفظ: « ويحك قطعت عنق صاحبك، لو سمعها ما أفلح ». وقال الحافظ العراقى: «متفق عليه».
- (إذا مدح المؤمن..) رواه الطبرانى والحاكم.
- (الناس مستوون كأسنان المشط..) رواه الديلمى.

الفصل الرابع

- (المرء على دين خليله..) رواه أبو داود والترمذى.
- (من أصابته مصيبة..) أخرجه ابن عُدى والبيهقى والطبرانى.

الفصل السادس

- (أكمل المؤمنين إيماناً..) رواه أبو داود، وأحمد، والحاكم.

- (الساعى على الأرملة والمسكين..) رواه الشيخان بلفظ: « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله».
وزاد ابن ماجه: « وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار.»
- (كافل اليتيم له أو لغيره..) رواه مسلم.
- (إن عظم الجزاء ..) رواه ابن ماجه، والترمذى.
- (ألا أدلّك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة..) رواه الطبرانى.
- (من عادى لى ولياً..) رواه البخارى.
- (المؤمن الذى يخالط الناس..) رواه ابن ماجه.

الفصل السابع

- (إن الشيطان ليفرق..) رواه أحمد، وابن عساكر.
- (ما سلك عمر فجّاً..) رواه البخارى ومسلم.
- (إذا سألتم الله..) رواه الطبرانى.
- (أفلا أكون عبداً شكورا؟) رواه البخارى ومسلم.

الفصل العاشر

- (الدين النصيحة..) رواه مسلم.
- (يا عائشة أحسنى مجاورة نعم الله..) رواه البيهقى والخطيب والحكيم الترمذى.
- (كلكم راعٍ..) رواه البخارى ومسلم.
- (من ولى من أمر أمتى شيئاً..) رواه الطبرانى بلفظ: « من ولّى من أمور المسلمين شيئاً فلم يحطْهُم بنصيحة كما يحوط أهل بيته، فليبوأ مقعده من النار ».
- (لا زكاة فيما دون..) رواه البخارى ومسلم.
- (فإن هم أطاعوك لذلك..) رواه البخارى ومسلم.

الفصل الثالث عشر

- (اللهم رب جبريل وإسرافيل..) ذكره النووى فى الأذكار، من كتاب ابن السنى.
- (اللهم إنى أسألك رحمة من عندك..) رواه الترمذى.

– (اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك..) رواه ابن ماجه.

– (ربِّ اجعلنى مقيم الصلاة..) رواه أبو داود.

– (ربِّ أعوذ بك من وسوسة الصدر..) رواه الترمذى والبيهقى.

– (اللهم بك أحاول..) رواه أحمد.

– (ربِّ اغفرلي، وتب عليّ..) روى الترمذى وأبو داود وابن ماجه، عن ابن عمر، رضى الله عنهما: « كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد– مائة مرة: رب اغفر لى، وتب على، إنك أنت التواب الرحيم. »

– (لا إله إلا الله الملك..) ذكره الغزالى فى « الإحياء » بلفظ: (قالت عائشة رضى الله عنها: لما أراد عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعاً، وهو يومئذ ليس بمبنى، ربوة حمراء، ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال: وذكرتْ الدعاء إلى آخره.) روى الحديث عن ابن عمر مرفوعاً.

– (سبحان الله وبحمده..) أخرجه البخارى.

– (لا إله إلا أنت سبحانك..) رواه البخارى ومسلم.

– (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم..) ذكره النووى فى « الأذكار » من حديث أنس رضى الله عنه.

– (اللهم أحسن عاقبتنا..) رواه أحمد والحاكم والبيهقى.

– (سبحان ربك رب العزة..) ذكره النووى فى الأذكار عن ابن السنى.

– (اللهم اكفنى ما أهمنى من أمر آخرتى ودنياى..) رواه الطبرانى.

– (لا إله إلا الله وحده لا شريك له..) رواه البخارى ومسلم.

– (اللهم أجرنى من النار..) رواه أبو داود.

– (اللهم اقسم لنا من خشيتك..) روى الترمذى عن ابن عمر، قال: « قلّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسه، حتى يدعو بهولاء الكلمات لأصحابه، وذكر الحديث.»

الفصل الرابع عشر

– (لا تتخذوا قبرى عيداً.) رواه أبو داود.

– (من شغله ذكرى..) أخرجه الترمذى بلفظ: [من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.]

– (الدعاء مخ العبادة) رواه أبو داود والترمذى.

– (ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن.) أورده الغزالى فى « الإحياء »، وقال الحافظ العراقى: (لم أجد له أصلاً. وله شاهد من حديث: [إن لله آنية من أهل الأرض؛ وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين.]) أخرجه ابن ماجه والطبرانى.

– (لما سأل جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان..) رواه مسلم.

– (الجار قبل الدار..) أخرجه الخطيب بلفظ: [الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق، والزاد قبل الرحيل.]

– (اطلبوا الحوائج..) ابن عساكر، ولفظه: [اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجرى بالمقادير.]

– (أعدى عدوّك..) الديلمى فى « مسند الفردوس ».

– (من أخذ أموال الناس..) رواه البخارى، وابن ماجه، وأحمد.

– (أعوذ بك من الجوع..) رواه أبو داود، والنسائى.

– (إذا دخل رمضان..) رواه الشيخان: [إذا دخل شهر رمضان فُتّحت أبواب الجنة وغُلّقت أبواب النيران وصُفّدت الشياطين.]

– (إذا التقى المسلمان بسيفيهما..) رواه الشيخان، وأحمد، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه.

– (إذا التقى المسلمان فتصافحا..) أورده الشيخ « أحمد عبد الجواد » فى « جامع الأحاديث» بلفظ: [إذا التقى المسلمان فسلَّم أحدهما على صاحبه، كان أحبهما إلى الله أحسنهما بِشْراً بصاحبه، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة؛ للبادىء تسعون، وللمصافح عشر.]، وعزّاه إلى « الحكيم » و« أبى الشيخ ». وعند البزار والبيهقى: [إذا التقى المسلمان، فسلم كل واحد على صاحبه، وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة؛ للبادىء تسعون وللمصافح عشر.]... وقال النووى فى «الأذكار»: (روينا فى كتاب ابن اسنّى عن البراء بن عازب، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: [إن المسلميْن إذا التقيا، فتصافحا وتكاشرا بودٍّ ونصيحة، تناثرت خطاياهما بينهما.])

– (يُنصَب لكل غادر لواء..) رواه الشيخان، وأحمد واللفظ له.

– (من احتكر على المسلمين طعاماً..) رواه أحمد، وابن ماجه.

– (والله لا يؤمن من لا يأمن جارُه بوائقَه) أخرجه البخارى بلفظ: [لايؤمن عبدٌ حتى يأمن جارُه بوائِقَهُ.]

– (اجعل القرآن ربيع قلبى) رواه أحمد.

– (ماجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلّوا على نبيهم، إلا كان عليهم تِرَة. فإن شاء الله عذبهم، وإن شاء غفر لهم.) رواه الترمذى وابن ماجه.

– (الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام، إذا فقهوا. الناس تُبّعٌ لقريش فى هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم. تجدون من خير الناس أشر الناس كراهية لهذا الشأن، حتى يقع فيه.) متفق عليه. وروى مسلم: [الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، والأرواح

جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وماتناكر منها اختلف.]

- (من عادى لى ولياً..) رواه البخارى.

- (الملكان يناديان كل صباح..) روى البخارى: [مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ اعطِ منفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهمَّ اعطِ ممسكا تَلَفاً.]

- (غيرتان إحداهما يحبها الله..) روى أبو داود والترمذى وابن ماجه: [إن من الغيرة مايحبه الله، ومنها مايبغضه الله، فأما الغيرة التى يحب اللهُ؛ فالغيرة فى الرِّيبة. والغيرة التى يبغض الله فالغيرة فى غير ريبةٍ.]

- (الرجل يحب القوم..) جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله: كيف ترى فى رجلٍ أُحبَّ قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: [المرء مع من أحب] أخرجه البخارى ومسلم.

- (رُبَّ أشعث أغبر..) رواه أحمد ومسلم والبزّار واللفظ للبزار.

- (الرجل يطيل السفر..) رواه مسلم.

- (يشيب ابن آدم وتشب منه خصلتان..) رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه بألفاظ متقاربة.

- (ماء زمزم لما شُرِبَ له.) رواه ابن ماجه، وأحمد.

- (إن الله حمى أمتى..) رواه أحمد، والطبرانى فى « الكبير » بلفظ: [لا تجتمع أمتى على ضلالة.]، والترمذى بلفظ: [إن الله لا يجمع أمتى على ضلالة أبداً.]، وابن ماجه بلفظ: [إن أمتى لاتجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم.] والحديث له روايات أخرى كثيرة.

- (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته..) رواه الترمذى والحاكم.

- (وخالق الناس بخلق حسن.) أخرجه الترمذى بلفظ: [اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئةَ الحسنةُ تمحُهَا، وخالِقِ النّاسَ بخلقٍ حَسَنٍ.]

- (التعرض للنفحات الوارد فى الحديث.. [إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها.] رواه الطبرانى، وابن أبى الدنيا.

- (اللهم إنى أعوذ بك من التردّى..) رواه أبو داود، والنسائى.

- (إذا لقيتم المصرّين على المعاصى..) فى « الجامع الصغير » للإمام السيوطى ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه: [تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصى، والقوهم بوجوه مكفهرة، والتمسوا رضا الله بسخطهم، وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم.]

- (كفى بالمرء كذبا..) رواه مسلم.

- (من تَصدّق..) رواه أحمد.

- (لو لم تذنبوا ..) رواه مسلم، وأحمد، والحاكم، بألفاظ متقاربة.

- (يؤذن لهم « أى أهل الجنة » فى مقدار جمعة.) رواه الترمذى وابن ماجه.

- (يدخل الفقراء الجنة..) روى الترمذى، وابن ماجه، وأحمد: [يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام.]

- (أبواب الجنة ثمانية..) روى أحمد: [الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب..]

- (عن معنى الزيادة فى العمر الواردة فى بعض الأحاديث..) روى الشيخان: [من سرّه أن يُبسط له فى رزقه، وأن يُنسأ له فى أثره « أى يؤخر له فى أجله » فليصلْ رحمه]. وروى البزّار والحاكم: [مكتوب فى التوراة: من أحب أن يُزاد له فى عمره، ويُزاد فى رزقه فليصل رحمه.]

- (المرء مع من أَحب.) متفق عليه.

- (قل هو الله أحد ثلث القرآن..) أخرج الشيخان وأبو داود والنسائى: [قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن.] وأخرج الترمذى: [إذا زلزلت، تعدل نصف القرآن. وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن. وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن.]

- (يأتى زمانٌ..) رواه الترمذى بلفظ: [يأتى على الناس زمانٌ: الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر.]

- (يقول الله لأهل بدر..) رواه البخارى.

- (إذا اشتبهت عليك طريقان..) رواه الطبرانى فى الكبير.

- (الدين النصيحة.) رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والنسائى.

- (أما أنه أول طعام دخل فم أبيك..) قال الحافظ العراقى: « أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بسند ضعيف.»

الفصل الخامس عشر

- (أرحنا بها يا بلال.) رواه أحمد وأبو داود.

- (جعلت قرة عينى فى الصلاة.) رواه أحمد والنسائى.

- (يقوم من الليل حتى تورمت قدماه..) رواه مسلم.

- (أمر بماء يوضع له ليتوضأ ..) رواه ابن أبى شيبة.

- (فلما أفاق، أمر أبا بكر أن يؤم الناس..) رواه البخارى ومسلم.

الفصل السادس عشر

– (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.) رواه البخارى.

جـ / فهرس تراجم الأعلام

ألـف

- إبراهيم بن أدهم:

كان من أبناء الملوك، فزهد فى الدنيا وتركها، وصحب « سفيان الثورى » و« الفضيل بن عياش ». كان يأكل من عمل يده من حصاد، وحفظ بساتين، ومن مثل ذلك. توفى بالشام عام ١٦١ هجرية.

- أبو اسحق إبراهيم بن أحمد الخوّاص:

من كبار الزهاد والعبّاد. من أقواله: « ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالِمُ من اتّبع العلم واستعمله، واقتدى بالسُّنن، وإن كان قليلَ العلم.» توفى الخواص بالرِّىّ سنة ٢٩١ هجرية.

- الإمام أبو الحسن الأشعرى:

إمام أهل السُّنة والجماعة، الذى حرر عقيدتهم وردَّ على المعتزلة وآخرين من أهل البِدَع. توفى سنة ٣٢٤هجرية.

- الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله:

الشاذلى نسبة إلى شاذلة، من قرى شمال إفريقيا، الحسنى نسباً. جمع العلوم ثم ارتحل إلى مصر داعياً إلى الله تعالى، وتوفى سنة ٦٥٦هجرية بحميثرا على شاطىء البحر الأحمر فى طريقه إلى الحج، ودفن هناك.

- الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد:

أصله من «نهاوند» ومولده ونشأته بالعراق. عرف بين الصوفية الأوائل بسيد الطائفة. كان فقيها على مذهب «أبى ثور»، وكان يفتى فى حلقته وهو ابن عشرين سنة، ومن أقواله: « الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ» و« مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسُّنة. » توفى ببغداد سنة ٢٦٧هجرية.

- أبو الوفا بن محمد الوفائى المصرى:

هاجر من مصر لملازمة الإمام الحداد، وكان لا يغيب عن مجالسه، كانت له أحوال الأولياء وكان لا يخاف فى الله لومة لائم. توفى بحضرموت، بعد وفاة الإمام بسنوات.

- أبو بكر الشبلىّ:

من أئمة الصوفية وممن صحب الجنِيد. بغدادى المولد والنشأة، مالكى المذهب، توفى سنة ٣٣٤هجرية.

- الإمام أبو بكر بن عبد الله العيدروس، المعروف بالعدنى:

والده الشيخ عبد الله بن أبى بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف، المعروف بالعيدروس الأكبر. وهو أول من

لُقّبَ بالعيدروس، ومعناه الأسد. جلس العدنى للتدريس بإذن والده فى سن الرابعة عشرة، ثم انتقل إلى عدن، وعاش بها إلى وفاته عام ٩١٤ هجرية.

- الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، الغزالى:

مجدد زمانه، المعروف بحجة الإسلام. ولد بطوس سنة ٤٥٠ هجرية. وكان والده يغزل الصوف. درس على إمام الحرمين « الجوينى » بنيسابور، ثم دخل بغداد سنة ٤٨٤ هجرية. حيث قام بالتدريس بالمدرسة النظامية، ثم زهد فى ذلك كله، فحج ثم توجه إلى الشام سنة ٤٨٨ هجرية، واعتكف فى زاوية بالمسجد الأُموى سنواتٍ. ثم عاد إلى «نيسابور»، ثم إلى « طوس »، حيث توفى سنة ٥٠٥ هجرية. له الكثير من المؤلفات أهمها « إحياء علوم الدين ».

- الشيخ أبو سليمان الدارانى:

من رجال « الرسالة القشيرية »، وداران قرية من قرى دمشق بالشام. ومن أقواله: « من صدق فى ترك شهوةٍ ذهب الله بها من قلبه، والله تعالى أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له.» توفى سنة ٢١٥ هجرية.

- أبو سليمان داود بن نصير الطائىّ:

عاش فى بغداد، وكان يجالس أبا حنيفة، وعرف بالعلم والزهد، توفى سنة ١٦٥ هجرية.

- أبو على أحمد بن محمد الروذبارى:

من رجال « الرسالة القشيرية »، بغدادى الأصل، أقام فى مصر وتوفى بها سنة ٣٢٢ هجرية.

- أبو محمد رويّم بن أحمد:

من رجال الرسالة القشيرية، توفى ببغداد سنة ٣٠٣ هجرية.

- أبو يزيد البسطامى:

كان جده مجوسياً أسلم. من كبار الصوفية، ومن رجال الرسالة القشيرية. كان يقول: «لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وآداء الشريعة.» توفى سنة ٢٦١ هجرية.

- الشيخ أحمد الرفاعى الحسنى:

عاش بأم عبيدة بأرض البطائح بالعراق، وتوفى بها سنة ٥٦٠ هجرية. كان شافعى المذهب ومن أكابر الدعاة إلى الله.

- الإمام الداعى إلى الله، الحبيب أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس:

ولد بحريضة سنة ١٢٥٧ هجرية، وتربى على أكابر رجال عصره، رحل إلى مكة المكرمة، حيث لازم مفتى

الحرمين، السيد أحمد بن زين دحلان، إلى أن عاد إلى « حضرموت » وله رحلات أخرى إلى مصر والحجاز. توفى سنة ١٣٣٤ هجرية بحريضة.

- السيد الإمام الكبير بحر العلوم، أحمد بن زين الحبشى:

ولد سنة ١٠٦٩ هجرية. وتوفى سنة ١١٤٤ هجرية بخلع راشد، ودفن بها. له من المصنفات: « السفينة الجامعة والبركة النافعة » فى عشرين مجلداً، وفيه من علومٍ: التفسير والحديث، الفقه وأصوله، النحو واللغة، والعقائد، وعلم الكلام، وأخلاق الأنبياء والأولياء، ومناقب الصحابة، وعلوم الطب والحكمة والفلك، وعلم أسماء الله الحسنى، وعلوم الغزالى والحداد، وعلوم أخرى كثيرة. وله شروح مطولة على الكثير من قصائد الإمام الحداد.

- الشيخ أحمد بن عبد الكريم الشجار الإحسائى:

هاجر من الإحساء، ولازم الإمام سبع عشرة سنة كان لا يفارق فيها مجلسه، ويكتب كل ما يتكلم به فى حضوره. وكان عليه مدة إقامته عند الإمام الحداد وظيفة الآذان وحمل السجادة والحبوة. سافر إلى الحرمين بعد وفاة الإمام، ثم إلى الإحساء وتوفى بها.

- الشيخ أحمد بن على الشريف الحسينى الملقب بالبدوى:

ولد بفاس بالمغرب، وهاجر مع والده إلى مكة، حيث نشأ وتفقّه على مذهب الإمام الشافعى. دخل مصر سنة ٦٣٤هجرية وعاش بها داعياً إلى الله تعالى، حتى وفاته سنة ٦٧٥هجرية.

- الحبيب أحمد بن عمر الهندوان:

كان جامعاً للعلوم، زاهداً فى الدنيا. يهابه العلماء وأهل السلطة. توفى بتريم سنة ١١٢٢ هجرية.

- الحبيب أحمد بن محمد بن علوى الحبشى صاحب الشِّعب:

ولد بتريم، وطلب العلم بها، ثم جاور بالحرمين الشريفين عدة سنين وكانت له مجاهدات. استوطن «الحسيسة» فى آخر عمره عند قبر الإمام المهاجر أحمد بن عيسى، وتوفى هنالك سنة ١٠٣٨ هجرية.

- الحبيب أحمد بن هاشم بن أحمد الحبشى:

حفيد صاحب الشعب. توفى سنة ١١١٥ هجرية، ورثاه الإمام الحداد بقصيدة.

- الحارث بن أسد المحاسبى:

البصرى الأصل، المتوفى ببغداد سنة ٢٤٣هجرية من أكابر الأجيال الأولى من الصوفية الجامعين بين علومهم وعلوم الشريعة. له مؤلفات، ومن أقواله: « من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السُّنة.»

- الفضيل بن عياش:

أصله من خراسان، وقيل وُلِد بسمرقند. كان يقطع الطريق، فتاب وجاور بالحرم المكى، حيث صار من أفاضل

العلماء والزهاد. توفى بمكة سنة ١٨٧ هجرية.

بـــاء

- بشر بن الحارث الحافى:

أصله من مَرْو، سكن بغداد، وتوفى بها سنة ٢٢٧ هجرية. وكان مشهوراً بالورع.

تـــاء

- الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى:

من أكابر العلماء العاملين ومشائخ الأزهر المعتبرين. أخذ من الشيخ أبى العباس المرسى، وله من المؤلفات الشهيرة «الحِكَم» و« التنوير فى إسقاط التدبير » و« لطائف المنن » و«مفتاح الفلاح ». توفى بالقاهرة سنة ٧٠٧ هجرية.

ثـــاء

- ثوبان أبى الفيض ذو النون، المصرى الأخميمى:

من أكابر الرعيل الأول من الصوفية ومن رجال الرسالة القشيرية. سئل مرة عن السفلة، فأجاب: « من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرَّفه ».. [أى لا يسأل عنه من يعرفه]. توفى سنة ٢٤٥ هجرية.

جيـــم

- الإمام جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، المعروف بالصادق:

أعلم أهل زمانه. ولد بالمدينة سنة ٨٠ هجرية، وروى عنه الحديث أئمةٌ كثيرون، منهم مالك، وأبو حنيفة، ويحيى بن سعيد، والثورى، وابن عينيّة، وغيرهم. توفى سنة ١٤٨ هـ، ودفن بالبقيع، بجوار والده الإمام محمد الباقر، وجدّه الإمام على زين العابدين، رضى الله عنهم أجمعين.

حـــاء

- الشيخ حسين بن محمد بافضل:

الحضرمى الأصل، المكىّ المُسْتَقَر. وُلدَ بالشحر، ورحل إلى « اليمن » و«الحرمين » و« الهند »، وأخذ عن كثير من

علمائها، ثم استقر بمكة إلى أن تُوفِّي بها سنة ١٠٨٧ هجرية، ودفن بمقبرة الشبيكة.

سـين

- الشيخ سعيد بن عيسى العمودى:

من أكابر العلماء العاملين ممن أخذوا عن الفقيه المقدم محمد بن على، بكرى النسب. توفى سنة ٦٧١ هجرية.

- السيد سقاف بن على الكاف العلوى الحسينى:

نزيل المدينة المنورة، مؤلف « حقيقة الفرقة الناجية » و «دراسة فى نسب السادة بنى علوى » و « حضرموت عبر أربعة عشر قرنا » و« هذه شريعتنا » و« الثمار الجنية ». وله مؤلفات أخرى.

شـين

- صاحب العوارف، الشيخ شهاب الدين عمر السهرَوردى:

عالم صوفى فقيه شافعى قرشى تميمى بكرى النسب. عاش ببغداد وتوفى بها سنة ٦٢٢ هجرية. وكتابه « عوارف المعارف » من أشهر الكتب المعتمدة فى آداب الصوفية.

عـين

- السيد الإمام العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه:

عاش « بتريم ». وكان غزير العلم، ثاقب الفهم، وكانت تأتيه الأسئلة من مختلف الجهات فى علوم شتى، فيجيب عليها بأحسن الجواب. له رسائل، وتصانيف، وقصائد. توفى « بتريم » سنة ١١٦٢ هجرية.

- الشيخ عبد القادر الجيلانى الحسنى:

ولد سنة ٤٧٠هجرية وتوفى سنة ٥٦١ هجرية، ودفن ببغداد. كان يفتى على مذهبىّ الإمام الشافعى والإمام أحمد، وكانت له مدرسة ببغداد يُقرأ عليه فيها التفسير والحديث والفقه وأصوله، والنحو وسائر العلوم الشرعية، وكان سيد الدعاة إلى الله فى وقته.

- السيد عقيل بن عيدروس بن أحمد باعقيل السّقاف:

صحب الإمام الحداد من حين صباه، ولازمه نحواً من ستين سنة. توفى بتريم سنة ١١٤٩ هجرية.

– الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب:

رضى الله عنهم، المعروف بزين العابدين والسَّجاد، إذ كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة. أمه ابنة كسرى أنوشروان ملك الفرس. توفى بالمدينة المنورة سنة ٩٤ هجرية، وله من العمر سبع وخمسون سنة، وجميع السادة الحسينيين من ذريته.

– الحبيب على بن عبد الله العيدروس:

طلب العلم بتريم وسافر إلى الهند حيث قضى أكثر حياته. كان من العلماء الأعلام الدعاة العاملين، توفى بالهند سنة ١١٣٠ هجرية.

– الحبيب على بن عمر بن حسين:

كان من الآخذين عن الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس. توفى سنة ١٠٨٣ هجرية، ودفن بتريم.

– الحبيب العارف بالله الإمام على بن محمد الحبشى العلوى الحسينى:

ولد بمدينة قسم بحضرموت سنة ١٢٥٩ هـ. تربى على والده مفتى الشافعية بمكة المكرمة الحبيب محمد بن حسين الحبشى، وعلى كبار علماء وقته، وأقام بمدينة «سيوون» داعياً إلى الله حتى وفاته بها سنة ١٣٣٣ هـ. وقد أسس بها رباطاً للعلم، وبنى مسجد الرياض. وله وصايا ومكاتبات وديوانَىْ شعر، أحدهما بالفصحى والآخر بالعامية. وله « المولد النبوى الشريف » المعروف بسمط الدرر.

– الشيخ عمر بن أبى الحسن بن المرشد:

المعروف بابن الفارض الحموى الأصل، المصرى المولد والدار والوفاة. أطلق عليه لقب « سلطان العاشقين » وله ديوان شعر مشهور، توفى بالقاهرة سنة ٦٣٢ هجرية، ودفن بالقرافة فى سفح جبل المقطم.

– السيد الإمام الداعى إلى الله تعالى « عمر بن عبد الرحمن البار »:

قرأ على الإمام الحداد سنينَ طويلةً، وقام بالدعوة فى وادى « دوعن »، وانتفع به خلق كثير. توفى سنة ١١٥٨ هجرية وعمره ستون عاماً.

– الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن عقيل، السقاف نسباً، المعروف بالعطاس لقباً:

إمام جيل من أكابر الدعاة إلى الله. وكان مع ذلك فى غاية التواضع والبعد عن الشهرة. قال عنه الإمام الحداد: «وأما السيد عمر بن عبد الرحمن فكان قلباً وحقاً، لا نفساً وهوًى » كان مكفوف البصر. توفى بحريضة سنة ١٠٧٢ هجرية.

– الإمام العلامة عيدروس بن عمر الحبشى العلوى الحسينى:

جمع العلوم وعاش داعياً إلى الله، إلى أن توفاه الله سنة ١٣١٤ هجرية. له من المؤلفات « عقد اليواقيت الجوهرية»

و« عقود اللآل » و« منحة الفاطر » وغيرها.

مـيم

– مجاهد بن جبر المكى التابعى:

أخذ تفسيره عن ابن عباس. قال مجاهد: « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية وأسأله عنها: فيمَ نزلت وكيف كانت. » (مباحث فى علوم القرآن لمنَّاع القطَّان، ط مؤسسة الرسالة/ بيروت ـ الطبعة الحادية والعشرون ص ٣٨٤). روَى الحديثَ عن عليّ، وسعد بن أبى وقاص، والعبادلة الأربعة، وغيرهم من الصحابة. توفى سنة ١٠٤ هجرية.

– الحبيب محمد بن أبى بكر الشلى العلوى، الحسينى:

كان عالماً عاملاً متضلعاً فى العلوم. صنّف كتباً كثيرة منها « المشرّع الروى فى مناقب السادة بنى علوى » وهو كتاب جامع لتراجم أعلام السادة بنى علوى فى جزءَين. وله شرح على (مختصر الإيضاح) لابن حجر فى مجلدين كبيرين، وشرح على (رسالة السنوسى) فى المنطق، و«الجواهر والدرر .. تاريخ القرن الحادى عشر » وغيرها. اجتمع بالإمام الحداد بمكة، وكان يجلُّه ولا يتكلم فى مجلسه إلا قليلاً.

– محمد بن اسماعيل، المعروف بخير النساج:

تاب فى مجسه الخوّاص والشبلىّ، أصله من سامرّاء. وقيل أنه عاش ١٢٠ سنة.

– الإمام العلامة العارف بالله، محمد بن زين بن سميّط العلوى الحسينى:

ولد بتريم سنة ١١٠٠هـ وكان تلميذاً للإمام عبد الله بن علوى الحداد. فلازمه وأخذ منه أخذاً كاملاً. وكان قطب الإرشاد كثيراً ما يرغبه فى الانتقال إلى مدينة «شبام » نظراً لحاجتها لمثله كعالم دينى، ومرشد إجتماعى، ولكنه كان يُسَوِّف اغتناماً للقرب من شيخه. حتى إذا توفى الإمام الحداد، انتقل فى صحبة والده وأخيه عمر إلى شبام سنة ١١٣٥هـ. فغدت مساجدها ودورها معمورة بالعلم والعبادة، وخرج منها الواحد تلو الآخر، من الأكابر من آل بن سميط وكان يذهب إلى الحبيب أحمد بن زين الحبشى فى خلع راشد يومى الإثنين والخميس مدى حياته، يقرأ عليه. وكان تأليف كتاب «غاية القصد والمراد فى مناقب الإمام الحداد.» بإشارة وتشجيع من الحبيب أحمد بن زين. وتوفى بشبام سنة١١٧٢هـ. وله، بالإضافة إلى ما ألّفه فى الإمام الحداد وتلاميذه، كتابُ « قرة العين فى مناقب الحبيب أحمد بن زين» ووصايا، ومكاتبات، وديوان شعر.

- الحبيب محمد بن علوى السقاف:

وُلد بالشحر، وحفظ القرآن، وصحب أكابر العلماء، ثم رحل إلى «عينات» وأخذ عن الإمام الحسين بن أبى بكر بن سالم وأخويه. رحل إلى الحجاز، وعُرف بين أهل الحرمين بالعلم والصلاح، وأقبل عليه الناس مع عدم رغبته فى الظهور. توفى بمكة سنة ١٠٧١ هجرية ودُفِنَ بالمعلاة.

- الشيخ محمد بن على السودى:

كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين القائمين بالتدريس والإفتاء. له ديوان شعر مشهور. توفى بتعز سنة ٩٣٢ هجرية.

- الشيخ محيى الدين بن عربى، المعروف عند الصوفية بالشيخ الأكبر:

ولد بالأندلس ورحل إلى مصر والحجاز، ثم استقر بالشام، وتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ هجرية. له مؤلفات عديدة أشهرها « الفتوحات المكية » و« فصوص الحكم».

مصادر الكتـــاب

١ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى، « روح المهانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى »، ط دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ/٩٧٨ م.

٢ السيد أحمد بن زين الحبشى « شرح العينية »، سنغافورة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

٣ الإمام الحداد « تثبيت الفؤاد بذكر كلام الإمام عبد الله بن علوى بن محمد الحداد » جمع الشيخ أحمد بن عبدالكريم الشجار الإحسائى، وتهذيب الإمام أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد. ط القاهرة.

٤ الإمام الحداد « مكاتبات الإمام الحداد » ط القاهرة.

٥ الإمام جلال الدين السيوطى « الحاوى للفتاوى » ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ.

٦ السيد سقاف على الكاف « حضرموت عبر أربعة عشر قرناً »، بيروت ط ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م.

٧ الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، « فيض الأسرار، شرح سلسلة الحبيب عمر البار » (مخطوط)

٨ الحبيب عبد الله بن طاهر الحداد، « قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر » (مخطوط)

٩ الحبيب المُنَصّب على بن أحمد بن حسن العطاس « ترجمة الحبيب أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس »، ١٣٧٩ هجرية.

١٠ الحبيب علوى بن أحمد بن الحسن الحداد، « المواهب والمنن فى مناقب قطب الزمن الحسن» (مخطوط)

١١ السيد علوى بن طاهر الحداد « نور الأبصار بمناقب الحبيب عبد الله بن طه الهدّار » (مخطوط).

١٢ السيد علوى بن طاهر الحداد، « عقود الألماس بمناقب الإمام أحمد بن حسن العطاس »، الطبعة الثانية، لقاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.

١٣ السيد محمد بن أبى بكر الشلى « المشرع الروى فى مناقب السادة الكرام آل أبى علوى ».

١٤ السيد محمد بن زين بن سميط « بهجة الفؤاد وبغية المرتاد فى مناقب شيخ العباد عبد الله بن علوى الحداد » (مخطوط).

١٥ السيد محمد بن زين بن سميط « غاية القصد والمراد فى مناقب الإمام الحداد » ط القاهرة ١٩٩٠م.

١٦ محمد ضياء شهاب، وعبد الله بن نوح « الإمام المهاجر » ط دار الشروق، جدة ١٤٠٠ هجرية- ١٩٨٠ ميلادية.

محتويات الكتاب

المقدمة ٥

الفصل الأول: سفينة نوح ١١

وصف النبى ﷺ أهل بيته بأنهم سفينة نوح- حث النبى ﷺ الناس على التمسك بأهل بيته- المراد بآية التطهير- انتشار الإسلام الزمانى والمكانى- وراثة النبى ﷺ الخُلُقيّة والخِلْقيّة والعلمية- خصوصيات أهل البيت-علم الصحابة بمقام أهل البيت.

الفصل الثانى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم ٢١

لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى- الأمور الكسبية والأمور الوهبية- اصطفاء سيدنا إبراهيم عليه السلام- اصطفاء الأمة المحمدية- شرف العرب وقريش وبنى هاشم- ماظاهره التعارض من النصوص- كلام الإمام الحداد عن خصوصيات أهل البيت- كلام الإمام فى كيفية معاملة أهل البيت.

الفصل الثالث: السادة العلويون ٣١

العراق فى لقرنين الثالث والرابع الهجرى- الإمام أحمد بن عيسى المهاجر وخروجه إلى الحجاز ثم حضرموت- ذرية الإمام المهاجر- قول العلماء فى ذرية المهاجر- السيد محمد بن على صاحب رباط- الفقيه المقدم- تريم- صفة السادة العلويين- الشيخ عبد الرحمن السقاف- الشيخ عمر المحضار- الشيخ عبد الله العيدروس- الشيخ أبو بكر بن سالم- الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر- الحبيب طاهر بن عمر الحداد- الحبيب عبد الله بن طه الهدّار- السادة العلويون ونشر الدعوة.

الفصل الرابع: مولد الإمام ونشأته ٣٩

والدا الإمام الحداد- مولد الإمام- فقدانه حاسة الإبصار- حفظه القرآن- مجاهداته فى صباه- طلبه العلم- أصدقاء الطفولة- السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه- السيد أحمد بن عمر الهندوان- السيد أحمد بن هاشم الحبشى- السيد على بن عمر- السيد على بن عبد الله العيدروس- مطالعتهم للكتب- لزومه زاوية الهجيرة- بداية قراءة الناس عليه.

الفصل الخامس: وفاة والديه ٤٧

وفاة والديه- وفاة السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس- ذكره الصبر والصابرين فى كتابه لأخيه- ذكره للقضاء والقدر- إخباره بوفاة والده- إخباره بوفاة والدته- أمره له بالصبر والحمد- تعزيته له ببعض الأبيات- إخباره بوفاة السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس وآخرين.

الفصل السادس: أخلاقه وشمائله ٥١

صفته الخلقية- مجلسه- محبته لطلبة العلم- عفوه- شغل مجالسه بالعلم وحفظها من النقائص- احترازه من الفتوى- كرمه- تفقده أصحابه وجيرانه- رعاية الأرامل والأيتام- صبره على الأذى- غيرة الله على أصفيائه- ورعه- إنشاء المساجد- قوله فيمن مدحه.

الفصل السابع: مقامات اليقين ٥٧

العبادة والعلم والمعرفة- اليقين ودرجاته- الحجب الكثيفة- الرياء- العجب- التوبة- الخوف- الرجاء- الصبر- الشكر- الزهد- الحال والمقام- التوكل- التوكل والتواكل- الأسباب- الحب- الرضا.

الفصل الثامن: رحلة الحج ٧١

حثه الناس أن يحجوا- خروجه إلى الشحر- ركوبه البحر إلى الحديدة- والى حضرموت الظالم- وصوله جدة- دخوله مكة- ضيافة الشيخ الحسين بافضل- قول الشيخ بافضل فى مشائخه- مجالسه بمكة- خروجه إلى المدينة- زيارته للنبى ﷺ- مجالسه بالمدينة- خروجه من المدينة- شوقه إلى الحرمين بعد عودته.

الفصل التاسع: الدعوة إلى الله ٨٣

العلماء ورثة الأنبياء- إخباره عن علمه وعقله- سنده إلى ابن حجر الهيثمى- كونه على مذهب الشافعى- قوله فى الإمام الغزالى- حثه الناس على المطالقة- ألسنة الدعوة الخمسة- رحلاته للدعوة- دروسه بالحاوى-- تلاميذه.

الفصل العاشر: الدين والمجتمع ٨٩

كل زمان شر مما قبله- قول الإمام الحداد فى زمانه- رءوس المجتمع العلماء ثم الأمراء- تسليط الله لهم على الناس لذنوبهم- علامات فساد الزمان- استتار الصالحين- مقارنة بين الأولين والآخرين- رجال العالم أربعة- تقسيم الناس إلى ثمانية أقسام: العلماء، أهل الزهد والعبادة، الملوك والسلاطين، كتاب الإمام للسلطان بدر بن عبد الله الكثيرى- التجار والصناع- الفقراء والمساكين- الأتباع من النساء والأولاد والعبيد- أهل الطاعة وأهل المعصية من العامة- غير المسلمين.

الفصل الحادى عشر: طريقة أهل اليمين ١٠٣

وصف الإمام على لأصحاب رسول الله ﷺ- الصوفية- مجاهدات العلويين- الطريقة الخاصة والطريقة العامة- صفة طريقة أهل اليمين- قول الحبيب أحمد بن حسن العطاس- قول الحبيب

علوى بن طاهر الحداد- الوصول إلى الله.

الفصل الثانى عشر: عقيدة الإمام الحداد ١١١

عقيدة أهل السُّنة والجماعة- عقيدة الأشعرى- مذهب السلف فى التفويض- القضاء والقدر- الخلافة بعد رسول الله ﷺ- الإمام علىّ كرَّم الله وجهه ومن خرجوا عليه - الشيعة.

الفصل الثالث عشر: ترتيب أوقاته وعباداته ١٢٣

إقامة الصلاة- أذكار الصباح- صلاة الإشراق وصلاة الضحى- سنن وأذكار الظهر- سنن وأذكار العصر- سنن وأذكار المغرب- سُنن وأذكار العشاء- الجمعة- الوِدر الكبير.

الفصل الرابع عشر: قوله فى شرح بعض الآيات والأحاديث ١٣٣

الفصل الخامس عشر: آراؤه فى الصوفية ١٤٧

المريد والصوفى والتصوف- علوم الصوفية- الاعتراض عليهم- كيفية فهم أشعارهم- موقف السادة العلويين من الكلام عن الحقائق- ابن عربى وابن الفارض- الغزالى- الخلوة- كلامه فى تارك الصلاة.

الفصل السادس عشر: مؤلفاته ١٦٣

انتشار كتبه وطبعها فى مصر وغيرها- رسالة المذاكرة- رسالة المعاونة- رسالة آداب سلوك المريد- اتحاف السائل- النصائح الدينية- سبيل الإدكار- الدعوة التامة- الفصول العلمية- النفائس العلوية- المجموع وشروح قصائد الديوان- وسيلة العباد.

الفصل السابع عشر: وفاته ١٧١

مرضه الأخير وتعليقه عليه- عدم سماحة للناس بالدخول عليه- ذكره حديث البخاري- وفاته- جنازته- محل قبره.

الفصل الثامن عشر: آل الحداد من وفاة الإمام إلى اليوم ١٧٥

الحبيب الحسن بن عبد الله وذريته- الحبيب أحمد بن الحسن- الحبيب عمر بن أحمد بن حسن- الحبيب علوى بن أحمد بن حسن- الحبيب حسن بن حسين بن أحمد بن حسن- الحبيب عبد الله بن على بن حسن- **الحبيب علوى بن عبد الله الحداد وذريته**- الحبيب عمر بن أبى بكر- الحبيب طاهر بن عمر- الحبيب محمد بن طاهر- الحبيب علوى بن محمد بن طاهر- الحبيب عبد الله بن حسين- الحبيب على بن عيسى- الحبيب عبد الله بن محفوظ الحداد- الحبيب عمر بن علوى الحداد- الحبيب عبد الله بن طه الهدار- الحبيب عبد الله بن طاهر- الحبيب علوى بن طاهر- الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد.

ملحق الكتاب ١٨٩

ا / ثبت الآيات القرآنية الكريمة ١٩٣

ب / تخريج الأحاديث النبوية الشريفة ١٩٧

جـ / فهرس تراجم الأعلام ٢٠٥

مصادر الكتاب ٢١٣

